44 الإمارات
معجزة في سماء العالم العربي

الصيد بالصقور
في شبه الجزيرة العربية

صالح بن عزيز المنصوري:
«زايد» نقلني من الغزل إلى الوطن

أيام زمان:
أشعار الجمري ودندنات بن روغة

حكاية العقيلي واليازية
في سيرة غنائية

يعقوب السعدي:
قناة «ياس» تمثل هوية الإمارات

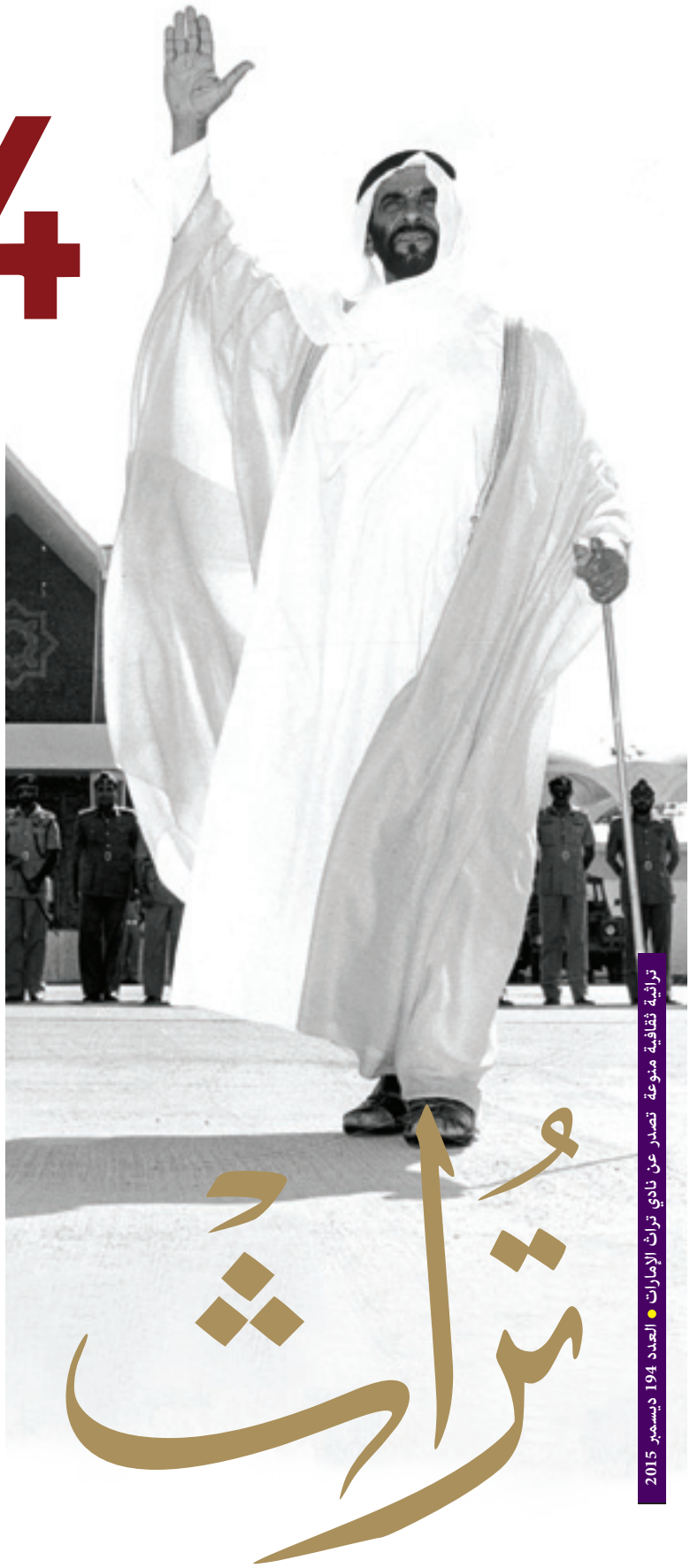

تراث

تراثية ثقافية منوعة تصدر عن نادي تراث الإمارات • العدد 194 ديسمبر 2015

في إطار سعَي مركز زايد للدراسات والبحوث إلى تعميق الثقافة الشعبية والتراث الشعبي المحلي الذي يعد من أقوى عوامل تحصين المجتمع ورفد الهوية الوطنية بما يحمله من المُثل والمبادئ والقيم، وكونه أحد عناصر التكامل الاجتماعي وديمومته، وانطلاقاً من إيمان المركز بهذه الأهداف فإنه يعلن عن رَغْبَتَه في استقبال الدراسات والأبحاث العلمية المُتميزة غير المنشورة في مجال تاريخ وتراث الإمارات الشعبي وكذلك جغرافية وبيئة الإمارات، مِن المؤلفين والكُتاب الراغبين في المشاركة لنشرها وفق الشروط التالية:

- أن يكون الْكِتَابِ مُتوسط الحَجْمِ بين 200-300 صفحة
- ألا يكونَ العملُ قَدْ نُشِر مِن قَبْلُ أو قُدم لِلحصولِ على جَائزةٍ
- أن يكونَ العملُ مُوثقا بإدراج الإحالات أو الهوامش المتعلقة بالمصادر والمراجع
- أن تُكتَبَ المَادةُ بِلُغَةٍ عربية سليمةٍ ورَصينةٍ، وأن تكونَ مَطْبُوعةً ومُصَححةً لُغَوِيّاً، وتُرْسَل عَبْرَ البريد الإلكتروني للمركز أو عن طريق قرص مُدْمَجٍ يُرْسَلُ بالبريد المضمون
- يُرْسِلُ الكاتبُ مُلَخصاً لعمله في حدود 200 كلمة باللغة العربية مع سيرته الذاتية
- سَتَتَولى هيئةُ تحكيمٍ مختصةٌ مراجعةَ الأعمالِ وتَقييمِها وإصدارِ قرار نِهائي بِشأنِها.
- يلتزم الكاتبُ إجراءَ التعديل المقترح من هيئة التحكيم
- يُكافأ أصحاب الأبحاث المعتمدة مَبْلغاً ماليا يتراوح بين 3000 و4000 دولارٍ أمريكي. يَشْمَلُ التعويضُ عن حُقوقَ النشر والطباعة والترجمة لمُدة خَمْسِ سَنَواتٍ من تاريخ العَقْدِ الْمُبْرَمِ بين المركز والمؤلف

والله المُوفق

لإرسال نصوص الدراسات والبحوث على الايميل : swzr@hotmail.com

راية الاتحاد مصدر فخر للجميع

ملف العدد: 44 عامًا من الإنجازات – ص 9

المُحتويات

محتويات العدد

ملف العدد

اتحاد الإمارات، معجزة في سماء العالم

«إن الوحدة العربية التي تعتبر دولة الإمارات نواتها ليست حُلمًا أو ضربًا من الخيال، بل واقع يمكن تحقيقه إذا صدقت النوايا وتفاعلت الأماني والطموحات بالمساعي والعمل».

هكذا قال مؤسس الإمارات ورجل الاتحاد الشيخ زايد طيب الله ثراه. والحديث عن تجربة اتحاد دولة الإمارات وعن هذا الرجل صنوان، لقد قام الرجل بواحدة من أنجح تجارب الوحدة في عصرنا الحديث، وهي نموذج مثالي لما يجب أن يكون بين دول العالم العربي، وتوضح كيف سَمت النفوسُ واندحرت المصالح الشخصية لتحقيق الحلم الذي بدا بعيد المنال.

8 شعر: مبروك يا عيدٍ خلا ف الصيامي
10 زايد «صانع الفرق»
15 شعر: بديت باسم اللي خلق الأرض والسما
16 رجال حول زايد: أحمد بن حامد
24 شعر: سفينة الاتحاد
26 الاتحاد في الشعر النبطي
32 حلم الإمارات العربية
36 الطريق إلى الاتحاد
39 شعر: يشهد العالم وأنا عندي شهادة
40 من زايد بن خليفة إلى خليفة بن زايد
46 معجزة في سماء العالم العربي
48 معركة تأسيس الدولة
56 رؤية فلسطينية للوحدة الإماراتية
59 شعر: يا الامارات الحبيبه عيّدي
60 ملحمة رائعة بطلها زايد

65

ارتياد الآفاق

الصيد بالصقور
في شبه الجزيرة العربية

يذكر داوتي أن الصيد بالصقور من طباع البدوي، وقد شاهد اثنين أو ثلاثة من الصقور في كل خيمة، وقد رُبطت من سيقانها على مجاثم منصوبة في الرمل، وسمع أصواتها، برمة شاكية. وكان طعامها مما يجده أصحابها من هوام صحراوية صغيرة وسحال وفئران، وحشرات، فإذا لم يجدوا شيئًا من ذلك أعطوها قليلًا من العجين. وتقوم هذه الصقور في البادية بالتقاط القراد الذي يلتصق بصدور الإبل ويمتص دمها. ويُقدِّر البدو الصقور التي تصطاد الأرانب، وقد يستطيع صاحب الصقر الجيد أن يُحسِّن من وضع أسرته بما يصطاده. . .

106

أيام زمان

محمد فون:
عشقت أشعار الجمري ودندنات بن روغة

من منا لا يعرف الفنان علي بن روغه، والفنان ميحد حمد، والفنان حارب حسن رحمه الله؟ من منا لا يعرف المرحوم جابر جاسم، والفنانين سعيد الشراري، وأحمد الحرفي، وحمدان الوطني، ومحفوظ سعيد، ومحمد سلطان المقيمي، ومحمد راشد الرفاعي، وموزة خميس، وغيرهم الكثير ممن صنعوا ذكرياتنا بفنهم الجميل ولمساتهم الخاصة في عالم الأغنية الشعبية البديع؟

اليوم، نتجول في هذا العالم، بصحبة شاهد على العصر الجميل.

من المحرر

معجزة في سماء العالم العربي

يعتبر قيام اتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة في 2 ديسمبر 1971 حدثًا تاريخيًا مفصليًا في تاريخ الإمارات والمنطقة العربية برمّتها، نظرًا لما انبنى عليه من قيم، وما أحال إليه من رمزية قوية الدلالة أعادت فكرة الوحدة وطموح الاتحاد العربي إلى الواجهة من جديد، وعبّرت بجلاء عن إمكان تحقق ذلك الحلم متى ما توفرت الإرادة القوية والنية الصادقة والتوجه السليم.

لم تكن الإمارات العربية -أو ما كان يسمى إمارات الساحل المتصالح - كتلة واحدة حين خامرت هموم الوحدة القائد المؤسس الراحل المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه، بل كانت كيانات متناثرة على الساحل العربي عبثت بها أيدي الاحتلال البريطاني وزرعت فيها بذور الشقاق والفتنة، ومع ذلك استطاع حكامها بإرادتهم القوية وعزيمتهم الصادقة أن ينتشلوا المنطقة من هاوية السقوط والعبث الاستعماري، ويوحدوا الصفوف تحت راية واحدة وقوية جمعت الكلمة ووحدت الشمل.

الطريق إلى الاتحاد لم يكن مفروشًا بالورود بقدر ما كان محفوفًا بالعراقيل والصعوبات التي كادت تكون عقبة لولا عزيمة صانع الاتحاد المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه، وتعلّقه بحلم الوحدة وتفانيه في تحقيقه.

لم نجد أفضل من هذه الكلمات المقتبسة من مقالة الزميل منّي عبد القادر، وعنوانها المقتبس من مقالة الزميل ناجي العتريس المنشورتين في هذا العدد للتعبير عن رؤية الملف الذي أردنا أن يكون أكثر من مجرد احتفال بالذكرى الرابعة والأربعين لقيام دولة الإمارات العربية المتحدة، أردنا أن يكون استمرارًا لتشبث هذه الدولة العظيمة بحلم الوحدة العربية الكبرى.

كل عام وأهل الإمارت بكل خير.

المُحتويات

محتويات العدد

64 الحب في الجناح الغربي

72 بودلير العرب

74 الشاعر صالح بن عزيز المنصوري:
حب زايد نقلني من الغزل إلى الوطن.

80 الكويت

82 «العقيلي واليازية» سيرة غنائية

84 أدب الرحلة في «العقيلي واليازية»

85 المثقف ومعضلة التطرف

88 فنون الحكي في «العقيلي واليازية»

90 يعقوب السعدي: قناة «ياس» تمثل هوية وتراث الإمارات

96 التراث بين شعرية المهادنة وشعرية المروق

98 الطبيعي، الاجتماعي، الإنساني

99 الخطابة العربية، ملاحظات فنية

104 كتاب موسوعي عن الدروع والأسلحة

115 الجازية، الحاضرة رغم الغياب

116 عبيدات الرمي، وظيفة فنية ثقافية

119 ش. س.

120 العمارة المسيحية، من الاضطهاد إلى التصالح

125 فرناندو سيلفان، شاعر المنفى

126 مؤتمر الإتحاد العام للآثاريين العرب

128 مهرجان طنطا الدولي للشعر

130 الوطن، من الآباء حتى الأبناء

أسعار البيع

الإمارات العربية المتحدة: 10 دراهم - المملكة العربية السعودية 10 ريالات - الكويت دينار واحد - سلطنة عمان 800 بيسة - قطر 10 ريالات - مملكة البحرين دينار واحد - اليمن 200 ريال - مصر 5 جنيهات - السودان 250 جنيهاً - لبنان 5000 ليرة - سورية 100 ليرة - المملكة الأردنية الهاشمية ديناران - العراق 2500 دينار - فلسطين ديناران - المملكة المغربية 20 درهماً - الجماهيرية الليبية 4 دنانير - الجمهورية التونسية ديناران - بريطانيا 3 جنيهات - سويسرا 7 فرنكات - دول الاتحاد الأوروبي 4 يورو - الولايات المتحدة الأميركية وكندا 5 دولارات.

74 حوار

الشاعر صالح بن عزيز المنصوري

بدأ حياته حارسًا لأبوظبي على ظهور الإبل

من العاصمة أبوظبي انطلقنا في تمام الساعة العاشرة صباحًا صوب واحة المنطقة الغربية غياثي (250كم من أبوظبي)، حيث يقطن «فارس الشعر» الشاعر الكبير صالح بن علي بن عزيز المنصوري الذي رحب بنا أكبر ترحيب، وأنزلنا في داره، دار الضيافة والكرم والبشاشة. وكان لنا معه حوار جمع بين الشعر والتراث والذكريات.

يعقوب السعدي:

قناة «ياس» تمثل هوية الإمارات

90

كتّاب وشعراء ومحررو العدد:

منّي عبدالقادر، فاطمة المنصوري ،إبراهيم محمد ملحم ، أحمد سراج ،سرور خليفة سالم الكعبي ، ناجي العتريس ، وائل إبراهيم الدسوقي ،سما حسن ، مصطفى محرم، أشرف أبو اليزيد ، د. علي عفيفي علي غازي ، أحمد فرحات ، خالد عيسى ، حسين بن سوده ، د. خالد عزب ، محمد شحاته العمده ، هند عبدالحليم محفوظ ، خالد بيومي، صالح لبريني، د. سعيد يقطين، عبدالله المتقي، محمد علي إبراهيم ، حسام عبدالقادر ، فيصل رشدي، محمد عويس ،مروه البمبي ، فاطمة المزروعي.

الاشتراكات

للأفراد داخل دولة الإمارات: 100 درهم/ للأفراد من خارج الدولة: 150 درهماً - للمؤسسات داخل الدولة: 150 درهماً / للمؤسسات خارج الدولة 200درهم.

تراثية ثقافية منوعة

تصدر عن:
مركز زايد للدراسات والبحوث- نادي تراث الإمارات، أبوظبي

المشرف العام
د. راشد أحمد المزروعي

مدير التحرير
وليد علاء الدين

الاخراج والتنفيذ
غادة حجاج

الموقع على الإنترنت:
www.mags.ae

عناوين المجلة

الادارة والتحرير:
الامارات العربية المتحدة-ابوظبي
مدير التحرير: waleedalaa@hotmail.com
موبايل: 00971556929190
هاتف: 026666130
مسؤول التوزيع: أحمد عباس
marketing@cmc.ae
+971 56 3150303

أبوظبي للإعلام-توزيع
الرقم المجاني : 8002220 فاكس : 02 4145050
للاتصال من الخارج: +971 02 4145000
distribution@admedia.ae

مبروك يا عيدِ خلاف الصيامي

الشاعر صالح بن علي بن عزيز المنصوري

قصيدة مهداة **للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان** «طيب الله ثراه» بمناسبة العيد الوطني 1992

بديت بسم الله باوّل كلامي ... الواحد المعبود ربّ البريّه
وان جات وِرْدٍ مِرْقبات حْيامي ... وهايبٍ من عند ربّي هديّه
اختار زين القاف وَاحْكم نظامي ... اختار فيهن والمزامل قويّة
وِنْعدّ من بين الرجال الحشامي ... ما قيل قافك فيه بيتٍ خطيّة
وألْزم طريق الحق باقْصى إلتزامي ... والقاف ما قوله بلَيا انحيّه
أخاف من تلفيز ناسٍ غشامي ... ناسٍ تبيع العاليَة بالدّنيه
ناسٍ تحط الواقعة والحلامي ... متساويات وكلها بالسويه
ويا الله يا محصي جميع الأنامي ... يا واحدٍ يا عالمٍ بالخفيّه
تحمي وطنّا من عيال الحرامي ... نسّاية المعروف لمْنافقيه
دار الصخى ومروّةٍ واحتشامي ... دار المعزّة والسلوم النقيّه
واللّي وزاها لاجيٍ ما يضامي ... ترتاح نفْسه عقب ما هي شقيّه
ومبروك يا عيدٍ خْلاف الصّيامي ... عيدٍ خْلاف الصّوم بإخلاص نيّه
وربحان من هو كمّله بالتّمامي ... صام النهار وساجد لّه عْشِيّه
عيدٍ نهنّي به رفيع المقامي ... القايد اللي لَه شْبورٍ وِفيّه
عيد عليه يعود في كل عامي ... عيدٍ سعيدٍ والليالي هنيّه
عيدٍ نهني به شيوخٍ أكرامي ... أهل الوَفا والجود وأهل الحميّه
واهْدي لهم منّي جزيل السلامي ... سلام وتزفّه عْطور شذيّه
وصلاة ربي في تلايا ختامي ... على رسولٍ خصّنا بالوَصيّه
شفيع الأمة في نهار الزّحامي ... في ساعةٍ مَحْدٍ يساعد خويّه

ملف العدد

اتحاد الإمارات

معجزة في سماء العالم

- 8 شعر: مبروك يا عيد أخلاف الصيامي
- 10 زايد "صانع الفرق"
- 15 شعر: بديت باسم اللي خلق الأرض والسما
- 16 رجال حول زايد: أحمد بن حامد
- 24 شعر: سفينة الاتحاد
- 26 الاتحاد في الشعر النبطي
- 32 حلم الإمارات العربية
- 36 الطريق إلى الاتحاد
- 39 شعر: يشهد العالم وأنا عندي شهادة
- 40 من زايد بن خليفة إلى خليفة بن زايد
- 46 معجزة في سماء العالم العربي
- 48 معركة تأسيس الدولة
- 56 رؤية فلسطينية للوحدة الإماراتية
- 59 شعر: يا الامارات الحبيبه عيّدي
- 60 ملحمة رائعة بطلها زايد

زايد

«صانع الفرق» زارع الوحدة وباني الاتحاد

صورة اتحاد الإمارات العربية في مرآة الصحافة الدولية

منّي عبدالقادر

في يناير عام 1967 أعلنت الحكومة العمّالية البريطانية عزمها الإنسحاب من جميع المناطق التي تقع تحت سيطرتها شرقي السويس في موعد لا يتجاوز نهاية عام 1971م، وقد شكّل هذا الإعلان تحدّيًا كبيرًا للإمارات العربية التي جعلت منها الحكومة البريطانية مجرد وحدات سياسية مجزأة ومتناثرة على الساحل العربي في الخليج، ينخر الضعف كيانها، ويساوم بقاءها وصمودها في وجه التحديات.

قيام دولة الإمارات العربية المتحدة
زايد رئيساً للاتحاد ومكتوم نائباً للرئيس
الاتحاد

لذلك هرع شيوخها، صدًّا لكل خطر قد يتهدّد المنطقة ويجعلها لقمةً سائغة لعدوٍ متربّص، إلى البحث عن سبيل لتأسيس اتحاد فدرالي تنضوي تحت لوائه إمارات الساحل العربي وتنتظم في عقده، لمواجهة مخاطر الفراغ السياسي بالتوحّد والتماسك يدًا بيد. وقد مثّل الاتحاد الثنائي بين إمارتي أبوظبي ودبي، الذي تم توقيعه في منطقة (السَّميح) في 18 فبراير عام 1968 بين الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم عليهما سحائب الرحمة والغفران، بادرةً أولى ومنطلقًا فعليًا نحو التوحّد حيث دعا الشيخان عقبه في بيان مشترك بقية حكام الإمارات العربية بما فيها قطر والبحرين للانضمام إلى سرب الاتحاد.

ميلاد الدولة

لم يكن حلم الوحدة الذي راود الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله سهلًا في بيئة عبثت بها أيادي الاستعمار وفرّقتها كأيدي سبأ، واقتضى رأب الفتق حينًا من الزمن، ومع ذلك لم يكن الشيخ زايد يؤمن إلا بالوحدة ولم يسع إلا للاتحاد، وبعد سلسلة من الحوارات والاجتماعات اتفق حكام الإمارات في السابع والعشرين من فبراير 1971 على الصيغة النهائية للاتحاد بين إماراتهم التّسع (أبوظبي، دبي، الشارقة، وعجمان، أم القيوين، الفجيرة، رأس الخيمة بالإضافة إلى قطر والبحرين). بيد أن هذا الحلم الكبير سرعان ما تبدّد نتيجة تحفّظ بعض الإمارات على بعض القضايا المتعلقة بطبيعة الاتحاد، ثم اتجاه كل من البحرين وقطر نحو الاستقلال المنفرد.

حينها عمد حكام أبوظبي ودبي والشارقة وعجمان وأم القيوين والفجيرة إلى عقد اجتماع في يوليو 1971 لدراسة إمكانية التوصّل إلى صيغة ملائمة لتأسيس اتحاد سباعي، وقد أسفر هذا الاجتماع عن اتفاق أصحاب السمو في الثامن عشر من يوليو على إعلان قيادم دولة الإمـارات العربية المتحدة.

وفي الثاني من ديسمبر عام 1971 أعلن الأستاذ أحمد خليفة السويدي وسط حضور أصحاب السمو حكام الإمـارات وجموع غفيرة من المسؤولين والإعلاميين قيام دولة الإمارات العربية المتحدة من ست إمارات قبل انضمام إمارة رأس الخيمة إلى الاتحاد في العاشر من فبراير عام 1972، ورفع علم الدولة خفّاقًا في الأفق، وعمّت الأفـراح، وانهالت التبريكات والتهاني على الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله الذي اختير رئيسًا للدولة والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم نائب الرئيس وإخوانهما أصحاب السمو أعضاء المجلس الأعلى للاتحاد ابتهاجًا بالمولود الجديد.

كان يوما مشهودًا، يومًا لا كسائر الأيام آذن فيه الصبح بإشراق جديد يشّع بالنور والأمل واستشراف المستقبل حينما تم إعلان ميلاد الدولة الجديدة، وقد تم تداول هذا الخبر السّار على نطاق واسع في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وتصدّر الصفحات الأولى للصحف المحلية والعربية والدولية.

الاتحاد
اعلان دولة الإمارات العربية
زايد رئيس للاتحاد
راشد نائب للرئيس
ومكتوم بن راشد رئيس الوزراء

في الثاني من ديسمبر عام 1971 أعلن الأستاذ أحمد خليفة السويدي وسط حضور أصحاب السمو حكام الإمارات وجموع غفيرة من المسؤولين والإعلاميين قيام دولة الإمارات العربية المتحدة من ست إمارات قبل انضمام إمارة رأس الخيمة إلى الاتحاد في العاشر من فبراير عام 1972، ورفع علم الدولة خفّاقًا في الأفق

الصحافة المحلية ..دعم ومواكبة

واكبت الصحف المحليّة باهتمام شديد، رغم محدودية وسائلها حينئذ، كل المراحل والتطورات التي أفضت فيما بعد إلى قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث كانت تنشر كل الأخبار والتفاصيل المتعلقة بسير مشروع الاتحاد، والعقبات التي كانت تواجهه، والحلول المقترحة كبدائل لتجازو تلك العقبات. وقد اضطلعت صحيفتا الاتحاد والخليج بدور كبير في دعم الجهود المبذولة من أجل تمهيد الطريق، وتذليل الصعوبات، وتنشيط الحراك القائم للدفع بعجلة الاتحاد نحو حيّز الوجود، وذلك من خلال المقالات والتحليلات التي كانت تتصدّر صفحاتها الأولى آنذاك، والصور التي كانت تنشرها عن لقاءات واجتماعات حكام الإمارات والأحداث المصاحبة لها.

ومن خلال استقراء الأعداد الصادرة عن جريدة الاتحاد انطلاقًا من العام 1969 إلى غاية 1971 نلاحظ بأن المواضيع الإخبارية، والتحليلات السياسية عن المحاولات الأولى لتأسيس اتحاد فدرالي يجمع كل الإمارات العربية استحوذت على اهتمام الجريدة بشكل متناهٍ؛ ففي العدد الصادر بتاريخ 1969/10/30 نشرت الاتحاد أخبارًا عن تأييد دولة الكويت الكامل لاتحاد الإمارات العربية وحثّها ومساندتها على السير في هذا الإتجاه. ولم يخل أي عدد من الجريدة بعد ذلك من مسايرة التطورات والمسارات والأشـواط التي قطعها موكب الاتحاد في سبيل تحقيق الحلم الكبير وبناء دولة فدرالية قوية تستطيع مواجهة كل العواصف والتحديات، كما أولت الجريدة عناية كبيرة للمراسيم الاحتفالية التي أقيمت لإعلان قيام الدولة، وما تخلل ذلك من أحداث واحتفالات داخلية ورسائل وتبريكات وتهاني لأصحاب السمو بمناسبة تحقيق الوحدة وبناء الدولة.

ولم تكن جريدة الخليج بمعزل من ذلك الاهتمام، بل كانت حاضرة على أشدّها منذ صدور أول أعدادها في 17 أكتوبر 1970، داعمةً للخطوات الحثيثة نحو اتحاد الإمارات، وحفلت صفحاتها الإخبارية والسياسية بمواضيع هامة عن مسارات تحقيق الوحدة، وكانت منبرًا قويًا لعرض مختلف الأفكار والتحليلات الداعيّة إلى ضرورة الاتحاد، ونبذ كل الخلافات وتجاوز كل العوائق والصعوبات سبيلًا إلى تحقيق الهدف الأسمى. وقد أدى موقف الجريدة ودفاعها عن الحوزة الترابية للإمارات في مسألة الجزر إلى توقيفها عن الصدور في29 ديسمبر 1972 واستمر حتى 5 ابريل 1980.

وتحتفظ لنا أعداد الجريدة الصادرة بالتّزامن مع إعلان قيام الدولة بأخبار وصور ومعلومات عن اتحاد الإمارات وهياكله ومؤسساته، تعبيرًا عن مدى اهتمامها وتقديرها لقيمة الحدث، ومواكبتها لكل مستجداته داخليًا وخارجيًا.

الصحف العربية..اهتمام وتأييد

واكبت الصحافة العربية هي الأخرى، على غرار الصحافة الإماراتية،

مسيرة نشأة الإمارات، وأشادت بالحدث بوصفه سابقةً تاريخيةً جديرة بالاهتمام والتنويه، ولبنةً أولى في سبيل تحقيق الوحدة العربية المنشودة. وقد تجلى ذلك فيما نشرته بعض الصحف من أخبار تعكس ذلك الاهتمام بقوة، حيث نشرت صحيفة الرأي العام الكويتية مادة إخبارية في عددها الصادر بتاريخ 1968/1/18، عن التطورات السياسية في الخليج بعد إعلان الانسحاب البريطاني، والمخاوف التي قد تتعرض لها المنطقة إزاء ذلك.

ونشرت صحيفة الأهرام المصرية موضوعًا خاصًا في عددها الصادر بتاريخ 1968/1/19 تحت عنوان «الخليج العربي، بعد خروج النفوذ البريطاني من الجنوب جاء دور الخليج ليأخذ حريته كاملة»، واستعرضت الصحيفة في هذا المقال أوضاع المنطقة السياسية والاقتصادية والمخاطر المحدقة بها، كما نشرت في عددها الصادر بتاريخ 1968/3/1 مقالًا آخر تساءلت فيه عن مصير الإمارات بعد الإنسحاب البريطاني، ونوهّت بالجهود المبذولة لتحقيق اتحاد فدرالي يضم جميع إمارات الساحل المتصالح.

وفي اليوم التالي لإعلان قيام الدولة نشرت الأهـرام موضوعًا تحت عنوان: دولة جديدة في الخليج العربي «إعلان إقامة اتحاد الإمارات العربية ثمرة جهد شاق من أجل دعم الاستقلال وحماية المصالح العربية»، واستعرضت الصحيفة أخبارًا ومعلومات عن اتفاقية السّميح بين إمارتي أبوظبي ودبي، والعقبات والعراقيل التي كادت تعصف بفكرة الاتحاد، ثم معالم الدولة الجديدة.

وعلى هذا المنوال سارت بقية الصحف العربية الأخرى في بيروت وغيرها وإن بمستويات متفاوتة، تعبيرًا عن اهتمامها وانشغالها بما

زايد يعلن أول تشكيل للمجلس الوطني الإتحادي ديسمبر 1972

إعلان قيام الاتحاد ووثيقة الاستقلال 1971

يدور في إمارات الخليج، وقد كانت هذه الأخبار تصل تباعًا إلى المنطقة بوسائل شتى، وتتداول بين السّاسة والمثقفين على نطاق واسع.

الصحف البريطانية ..ضبابية المشهد

كانت الصحف الغربية والبريطانية على وجه الخصوص تتابع عن كثب المشهد السياسي في الخليج العربي، وتكتب على صفحاتها شذرات متنوعة من أخبار، ومعلومات لإحاطة الرأي العام البريطاني بما يدور في المنطقة، وكانت هذه المواضيع تتحدث عن علاقة بريطانيا بشيوخ الإمارات بالأساس، وعن تنحي الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان وتولي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مقاليد الحكم في إمارة أبوظبي.

واكبت الصحف المحليّة باهتمام شديد، رغم محدودية وسائلها حينئذ، كل المراحل والتطورات التي أفضت فيما بعد إلى قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث كانت تنشر كل الأخبار والتفاصيل المتعلقة بسير مشروع الاتحاد، والعقبات التي كانت تواجهه، والحلول المقترحة كبدائل لتجاوز تلك العقبات

وفي مايو عام 1961 علّقت صحيفة «التايمس اللندنية» على تعيين السير وليم لوس مقيمًا سياسيًا في البحرين بقولها: هل تستطيع بريطانيا أن تتقدم في الخليج، أم يجب أن تنسحب وتتخلى عن دورها السابق المعتمد، فقط، على معاهداتها التجارية للحصول على حاجتها من النفط؟

انصبّ اهتمام الصحف الغربية خلال هذه المرحلة بشكل كبير على أخبار الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان، فكان محور حديث «الدايلي اكسبرس» و«الصنداي تايمس» و«الفاينشال تايمس» خلال الأعوام 1962، 1964، 1965. وقد كانت مجمل هذه الصحف تطلّع على أخبار الإمارات من خلال مراسليها في الشرق الأوسط أو عن طريق مصادرها الخاصة، ولم تغمض عينها عن الحديث عن المنطقة وسياسات الحكومة البريطانية فيها نقدًا أو تمحيصًا لهذه السياسات. لذلك فقد شكّل إعلان الإنسحاب البريطاني من الخليج أواخر العام 1971 مادة دسمة تلقفتها بعض الصحف البريطانية للتأكيد على موقفها من سلبية الوجود البريطاني في المنطقة على المملكة المتحدة، وبادرت بشنّ هجوم لاذع عليها. وتزامنًا مع هذه التطورات أعلن دفيد لدجر المراسل البريطاني في دبي أن الانسحاب العسكري البريطاني من الخليج عمومًا أصبح شبه تام، وذلك في برقيته التي بعث بها إلى لندن في ديسمبر 1971. وعلى رغم من وجود أقلام بريطانية ناقمة كانت ترى صعوبة إمكانية قيام اتحاد قوي في المنطقة، إلا أن ثمة صحفيين كانوا متفائلين بخصوص مستقبل الخليج بعد الانسحاب البريطاني، ودافعوا عن الاتحاد بقوة من أمثال ريتشارد جونز مراسل صحيفة «الفاينشال تايمس» لشؤون الشرق الأوسط حيث قال: (إن تماسك الإمارات العربية لم يكن انجازًا ضئيلًا حقّقه زايد وراشد وزملاؤهما). بيد أن المشهد الصحفي البريطاني بشكل عام بدا غير واضح المعالم والتوجهات حيال الإشادة بالاتحاد أو لزوم الصمت، وإن كانت ثمة صور تكاد تكون واضحة، وأصوات جهورة ظهرت حينها مشيدة بالإنجاز العظيم الذي حققته الإمارات العربية، وكان في حضور لفيف من الصحافة الغربية مراسم إعلان قيام الاتحاد برهانًا ساطعًا على الاهتمام بالموضوع ولو على مضض.

هكذا كانت الصحافة على اختلاف مشاربها مرآة عاكسة لما كان يجري في الإمارات إبّان إعلان الاتحاد، حضرت وواكبت كل المراحل والأطوار التي توّجت بقيام الدولة، وتركت ذكرًا ما يزال خالدًا حتى بعد مرور أربع وأربعين سنة على قيام الدولة الإماراتية، التي تحتفي هذا العام بيومها الرابع والأربعين في حالة من الزهو والافتخار بالمنجز التاريخي العظيم الذي أسّسه مهندس الوحدة صانع الفرق المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وإخوانه حكام الإمارات، وما تحقق من مكاسب وإنجازات من مرحلة التكوين تلك إلى عهد التمكين في ظل قيادة صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة حفظه الله.

إنهم فتية آمنوا بربهم وبوطنهم ووحدتهم فكان لهم ما تمنوا من رغد العيش وهناء المقام وراحة البال، قدّموا الكثير من الإنجازات الخالدة والمشاريع الواعدة التي جعلت دولة الإمارات العربية المتحدة تتبوأ اليوم مكانة مرموقة في المحافل الدولية، حاضرة بقوة، وداعمة للعمل الإنساني على مستوى العالم، وناصرةً للجار والمظلوم، وتستشار ويؤخذ بمشورتها، ويطلب رأيها في أكثر القضايا الدولية تعقيدًا وحساسية.

هذا ما زرعه صانع الاتحاد لأبنائه وشعبه ووطنه والعروبة، فطوبى «لـ عيال زايد» بزرع الوالد وخلفه الذي كان خير خلف لخير سلف ■

> كانت الصحافة على اختلاف مشاربها مرآة عاكسة لما كان يجري في الإمارات إبّان إعلان الاتحاد، حضرت وواكبت كل المراحل والأطوار التي توّجت بقيام الدولة، وتركت ذكرًا ما يزال خالدًا حتى بعد مرور أربعة وأربعين سنة على قيام الدولة الإماراتية

بديت بسم اللي خلق الأرض والسما

الشاعر راشد بن سالم بن مسلم المنصوري

هذه القصيدة قالها الشاعر في 1972/12/2 في يوم قيام الوحدة باسم دولة الإمارات العربية

بِديتْ بسم اللّي خلَق الأرض والسما ... وْشَهر يهِلّ ونعرفه بِهلالْ
وقال الفهيم اللّي يدّل المثايل ... ومن قال قول بلا دليلٍ عال
ولانْقول قول الاّ إذا حل موجب ... ولي حَلْ مُوجبها نقول أمثال
مثايلٍ نفحص معاني بيوتها ... ونْعَرف مَطْلعها من المدخالْ
ونهنّي إمارات الخليج بْعيدهم ... بْعيد وحدتهم والاستقلالْ
بنوها بعزم وحلم والله عُوينهم ... وبنوها على وحدة وَزنْد رْجال
زايد لها رّيس وراشد نايبه ... وباقي الشيوخ إلْهُمْ تصير عْيال
الله يثبّتهُم على الحق والتقَى ... وعساهم مديمٍ للشعوب ظْلام
ويا سامعين الجيل سِمْعوا وصيّتي ... وصيّة فْهيمٍ والصحيح يْقال
خليجٍ كساه المجد والعزّ ينشرى ... ولا تصفُقْ اليمنى بدون شْمال
والطير لولا الريش ما طار بالهواء ... ولا ينْورد عِدٍ بدون حْبالْ
وزندٍ بليّا كفّ ما فاد صاحبه ... والحمل ما تَنْقلْه كود جْمال
والدار ما يِحماه إلاّ شعوبه ... والاّ غيرهم لي خلْصْ شقّه مال
وطنكُم ومرْباكُم وموروث جْدودكم ... بحرها وسهلها والجبل ورْمال
كسيتوه ثوب العزّ وانتم انْمارته ... وسوره إلى من عالَوْا العِيّال
ونحن شعبكم لي بالإمارات نفتخر ... ولا نستمع في من يقول وْقال
ونحن شعبكم اللّي ربينا بجالها ... تحت بِيارقكم سنين طْوال
هذا وصلى الله على سَيد الملا ... اعداد وبل السما هَطّل

صاحب بصمة في مسيرة الاتحاد

أحمد بن حامد

مؤسس الإعلام في الإمارات

فاطمة المنصوري*

«لقد عاهدنا الله دائماً أن نسير على هذا الدرب، درب العمل والكفاح المتواصل من أجل رفع شأن هذا البلد بقيادة زعيمنا ورائدنا ووالدنا الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان»(1) أحمد بن حامد, عندما نستذكر رجال الرعيل الأول، من وضعوا اللبنات الأولى لتأسيس أبوظبي الحديثة، ودولة الإمارات الرائدة، ترد إلى الأذهان أسماء تركت بصمتها في الأفئدة والعقول، بأفعالها وأقوالها وسيرتها الوطنية المميزة وعطائها لسنوات طويلة من العمل والجد والاجتهاد من دون كلل أو ملل.

الشيخ أحمد بن حامد - رحمه الله، أحد أهم تلك الأسماء، إنه أحد الوجوه التي سوف يذكرها تاريخ أبوظبي والإمارات، بل تاريخ المنطقة العربية بأسرها، وقد كتب عنه العديد من الصحفيين والكتاب، ومن أبرزهم الصحفي محمد لباده النابلسي الذي كتب: (لقد قابل الرأيُ العام في أنحاء إمارة أبوظبي ثقة صاحب العظمة الحاكم إسناد رئاسة دائرة الإعلام والسياحة إلى سعادة الشيخ أحمد بن حامد رئيس دائرة العمل والعمال والشؤون الاجتماعية بالغبطة التامة لما عرف عن سعادته من بذل الجهد في أداء رسالته في سبيل الخدمة العامة والإشراف المتواصل بنفسه على كل ما يخص دائرته الموقرة.. سيما وأنه موضع الثقة التامة لدى صاحب العظمة حاكم البلاد المفدى)(2).

وقف – رحمه الله - منذ البداية خلف القائد المؤسس المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان عندما تولى حكم إمارة أبوظبي عام 1966، فترأس دائرتي العمل والعمال، وشؤون الموظفين والسياحة في أبوظبي، ومن ثم برزت أدواره في مباحثات الاتحاد التساعي، فكان أحد الرجال الذين اعتمد عليهم المغفور له بإذن الله الشيخ زايد، فحمل الملف مع أصحابه ودافع عن موقف أبوظبي التي فضّلت الوحدة والاتحاد كخيار استراتيجي لمستقبل المنطقة، فكان لهم ما أرادوا.

التأسيس لمسيرة العمل الإعلامي من الصفر

تقف وراء ملامحه الهادئة وابتسامته اللطيفة – رحمه الله - سيرة رجل عاهد نفسه أمام الله والوطن والرئيس، والعمل بإخلاص، عبر التأسيس لمسيرة العمل الإعلامي -من الصفر كما يقال- حتى ثبتت أركانه واتضحت معالمه، ونجح في إيصال صوت أبوظبي ودولة الإتحاد إلى العالم أجمع.

شـدّ الرحال من عاصمة إلـى أخـرى، من القاهرة إلى بيروت، من أبوظبي إلى عمّان، تارة في دمشق، ومرة في تونس وأخرى في الكويت وهكذا . . . كان يدلي بتصريحاته التي تدافع عن الاتحاد وتشرح أهدافه وملامحه إلى العديد من المحطات الإعلامية والصحفية العربية والأجنبية في وقت أشعلت فيه قضية الاتحاد الرأي العام العربي والعالمي، وتساءل العالم عن هذه التجربة الفريدة من نوعها، هل يعقل أن تنتج الصحراء مثل تلك التجارب الفدرالية الناجحة؟ في وقت عجزت فيه الأيديولوجيات والتيارات الفكرية الناضجة عن ذلك!

لذلك لم تكن مهمة الإعلام بالمهمة اليسيرة، من هنا تبوأ الراحل –رحمه الله- تلك المكانة الرائدة التي لا بد من سرد بعض ملامحها اليوم ونحن نحتفل بمرور 44 عامًا على تجربة الوحدة الجليلة.

حتى تتضح معالم الصورة أكثر، نعم صورة المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وأصحابه الكرام رجالات أبوظبي والإمـارات الذين تفانوا في خدمة الاتحاد وإعلاء شأنه.

المفارقة العجيبة في سيرة هذا الرجل، إنه ترجل في ذكرى تأسيس الاتحاد، وكأنه يقول لقد سلّمت الأمانة في يومها في ذكراها، وكأنه يذكرنا بذلك – رحمه الله – بدوره

> كان يدلي بتصريحاته التي تدافع عن الاتحاد وتشرح أهدافه وملامحه إلى العديد من المحطات الإعلامية والصحفية العربية والأجنبية في وقت أشعلت فيه قضية الاتحاد الرأي العام العربي والعالمي

وإنجازاته التي لا بد من تدوينها في ذاكرة الاتحاد، فقبل أربع سنوات وفي عشية الاحتفالات بديسمبر من عام 2011، ترجل فارس الإعلام الشيخ أحمد بن حامد ليظل ذكره مرتبطًا أبدًا بذكرى الاتحاد الذي عاش حياته وفيًا له.

مناصب وأدوار عديدة

برزت أدوار الشيخ أحمد بن حامد من خلال رئاسته لدائرة السياحة والإعلام في أبوظبي قبل قيام الاتحاد، ومن ثم برزت أدواره في مباحثات الاتحاد، وقد شغل منصب أول وزير إعلام في تشكيل أول مجلس وزراء أعلنته إمارة أبوظبي في يوليو عام 1971، برئاسة سمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، وبعد قيام دولة الإمارات شغل – رحمه الله- منصب وزير الإعلام في أول تشكيل وزاري اتحادي، ومن باب التفصيل سنذكر – أدواره ومناصبه رحمه الله من خلال منجزاته العديدة.

قبل قيام الاتحاد

شغل المغفور له بإذن الله الشيخ أحمد بن حامد آل حامد، العديد من المهام والمسؤوليات قبل قيام دولة الإمارات، منها تولي رئاسة دائرتي العمل والعمال، وشؤون الموظفين والسياحة في أبوظبي، وقد برزت أهمية دائرة العمال والشؤون الاجتماعية في كون الامارة بدأت تستقطب أعدادًا كبيرة جدًّا من العمال القادمين للبحث عن فرص عمل فيها، فظهرت أهمية الدائرة في تلك الفترة خاصة فيما يتعلق بتنظيم شؤون الاستقدام وتوفير فرص عمل لأبناء البلد والإشراف على عملية تنظيم استخدام العمال الأجانب، والعمل على تسوية المنازعات العمالية، كما اهتمت الدائرة بتهيئة العمل لمواطني أبوظبي وفتحت ذراعيها لمواطني الخليج (3) والدول العربية لمساعدة الإمارة الناهضة، وتسجل الوثيقة التاريخية أسماء العديد من أبناء الدول الخليجية والعربية الذين كان لهم الفضل في تأسيس النظام الإداري في تلك الفترة ومنهم على سبيل المثال أحمد العبيدلي من البحرين وعبد الغفور حجازي، وعادل أهرام ووائل النابلسي وإبراهيم الصباغ وغيرهم من السادة الأفاضل(4).

كما تم في عهده وضع اللبنات الأولى لتأسيس الإعلام حيث تأسست إذاعة أبوظبي وتلفزيون أبوظبي رغم كون البدايات كانت صغيرة وبسيطة وبإمكانيات محدودة، إلا أن ذلك لم يثنهم عن الإقدام بكل ثقة حتى كتب لهم النجاح، كما سيتم ذكر ذلك لاحقاً.

مبنى الاذاعة و التلفزيون في أبوظبي سابقًا- شارع حمدان

دوره في مباحثات الاتحاد

برز الشيخ أحمد بن حامد في مباحثات الاتحاد شأنه في ذلك شأن رجالات أبوظبي الذين اعتمد عليهم المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان، كمعالي أحمد بن خليفة السويدي رئيس الديوان الأميري قبل قيام الاتحاد وأول وزير خارجية لدولة الامارات، وحمودة بن علي الذي أصبح أول وزير داخلية بعد قيام الاتحاد وخلف بن أحمد العتيبة الذي شغل منصب أول وزير للاقتصاد بعد قيام الاتحاد، ومحمد حبروش السويدي ومعالي الدكتور مانع سعيد العتيبة وغيرهم العديد من الرجال الأفاضل(5)، وقد برز دور الشيخ أحمد بن حامد في الاتحاد بشكل جلي، فقد حمل رسائل المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان إلى رؤساء الدول لشرح وجهة نظر أبوظبي اتجاه قضايا الاتحاد، كما تقلد العديد من المناصب، منها:

• عضو أصلي عن إمارة أبوظبي في المجلس الاتحادي المؤقت (6)، يعاونه كل من السيد خلف بن أحمد العتيبة، والسيد عتيبة بن عبد الله والسيد محمد بن خليفة الكندي (7). وهو المجلس الذي تولى دراسة العديد من المهام أبرزها توحيد النقد، وتوحيد البريد، وعلم الاتحاد ونشيده وشعاره الرسمي، وإنشاء جريدة رسمية للاتحاد (8).

•عضو لجنة أصحاب السمو نواب الحكام برئاسة الشيخ خليفة بن زايد عن إمارة أبوظبي، وضمت اللجنة كذلك كلًّا من السيد أحمد السويدي والدكتور عدنان الباجهجي والسيد خلف العتيبة، والسيد مانع بن سعيد العتيبة، والسيد محمد حبروش السويدي(9)، وكان دورها التمهيد للاجتماع الثاني للدورة الرابعة والأخيرة للمجلس الأعلى لاتحاد الامارات، تمهيداً لمناقشة الأمور وعرض جميع وجهات النظر حتى الوصول إلى اتفاق يرضي جميع الأطراف.

دوره بعد قيام الاتحاد

برز دوره جلياً كوزير للإعلام في أربعة تشكيلات وزارية متتالية منذ أول تشكيل وزاري في ديسمبر عام 1971، حيث تولى منصب وزير الإعلام، كما شغل منصب وزير الاعلام والسياحة في التشكيل الثاني للمجلس (23 مارس 1973)، وفي التشكيل الثالث للمجلس عام 1977 تولى منصب وزير الإعلام والثقافة، كما تولى المنصب ذاته في التشكيل الرابع لمجلس الوزراء الذي أعلن في أول يوليو عام 1979.

ويلاحظ مما سبق أن وزارة الإعلام قد تغيرت في التشكيل الوزاري الثاني لتضم الإعلام والسياحة، كما تغيرت في التشكيل

الثالث والرابع لتضم الإعلام والثقافة فقط دون السياحة، وهذا يبين لنا أدوار الشيخ حامد وبصمته المميزة في جميع تلك المجالات أي في مجال الإعلام والسياحة والثقافة، وذلك بحكم حقائبه الوزارية.

اعلام يناسب طموحات الدولة

عمل الشيخ أحمد بن حامد مع مجموعة مميزة من رجال الإمارات في تلك الفترة على وضع اللبنات الأساسية للعمل الإعلامي في أبوظبي العاصمة بشكل خاص وفي الإمارات بشكل عام، ومن أولئك الرجال نذكر معالي الدكتور راشد عبد الله النعيمي الذي شغل منصب وكيل وزارة الإعلام والسياحة عام 1972، ومدير دائرة الإعلام والسياحة في إمارة أبوظبي عام 1970، وسعادة سعيد الغيث الذي شغل منصب وزير الدولة لشؤون الإعلام، وسعادة الدكتور عبد الله النويس الذي شغل منصب وكيل وزارة الإعلام والثقافة منذ 1976 وحتى 1991، بالإضافة إلى سعادة الدكتور علي شمو وزير الإعلام السوداني السابق، الذي شغل منصب وكيل وزارة الإعلام عام 1974، والسيد عبد الله الطائي الذي ترك هو الآخر بصمة في تأسيس إعلام أبوظبي والامارات.

وأسهمت وزارة الشيخ أحمد بن حامد بالدور الكبير في تحقيق

رؤية المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان في بناء جهاز إعلامي قوي يناسب طموحات الدولة الاتحادية الناشئة وينقل أهدافها ورؤيتها للعالم أجمع باعتبارها أول تجربة عربية اتحادية فدرالية ناجحة ولدت من رحم الصحراء.

وهو دور ليس بالهين، وحتى نستطيع أن نفهمه يجب أن نحيط بتفاصيل تلك الفترة وأن ندقق في التفاصيل والإنجازات التي تمت على صعيد جناحي الإعلام في تلك الفترة؛ الداخلي والخارجي.

أولًا - على مستوى الإعلام الداخلي

1 - تأسيس وانطلاق إذاعة أبوظبي

(هنا إذاعة أبوظبي، يجب أن يغطي صوت أبوظبي من دولة الامارات كل أرجاء الأرض العربية)، هذا هو الشعار الذي رفعه الشيخ أحمد بن حامد وسعى إلى تحقيقه، وبدأ المسيرة الإعلامية في أولى خطواتها من إذاعة أبوظبي، فوضعت الدراسات وحددت الأهداف والرؤى وتم استقطاب أفضل خبراء الإذاعة على مستوى الوطن العربي من أمثال مصطفى أبو غريبة الخبير الإذاعي والتلفزيوني، محمد الغصين، غانم الدجاني، كامل قسطندي، محمد صوان وستانلي خوري وعائشة التيجاني(10)، فانطلقت إذاعة أبوظبي في الأول من فبراير عام 1969 بشكل تجريبي، وفي الخامس والعشرين من فبراير في نفس العام، انطلق صوت عربي يقول (هنا إذاعة أبوظبي)، ايذاناً بافتتاح الاذاعة رسمياً على يد المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان(11)، وبإشراف دائرة الإعلام والسياحة التي يرأسها المغفور له الشيخ أحمد بن حامد.

كان افتتاح الإذاعة حدثاً مهماً في ظل معطيات تلك الفترة، بل هو العتبة الأولى في ولوج أبوظبي إلى عالم الإعلام والكلمة المسموعة، فبمجرد افتتاحها انهالت عليها آلاف البرقيات والرسائل التي تحمل عبارات التهنئة والمباركة من جميع إمارات الدولة ومن دول الخليج المجاورة، فالحدث في يومه لم يكن بسيطاً بل هو بداية التفكك من عباءة العزلة(12).

كان افتتاح الإذاعة حدثاً مهماً في ظل معطيات تلك الفترة، بل هو العتبة الأولى في ولوج أبوظبي إلى عالم الإعلام والكلمة المسموعة

أبوظبي يا درة الخليج

وتسجل ذاكرة إذاعة أبو ظبي في يوم افتتاحها العديد من الأغاني الوطنية التي شدت مطربات عربيات شهيرات، منها على سبيل المثال المطربة سميرة توفيق التي شدت بأغنية تصف فيها معالم أبوظبي وجغرافيتها ونهضتها، تقول كلماتها:

يا ريـــس ياللي غـــادي
بالمركب فـــوق المـــيا
أنـــا ودي ومـــرادي
قـــوم برحلة بـــحرية
منوصل عـــاجزيرة داس
مـــن زمن قـــصدي زورا
قالوا عـــنها كثير الـناس
عن جبالا وصـــــخورا
وعاجزيـرة أم الـــشيف
يا ريس ياالله بـــــينا
نـــتـــفرج عالـــفريات
البترول اللي بأراضيـــنا
بهمة زايد بـــن ســـلطان
هالدهـــب صار مشاريع
صحة وثقافة وعـــمران
ونهضة وتعـــليم وتصنيع

كما صدح أثير أبوظبي في يوم الافتتاح بأبيات شعرية تختصر أبوظبي في سطور وتقول(14):

أبوظبـــي يا درة الخـــليج
أبوظبي يا زهـــرة الرمال
أبوظـبي ضـــمخت بالأريج
مرابع الفـــنون والجـمال
فامـــلأي الأرض بالأريـــج
أنت يـــا درة الخـــليج

وتغنت المطربة طروب بواحات العين العامرة ، تقول:

بأرض العـــين وأنا غـــادي
وطابت نعـمة الـــشادي
سمـــعت الطـــير بـــنادي
بلادي الخـــير يا بـــلادي
قصدت الهيـــلي والجيـــمي
ورحت حـــدا القـــطارة
وبالمـــويجعي احلا يـــومي
بنخيلا وحسن أشـــجاره
وللمسعودي كـان قـــدومي
وللمعترض كان لي زيـــاره

وتحت إلحاح المستمعين عزمت دائرة الإعلام على تقوية الإرسال، الذي بدأ بست ساعات، على موجة متوسطة قوتها 10 كيلوواط.

وفي الذكرى الثانية لعيد جلوس المغفور له الشيخ زايد، بدأت الإذاعة في بث برامجها على موجة متوسطة قوتها (50) كيلوواط، فامتد الإرسال إلى عشر ساعات يومياً، وفي أيام الجمعة والمناسبات الوطنية والدينية كان الإرسال يستمر من دون انقطاع من السادسة والنصف صباحاً حتى العاشرة والنصف ليلاً باللغة العربية، يتخللها برنامج باللغة الانجليزية.

حدث التطور الثالث عندما اكتمل بناء استوديوهات الإذاعة الجديدة في عام 1972، واستقل البرنامج الأوروبي بالبث على موجة متوسطة، أما البرامج العربية فبدأ بثها على الموجة المتوسطة وأصبح يغطي جميع مناطق الإمارات ودول الخليج (16).

وجنبًا إلى جنب الإعلاميين العرب، تسجل الذاكرة الإعلامية أسماء مجموعة من إعلامي أبوظبي الذين أسهموا بشكل مميز في تأسيس الإذاعة وتطويرها وتقديم البرامج الإذاعية فيها، من تلك الأسماء: سعيد السويدي، وعلي سالمين، ومحمد المحيربي، وسلطان الغيث. اهتمت دائرة شؤون الإعلام بتدريبهم ككوادر وطنية تواكب النهضة الإعلامية الناشئة.

وتنوعت البرامج الإذاعية بين الفترة الصباحية والمسائية، ومن تلك البرامج «دائماً تشرق الشمس»، وبرنامج «همس الصباح»، وبرنامج «تفسير آيات الله»، وتألق في أثير المساء برنامج «ليلنا كلمات» الذي كانت تقدمه الإعلامية سامية دياب (17).

2 - تأسيس تلفزيون أبوظبي

انطلق تلفزيون أبوظبي في السادس من أغسطس عام 1969 تحت إشـراف شركة طومسون الفرنسية Thomson(18)، وبدأ إرساله بأربع ساعات يومياً من السادسة والنصف مساء إلـى العاشرة والنصف مساء، وقد غلبت نسبة البرامج الأجنبية على البرامج العربية في تلك الفترة، إلا أن الموضوع اختلف عندما باشرت دائرة الإعلام إشرافها الفعلي على التلفزيون منذ منتصف نوفمبر عام 1969، فوضعت خطة مدروسة لتحقيق السياسة الإعلامية التي تناسب بناء مجتمع أبوظبي وتساير تطوره في تلك الفترة، فزادت البرامج العربية إلى 68,5 %، وروعي في البرامج التنوع لتناسب الفئات العمرية، وتم تخصيص برامج للأطفال وأخرى للنساء، وتنوعت الموضوعات بين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وسرعان ما

أثبت تلفزيون أبوظبي استعداده لتبوء مكانة مميزة بين محطات التلفزيون العربية والخليجية(20).

3 - تأسيس الصحف والجرائد

نقلة نوعية أخرى على المستوى الإعلامي، تمثلت في تأسيس جريدة الاتحاد لتكون أول جريدة على مستوى المنطقة ككل، وقد صدر العدد الأول منها يوم الاثنين 20 أكتوبر عام 1969، وكانت في البداية تطبع في لبنان بطريقة الجمع الآلي (لينوتيب)، وتصدر أسبوعياً، حوالي 2000 نسخة توزع مجاناً حسب توجيهات المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان(20).

منذ تاريخ 22- 4- 1972، صارت الاتحاد صحيفة يومية، بعد أن تم تدعيم جهازها بأفضل الخبرات الصحفية العربية، لتصبح الواجهة الإعلامية الرئيسة لأبوظبي ودولة الاتحاد (21).

في الفترة نفسها صدرت صحفية (أبوظبي نيوز) باللغة الإنجليزية، بتاريخ 5-7-1970، والهدف منها مخاطبة قطاع كبير من العاملين من غير قرّاء العربية، وإيصال أخبار الدولة الفتية إلى مناطق جديدة من العالم لا تتكلم اللغة العربية(22).

4 - تأسيس وكالة الأنباء المحلية (وام)

في عام 1975 قررت وزارة الإعلام تأسيس وكالة للأنباء المحلية، صرح بذلك وكيل وزارة الإعلام والثقافة بالوكالة في تلك الفترة علي شمو الذي قال إن الظروف المحيطة تستدعي إنشاء وكالة للأنباء المحلية تكون المصدر الرئيسي للأخبار.

وتقرر أن تستخدم الوكالة أجهزة الإعلام المحلية والصحف العربية وسفارات دولة الإمارات في الخارج لمدها بأخبار الدولة، اتخذت الوكالة من العاصمة أبوظبي مركزاً رئيسيً لها، يتم منه استقبال الأنباء من المراكز الفرعية وتحريرها ثم إرسالها إلى أجهزة الإعلام عن طريق أجهزة الميكيرنتر(23).

ثانيًا- على مستوى الاعلام الخارجي

لعب الإعلام الخارجي في الإمارات أدوراً عديدة هامة، أبرزها التعريف بتجربة الاتحاد منذ قيامها، وشرح أهدافها للعالم.

كما تبنى إعلام الإمارات القضايا العربية وخصص لها جزءاً مهماً، في مقدمتها القضية الفلسطينية والعدوان الإسرائيلي على الأراضي العربية، وقد ترجم الشيخ أحمد بن حامد ذلك في رده على سؤال الصحفي ياسر حجازي رئيس تحرير عمّان المساء، حول دور الإعلام في أبوظبي فيما يتعلق بالقضية الفلسطينة، حين أجابه قائلًا: «نحن نؤيد كفاح الشعب الفلسطيني تأييداً كاملاً، والقضية الفلسطينية هي قضيتنا جميعاً».

نشاط ثقافي بارز

اهتم الشيخ أحمد بن حامد بالنشاط الثقافي والفكري، وقامت الإدارة الثقافية في تلك الفترة بجهود تأسيسية جبارة، من أبرز ما يمكن ذكره هنا تأسيس العديد من المراكز الثقافية لسد الفراغ الفكري لدى شباب الدولة، وقد توزعت تلك المراكز على أبوظبي (مدينة العين)، ودبي والشارقة وعجمان وأم القيوين ورأس الخيمة والفجيرة، وتم تزويدها بالمكتبات العامة وقاعات المحاضرات والمسارح وشهدت مواسم ثقافية مميزة، وضعت دولة الامارات في مركز ثقافي مميز(24).

مشاريع سياحية تأسيسية

نفذت وزارة السياحة والثقافة في بداية عهدها العديد من المشاريع السياحية بهدف تشجيع السياحة الداخلية، أبرز تلك المشاريع مشروع «عين الفايضة» الذي يُعد البداية الحقيقية للفكر السياحي. وكان المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان يشرف بنفسه على كل مشاريع النهضة ومنها المشاريع السياحية وفي مقدمتها «عين الفايضة». وعلى نهجه سار رجاله؛ فقد حرص الشيخ أحمد بن حامد على الإشراف على المشروع وتفقده بنفسه، وهو يعتبر اليوم أبرز معالم العين السياحية بل وأجملها ربما.

أقيم المشروع في منطقة الفايضة (15 كم جنوبي مدينة العين)، جوار عين مياه قديمة تفيض باستمرار إلى المناطق المجاورة لتروي المزروعات. ومياه الفايضة معدنية ساخنة يمكن الاستحمام والاستجمام بين ينابيعها (25).

ومن المشاريع السياحية الأخرى التي شهدها السنوات الأولى من السبعينيات، استراحة في منطقة هيلي الغنية بالآثار، ونادي للسياحة في أبوظبي(26)، بالإضافة إلى فندقين كبيرين في كل من أبوظبي والعين، وخمس دور للضيافة في مدينة أبوظبي وخمس أخريات في العين، إضافة إلى إنشاء حديقة الحيوان عام 1971(27).

اهتمت الوزارة كذلك بالحفاظ على آثار الدولة وعرضها وأسست لذلك متاحف متخصصة، بدأت بمتحف العين الذي تم افتتاحه عام 1972(28)، وعقدت العديد من اتفاقيات التنقيب عن الآثار مع بعثات عربية وأجنبية للتنقيب عن آثار الإمارات، من أهمها اتفاقية بين أبوظبي والإمارات للتعاون الثقافي في مجال الآثار.

إنها سيرة نجاح رجل من رجالات زايد، أسس العمل الإعلامي في أبوظبي وفي دولة الامارات ووضع لبناته الأولى وحدد محاوره وأرسى أركانه.

إنها لقطات من مسيرة نجاح وتقدم وبناء أمة وحضارة رسم معالمها المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، ويكملها اليوم صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله، وولي عهده صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان نائب القائد العام للقوات المسلحة، ونائب رئيس الدولة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع، واخوانهم حكام الإمارات الكرام، الامارات التي أصبحت اليوم

محورًا أساسيًا في النظام الإقليمي الخليجي والعربي بل أصبحت تجربة فدرالية وإدارية واقتصادية ينظر إليها العالم بتقدير واحترام■

*باحثة من الإمارات

هوامش:

1 - جريدة الاتحاد، -10 -12 1970.

2 - خليفة العهد، محمد لباده النابلسي، الكويت، ط1، 1389هـ - 1969م، ص32.

3 - خليفة العهد، مرجع سابق، ص35.

4 - المرجع السابق، ص33.

5- نجم الدين عبد الله حمودي، قيام دولة الامارات العربية المتحدة (مذكرات ودراسات) ـ أبوظبي، ط1، 2004، ص 291.

6 - رياض نجيب الريس، وثائق الخليج العربي -1968 1971 طموحات الوحدة وهموم الاستقلال، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط3، 2002، ص106.

7 - المرجع السابق، ص 132.

8 - المرجع السابق، ص 134.

9 - المرجع السابق، ص 663.

10 - الشيخ زايد محطات وصور في الصحافة العربية، د. محمد المنصوري وجمعة الدرمكي، هيئة ابوظبي للسياحة والثقافة، ط1، 2015، ص30.

11 - جريدة الاتحاد، 20--10 1969.

12 - جريدة الاتحاد، الأربعاء- 30 --8 1972.

13 - الشيخ زايد محطات وصور في الصحافة العربية، مرجع سابق، ص30.

14 - المرجع السابق، ص30.

15 - المرجع السابق، ص31.

16 - جريدة الاتحاد، الأربعاء- 30 --8 1972.

17 - جريدة الاتحاد، 20-10-1969.

18 - شركة طومسون، شركة فرنسية تأسست عام 1892، وهي شركة متخصصة في ميادين متعددة كالاتصالات باستخدام الراديو، والتلفزيون والمصابيح الكهربائية والهواتف وغيرها. انظر في ذلك: http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Ektesad8/sec01.doc_cvt.htm.

19 - جريدة الاتحاد، -5 -12 1970.

20 - جريدة البيان، (رواد وذكريات)، -14 10 - 2005.

21 - جريدة الاتحاد، -30 -8 1972.

22 - المرجع السابق.

23 - وثائق دول الإمارات العربية المتحدة لعام 1976، مركز الوثائق والدراسات، أبوظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ص231.

24 - المرجع السابق، ص 232.

25 - جريدة الاتحاد، -20 -8 1972.

26 - جريدة الاتحاد، -9 -9 1971.

27 - عامان زاهيان في تاريخ إمـارة أبوظبي، مكتب الوثائق والدراسات، ديوان الحاكم ، أبوظبي، 1968، ص137.

28 - المرجع السابق، ص 136.

سفينة الاتحاد

الشَّاعر الأستاذ: أحمد خليفة السويدي

بمناسبة احتفال دولة الإمارات بيوم اتحادها الأربعين

اكـتُـبْ مـنَ الـشِّـعْـرِ بيتاً أيُّـهـا الـقَـلَـمُ ... أرى الإمـــاراتِ هـذا الـيـومَ تـبـتَـسِـمُ

هَـذي الإمـاراتُ سِـنَّ الـرُّشـدِ قـد بلغَتْ ... والاتـحـادُ عـلـيـهِ يُـرفَـعُ الـعَـلَـمُ

والـنَّـاسُ فـي فَـرحٍ والـكـلُّ مُـبْـتَـهِـجٌ ... والـشَّـعـبُ مُـنـسَـجِـمٌ والـشَّـمْـلُ مُـلْـتَـئِـمُ

ولْـنَـذكُـرِ الـيـومَ آبَـاءً لـنَـا سَـلـفُـوا ... قـد أسَّـسـوا دَولـةً تَـشْـدو بـهـا الأُمـمُ

وقـد بَـنَـوْا وحـدةً مـنْ بـعـدِ تَـفْـرِقـةٍ ... فَـمَـا اسْـتَـكـانُـوا ومَـا خَـارُوا ولاسَـئِـمُـوا

فـالـلـهُ يَـجْـزيـهـمُ خَـيْـراً ويُـسْـكِـنُـهُـمْ ... فـي جَـنَـةِ الـخُـلْـدِ فيها الـحُـورُ والـنِّـعَـم

كـانـتْ جُـهـودُهـمُ لـلـهِ خَـالِـصَـةً ... الـعَـزْمُ والـحَـزْمُ والإيـمـانُ والـهِـمَـمُ

وفـي الإمـاراتِ قـامَـتْ نَـهْـضَـةٌ شَـمَـلَـتْ ... شِـعـارُهـا الـعِـلْـمُ والإنـسـانُ والـقِـيَـمُ

أمْـسَـتْ دَعَـائِـمُـهَـا فـي الأرضِ راسِـخَـةً ... الـعِـلْـمُ مُـنـتـشِـرٌ والـجَـهْـلُ مُـنْـعَـدِمُ

وأصـبَـحَ الـنَّـاسُ فـي أمْـنٍ وفـي سَـعَـةٍ ... وفـي رَخـاءٍ وفـيـهِ الـقَـوْمُ قـدْ نَـعِـمُـوا

والـكـلُّ يَـدعـو بـأنَّ الـلـهَ يَـحْـفَـظُـهـا ... وفـي حِـمَـاهـا يَـعـيـشُ الـعُـرْبُ والـعَـجَـمُ

سـفـيـنـةُ الـخَـيـرِ سـارَتْ طُـولَ رِحْـلَـتِـهـا ... رغـمَ الـعَـواصِـفِ والأمـواجُ تَـلْـتَـطِـمُ

قــادَ الـسَّـفِـيـنَـةَ رُبَّـــانٌ لـهُ اجـتـمَـعَـتْ حُـسْـنُ الـصِّـفـاتِ ومِـنـهـا الـحِـلْـمُ والـكَـرَمُ

وقـــامَ إِخْـــوتُـــهُ والـمُـخْـلِـصـونَ لَـهُ وقـــرَّروا الـسَّـيـرَ بـاسْـمِ الـلـهِ واعـتَـصَـمـوا

وأيَّـــدَتْـــهُ جُـمـوعُ الـنَّـاسِ مُـخْـلِـصَـةً فـي سَـعْـيِـهِ وهـــوَ مَـحْـبـوبٌ ومُـحْـتَـرَمُ

حـتَّـى رسـتْ فـي خـلـيـجِ الـعُـرْبِ آمِـنَـةً واسْـتَـقـبَـلَـتْـهـا جُـمـوعُ الـنَّـاسِ كُـلُّـهـمُ

وأصْـبَـحـتْ دَولـــةً تَـرنـو الـقُـلـوبَ لها فـيـهـا الـتَّـسـامُـحُ والأخْـــلاقُ والـشِّـيَـمُ

أعْـمـالُـهـا فـي مَـجـالِ الـبِّـرِ بـــارِزَةٌ ودَورُهـــا فـي مَـجـالِ الـخَـيْـرِ مُـرْتَـسِـمُ

دبي: السبت 2011/12/10
الموافق: 15/ محرم / 1433

الاتحاد في الشعر النبطي

د. إبراهيم أحمد ملحم

حفلت الحياة البشرية على أرض الإمارات العربية المتحدة بأحداث تاريخية كثيرة، كانت تؤكد على الدوام أن القوة الحقيقية التي تقهر المعتدين، وتحقق التنمية والاستقرار والأمن في الحاضر وللأجيال القادمة ينبغي أن تكون نتاج إرادة جماعية، وقوة متكاتفة قد اتخذت في أغلب الأحيان من التحالفات القبلية مآربها السامية في تحقيق ما تريده؛ فاستطاعت بفعل هذه التحالفات، هزيمة أعتى القوى الاستعمارية كالبرتغاليين، وتمكنت من مواجهة البريطانيين الغازين على الرغم من عدم كفاءة القتال بين الطرفين من حيث عدد المقاتلين والعتاد. وقد نسجت الذاكرةُ الشعبيةُ الحكاياتِ، والخرايف، والأمثال، والأغاني الشعبية التي تحث على العمل المشترك، وتجعل للنزعة الفردية عواقبها الوخيمة.

كان الاتحاد للإنسان الإماراتي القديم حلمًا، ولكن تحالف بني ياس الذي تألف من عدد من القبائل العربية الأصيلة بزعامة آل نهيان، سرَّع الخطى نحو تحقيق هذا الحلم، إلى أن تصدَّر المشهد البطولي المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وأعلن قيام دولة الإمارات العربية المتحدة في 2 ديسمبر 1971؛ لتبدأ مرحلة التنمية الشاملة.

ولكون الشعر النبطي هو لسان الشعب الذي يجسد أفكاره ومشاعره وطموحاته، فيرى فيه كل مواطن التعبير الأمثل عمَّا يجول في داخله، فإننا لا نكاد نتصفح ديوانًا من الشعر إلاَّ ونجد فيه قصائد تحتفي بهذه المناسبة العظيمة. وسيتناول هذا المقال بعض القصائد التي قيلت في عهد المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وقصائد أخرى قيلت بعد تولي صاحب سمو الشيخ خليفة بن زايد ـ حفظه الله ـ رئاسة الدولة.

زايد يرفع راية الاتحاد

إذا كان الاتحاد بمنزلة نقطة البداية التي فاض بعدها الخير على الإمارات وشعبها، فإن الشيخ زايد بن سلطان بمنزلة البطل المتكامل الذي انتظره الشعب عبر تاريخه الطويل حتى يتجلى رافعًا راية مجده الخفاقة في سماء العالم، وفي هذا يقول الشاعر كيدش بن نعمان الكعبي(1):

إتحاد الخير مَبـــدا كل خيـــرْ
زايد الريِّس بنى صرحَه الكبير
يحتذي به من كبير ومن صغير
واخوته الحكَّام خَلُّوه المشـــير
إتحادٍ حـــــقَّق احـــلام كْبارْ
واعتلى خفَّاق للعـــالم مـنارْ
في الدوَل له شان عالي واعتبار
عاهَدوه عْهود واوْلُوه القـــرار

جاء الاتحاد مدفوعًا برغبة جماهيرية تتحقق عبرها الأحلام، وإرادة جبارة لتحويل هذه الأحلام إلى حقيقة يعيشها شعب الإمارات، وللمضي بصلابة نحو عصر القوة والخير. وإذا كان كل حاكم من حكام الإمارات يجسد رغبة كل فرد في الإمارة التي يحكمها، فإن اتفاقهم على تولِّي الشيخ زايد رئاسة الدولة الاتحادية هو تقدير كبير للدور البطولي المنوط به، وقد أثبت سموه في فترة قصيرة جدًّا من عُمر الدولة أن التماسك الوطني بين شعب الإمارات قادر على تحقيق الخير العميم لهذا الشعب، على المستوى الداخلي، وقادر على أن يُعلي شأن الدولة في المحافل الإقليمية والدولية، ويجعلها

نموذجًا يُحتذى في تحقيق الوحدة وسط عالم يسوده التمزق. يتحلَّى هذا البطل الفذ بقيم عربية أصيلة، تجعله جديرًا بقيادة شعب الإمارات نحو العزة والمنعة والرخاء، على الرغم من التحديات الصعبة التي تواجه الأمة العربية بوصف دولة الإمارات العربية المتحدة جزءًا حيويًّا منها(2):

زايد الريِّس له الباري نصـــير
راحِم المنكوب ويعين الضرير
شيخٍ ما له من نديد ومن نظير
زايد الزايد بحلمه والبـــصير
كمٍّ دَعوَه وكمٍّ تصريحٍ مـــِثير
للأشقَّا ما يصير إمَّا يـــــصير
تعلمون انكم على موضـع خطير
والختم صلُّوا على الهادي النذير
ينصره المعبـــــود علاَّم الاسرارْ
ساعَد المحتاج في كل الاقطارْ
داعيٍ للخير من شيـــوخٍ خْـــيارْ
يسبق الاحداث في خطٍّ المسارْ
للتســـامح والتـــآخي والاتـــــزارْ
جَرّبوا واخذوا من الريِّس افكارْ
صحِّحوا الاخطا وعـــيدوا الانتظارْ
عَدٍّ ما هَلّ السحب وبْل الامطارْ

عُرف الشيخ زايد بقيم سامية طال خيرها كل إنسان أصابه ضيرٌ أو

دعته الحاجة لطلب العون، أهمها: الكرم الذي ليست له حدود، والحلم، والحكمة، والتسامح. إضافة إلى الوفاء للأمة العربية حيث الدعوة إلى التآخي، والقدرة على التبصُّر بطبيعة سير الأحداث فيها. وهذا ما يجعل الشاعر يدعو الأمة العربية للاقتداء بشخصيته البطولية، واستشارته لحل قضاياهم المصيرية.

لقد صار الثاني من ديسمبر من كل عام عيدًا يتجلَّى فيه الوطن بأبهى صوره، ويتجلَّى فيه المواطن بقمة سعادته، تعبيرًا عن الوفاء للوطن والشكر لقيادته الفذة، وتعبيرًا عن التلاحم الاجتماعي ذي الطموحات والأهداف المشتركة. ولهذا، نجد الشاعر الكعبي في العيد السابع عشر يقول معبرًا عمَّا سبق(3):

عيدٍ تشعشع نورَه وطَـل
عيد اتحاد الخير قـد هَل
وتباشروا العُربان بالحـِل
طار النَّشِر في كل مـنزِل
والشعب بالكامل بيَحْـفل
وباقةْ زهور الورد والـفِل
عمِّ الوطن بافراح واسـعادْ
وانوَر وساد ربوع لبـلادْ
بالعيد يللي عَوَّدْ وعـادْ
فرحه اغمَرتْ شيَّاب واولادْ
بيقيم حفله سَبْع باعـدادْ
مهداه للريِّس بالـوكادْ

تشرق شمس هذا اليوم على الوطن متزامنة مع الابتهاج الذي يغمر قلوب المواطنين والمقيمين على أرض الدولة، وترتفع أعلام الدولة الاتحادية خفَّاقة فوق كل منزل فيها. وتقدَّم باقة من الورد إلى رئيس الدولة تعبيرًا عن المحبة والولاء لهذا البطل الذي يحمل راية الوطن الكبرى.

وفي الوقت الذي يؤكد فيه الشاعر تفرُّد البطل ممثلاً في شخصية الشيخ زايد، يشير إلى بطولة إخوانه حكام الإمارات والشيوخ جميعهم ـ الذين يستلهمون بطولته، ويسيرون على نهجه ـ حتى تبقى الإمارات العربية المتحدة، ليس في مستوى الحلم الذي تحقق فقط، بل ما يفوق هذا الحلم(4):

زايد زِعيم الشـعب بالكل
ربي خَلَق خَلْقَه ونـفَّل
زايد ويَللي خـالقه جَـل
يسعى لفعل الخير ويْحـل
يبذل جـهودٍ مضنيه تْحـِل
غاث الخصيب وكل ممـحِل
رحمه مـن الخلاَّق تـنزِل
دوله حَباها الخـالق بْظِل
زايد لـه الـتاريخ سَـجَّل
زايد لفعل الخير يعـمل
أسس بناء الـدوله وكـمَّل
يبذل قصارى الجـهد بالكل
وللعرب يـدعو بكل محفَل
وكل المشـاكل لازم تْحَل
حكمة حكيمٍ له الدهر ذل
دولة الامـارات تْبَهْلَل
تاريخهم بالمجد يـحفَل
والخَتم صلُّوا عدِّ ما هَل
قايد شجاعٍ ذا الوطـن قادْ
خلاَّق يصنـع كيف ما رادْ
زانه بصفاتٍ زِدٍّ لعـبادْ
كل الصعاب بْـرافَه وتادْ
فضله على كل الوطن سادْ
ما شحٍّ بِعل ايامه اسـعادْ
ربي عَطا والخـير يزدادْ
رحمه منَّه خلاَّق لعـبادْ
مجد وفخر بحروف لِمدادْ
لانَّه عَ فعْل الخير معـتادْ
قاد اتحاد بفخر وامـجادْ
قايد عظيمٍ درع وِسـنادْ
كونوا يدٍ وَحده عَ الاضـدادْ
بالسلم والحكمه والارشادْ
حكيم معدن نـاسٍ ايوادْ
تفخر بقاده شيـوخ امـجادْ
شيخان وِلْهُم شـورٍ يعادْ
بدرٍ ومن لمـغيب مـنقادْ

كان الشيخ زايد يجسد دور البطولة في فكر قلب كل مواطن إماراتي، وهو ما يؤكده قول الشاعر: «الشعب بالكامل»، وقوله: «الشعب بالكل»؛ فالقول الأول جاء في سياق سعادة الوطن/ أرض

الإمارات وشعبها، والقول الآخر جاء في سياق سعادة الإنسان/ الشعب في أرض الإمارات. ومعنى ذلك، أن الشاعر يعبر عن وحدة الشعب مع الوطن والقائد، وكأنهم جميعًا خلية حية واحدة؛ فالوطن هو الذي يحتضن أبناءه كما تحتضن الأم أبناءها، والقائد بمنزلة الأب الذي يرعى أبناءة ويحرص على أن ينعموا بالاستقرار، والرخاء، والأمن. وهذا ما جعل الشاعر يبرز قيمة الشجاعة التي توفر للشعب الطمأنينة؛ لأن هناك قوة تحميه وترعى مصالحه. وكذا يفعل الشيخ زايد مع أمته العربية التي أغدق عليها من كرمه ما استطاع، وكان درعًا وسندًا لها في أقواله التي تدعو للحكمة وحل المشكلات بالطرق السلمية، ودعوة العرب للسعي نحو الوحدة مستفيدين من تجربة الإمارات، وكذلك الدفاع عن قضاياهم المستجدة في المحافل الدولية، وأفعاله التي تمثلت في مد يد العون بكافة أشكاله. ولكون الشيوخ يمضون في خطى البطل، فإنهم أبطالٌ أمجاد يحفل تاريخهم بسجل خالدٍ من الأعمال الجليلة في خدمة الشعب وتحقيق أمانيه، وهذا ما يجعل يقين المواطن راسخًا بأن راية البطولة لن يطالها غدر الزمن ما دامت الحياة قائمة على الأرض.

راية الاتحاد تنتقل إلى خليفة

ترجَّل الشيخ زايد عن فرس الحياة الجامح في 19 رمضان 1425هـ الثاني من نوفمبر 2004، وانتقلت راية البطولة إلى صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان؛ ليواصل مسيرة الاتحاد بكفاءة واقتدار. ويقول الشاعر حميد بن خليفة بن ذيبان، في اليوم الوطني الواحد والأربعين، مؤكدًا أن الفارس الذي ترجَّل لم يمت؛ فقد بقي حيًّا بأبنائه الأبطال وشعبه الذي تربَّى على فكره وقيمه، وداعيًّا الله أن يوفق خليفته، وكذلك الشيوخ الكرام:(5):

واحد وزايد اربعيـــن وزايـــد
ما مات مـــن خلَّف وخـلَّف وايد
سردال دولتنا عجـيد وقـــايد
يسلم و»بوسلطان» خيـــره فايد
«زايد» على جميع البرية زوده
خلَّف «خليفه» ما خلف بوعوده
وحْنا حماته للوطن وجـــنوده
سحبه بشايرها تـــدنّ رعـــــوده

استخدم الشاعر كلمة (زايد) ثلاث مرات؛ فالكلمة الأولى تعني ما يُضاف على رقم أربعين بواحد (اليوم الوطني الحادي والأربعين)، والكلمة الثانية تعني ما يُضاف على (زايد) الفارس المترجِّل (زايد) آخر، ويعني به صاحب السمو الشيخ خليفة، وكأن هذا البطل هو امتداد آخر لوالده. وهذا ما يوضحه في البيت الثاني حيث يقول: «ما مات من خلَّف»، ويخص فيه بالذكر حامل راية البطولة بعده، ويذكر من قيمه السامية: الوفاء، والشجاعة، والكرم. هذه الرؤية

تجعل الشعب يدين بالانتماء للوطن وحمايته ضد أيِّ معتدٍ، والولاء للقائد بالالتفاف حول راية البطولة التي يحملها؛ ليوصل شعبه إلى مزيد من التقدم والنماء.

الفكرة المحورية نفسها: خلود البطل عبر أبنائه، وانتقال راية البطولة الاتحادية إلى خليفته، نجدها في قصائد كثيرة، ومنها قول الشاعر محمد بن يعروف بن مرشد المنصوري(6):

ما مات زايد لو يقولون لي مـــات
كلٍ خذا من شخص زايـــــد دلالات
مشوا على دربه بكل المهـــمات
إللي لهم في منهج العـــز رايـــات
أهل المروءة واليدين الصـــخيَّات
بين العظام عظام هيبه وســـادات
لهم مواقف في الأمور العظـيمات
إللي لهم في مسلك الطيب عـادات
ضخرٍ لنا وإن جاء إليال الصعيبات
أسمه ورسمه والبقاء في عـــياله
والكل منهم بالوصايف غـداله
الخلق خلقه والفـعايل أفعـــاله
مجدٍ على مجدٍ ونعمٍ رجـــاله
وأهل الكرم والجود وأهل الجـماله
والكل منهم مطلب العز نـــاله
تاريخ حاضرهم وعـــصرٍ مضـــاله
طيبٍ وعشنا كلنا في ظـــلاله
كان الدهر ميَّل علـــينا ميـــاله

لقد كان الشيخ زايد في حياته يُعد أبناءه؛ ليكونوا امتدادًا له في البطولة، ويمضون في النهج نفسه حتى يبقى الشعب آمنًا مطمئنًا، ينعم بالعزة والمجد. ومن القيم السامية التي يذكرها: المروءة، والكرم، والشجاعة عند الصعاب؛ إذ إنهم خير ملجأ ضد صروف الدهر. ولتأكيد أن البطل الذي يحمل الراية خفاقة، يقوى وجوده بإخوانه الأبطال من أبناء زايد ـ طيب الله ثراه ـ وبأخوانه الأبطال حكام الإمارات، فإن الشاعر المنصوري يذكر بعضهم مسلطًا الضوء على البطل حامل راية الاتحاد الكبرى، صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان(7):

نعم القياده والعقول الحكيمات
وخلَّف خليفه طبَّق النهج بثبات
خليفه الريس ورجل السـياسات
فتَّال حلاَّل العـقود الغـــليجات
وسلطان ومحمد عقولٍ بصـيرات
وأخوانهم أهل الوفاء والمـروات
إللي لهم في الطيب عاده وبصمات
وإلّهُم العيد سِعد ومســـــرات
عيد الوطن مبروك عيد الإمارات
من رأس ذاك العود نعم السلاله
مشى على دربه بخير وعـــداله
قاد المسيره والصعيب أرتـــكاله
بسياسه وفكره وجاهه ومـــاله
معه لهم وقفات في كل حـــاله
ذيك الفهود رجال خـير وســهاله
مورثٍ إلّهُم من عُصور الجـــهاله
إللي شهدنا اليوم كل إحـــتفاله
إللي علينا هلْ وأسفر هـــلاله

ينحدر هؤلاء الأبطال الأبناء من أصول عريقة، شهد لها التاريخ بالأصالة

وتجلَّت بأقوى صورها في شخصية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الذي أنجب الشيخ خليفة رئيس الدولة، وأنجب كلاً من: الشيخ سلطان، والشيخ محمد اللذين يؤزرانه بفكرهما المتبصر وعزيمتهما الصلبة. وجميعهم يسير على نهج القائد الوالد بثبات وبصيرة، وهم رجال المواقف الصعبة. أما أخوانهم حكام الإمارات، أو كما أسماهم الشاعر (أهل الوفاء والمروَّات)، فإنهم شجعان يسيرون أيضًا في خطى الراحل العظيم، وهم ذوو أصول عريقة بأمجادها منذ العصور العربية القديمة التي سبقت ظهور الإسلام، أو كما أطلق عليها الشاعر (عصور الجهالة). ولهؤلاء جميعًا يعود الفضل في بهجة هذا العيد الوطني الذي ينتظره شعب الإمارات العربية المتحدة في كل عام، كما ينتظر الناس بزوغ الهلال بفارغ الصبر؛ لتبدأ مظاهر الفرح على أوجها، وتبادل المباركة التي تتضمن الدعاء بأن يعيده الله على شعب الإمارات باليمن والخير والبركة.

لقد كان الاتحاد للإنسان الإماراتي القديم حلمًا في عالم يموج بالتفرُّق والتصادم من حولـه، ولكنه حين بات حقيقةً يعيشها الإماراتي المعاصر منذ الثاني من ديسمبر 1971، ويجني ثمراتها الطيبة على كافة الصُعد، بفضل جهود الشيخ زايد وإخوانه حكام الإمارات، تحوَّل الوطن والقائد إلى جزء لا يتجزأ من الروح نفسها عند كل مواطن. وقد بقيت راية الاتحاد التي انتقلت من الوالد العظيم إلى خليفته تعني وجود الإنسان الإماراتي، وعزتـه، واستقراره. وستظل هذه الرايـة، بعون الله تعالى، خفاقـةً في سماء الكون ما دامت قلوب الإماراتيين تنبض ■

كان الشيخ زايد يجسد دور البطولة في فكر و قلب كل مواطن إماراتي، وهو ما يؤكده قول الشاعر: «الشعب بالكامل»، وقوله: «الشعب بالكل»؛ فالقول الأول جاء في سياق سعادة الوطن/ أرض الإمارات وشعبها، والقول الآخر جاء في سياق سعادة الإنسان/ الشعب في أرض الإمارات.

أكاديمي أردني متخصص بالدراسات الإماراتية

الهوامش

1 - ديوانه، تحقيق: غسان الحسن، ومحمد إبراهيم الحديدي، نادي تراث الإمارات، أبوظبي 2006، ص12.
2 - المصدر السابق، ص12 ـ 13.
3 - المصدر السابق، ص18.
4 - المصدر السابق، ص19 ـ 21.
5 - جناديل (ديوانه)، تحقيق: فهد المعمري، نادي تراث الإمارات، أبوظبي 2013، ص57.
6 - الخوافي في غريب القوافي، إشراف: عتيق بن قنون الفلاسي، نادي تراث الإمارات، أبوظبي 2008، ص16.
7 -المصدر السابق، ص17 ـ 18.

حلم الإمارات العربية

أحمد سراج

يشتاق المصريون إلى زيارة بيت الله الحرام ومدينة رسوله في السعودية، ويحبون السوريين ، ويساندون الفلسطينيين ويقدرون المنجز اللبناني العظيم والدور الرائد في التاريخ المصري الحديث. أما الإمارات فهي الأقرب للقلوب. ولن يستغرب الباحث في علم الاجتماع أو السياسة أو الثقافة الشعبية حين يجد تطابقًا بين نظرة المواطن العامي والسياسي البراجماتي والمثقف العضوي والأكاديمي الحيادي؛ فالإمارات لدى الجميع على مسافة واحدة هي اللامسافة، ومن نافذة هذه العلاقة الوطيدة أطل على ما أحب: الإمارات.

لا يفصلنا عن جامع الأزهر سوى شارع صغير، ويرحب بنا مسجد الحسين بساحته الواسعة وأبوابه الضخم، نقف بين العالمين متبادلين الحديث الضاحك المتقطع فيما تلفنا روحانية المكان، يقفز رجل أوربي من أتوبيس السياحة، ضاحكًا وهو ينظر لي: are you from upper Egypte فيفاجئني صديقي أسامة البنداري: «مش احنا لوحدنا اللي بنقول عليك صعيد». ونسارع بالترحيب بالرجل.

هو آت للسياحة ومشاهدة الخيول العربية التي في مصر، يتحدث عن أفضل الخيول وعن مزرعة بمحافظة الشرقية وعن فرس رائعة اسمها الزهراء، وقتها كنا في مارس 1997.

يسأله أسامة عن راتبه؛ فيجيب بأن نصفه يذهب إلى التأمينات لكن النصف الآخر يكفيه ليحيا ويسافر، أسأله عن عدم وجود وحدة أوروبية فيقول: «نحن عرقيات مختلفة ولغات متعددة وثقافات متباينة، ماذا عنكم أيها العرب» فألمح ناصر منكس الرأس، وهارون الرشيد يحاول محو عبارته وهو يخاطب السحابة: «أمطري ما شئت أن تمطري فسيأتيني خراجك».

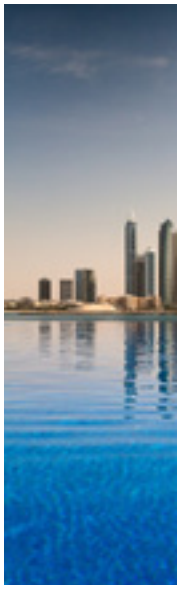

الوحدة العربية التي ندرسها في مدارسنا وجامعاتنا، يخفت صوتها بعد حرب العراق، ثم يصبح الحديث عنها مثارًا للسخرية في عالم بات الحفاظ على وحدة الدولة حلمًا يستلزم الكثير من التضحيات بالأمن والغذاء والحرية والعدل.

على الرغم من كون العرب جميعهم والمصريين خصوصًا يتحدثون عن «الإمارات» إما باعتبارها بلد الشعب المتسامح أو بلد العمل الكريم أو بلد المؤتمرات المميزة أو بلد المشروعات المبتكرة، فإن كثيرين لا يعرفون أن الإمارات كان يمكن ألا تكون إمارات وأن عدد الدول العربية كان يمكن أن يزيد ست دول أخرى لو لم تنجح حركة الاتحاد التي بدأت في نهايات العقد السابع «1969» من القرن العشرين وأثمرت عن وحدة سبع إمارات متجاورة في الساحل العماني، وأنه لو ظلت موافقة قطر وعمان على الانضمام للاتحاد لأصبحت الإمارات تسع وربما انتشرت عدوى الاتحاد عبر الحدود فوجدنا البلاد العربية وحدة واحدة.

ويبدو أن الأسئلة التي يفكر فيها المرء الآن هي: كيف تسنى لهذه الإمارات أن تظل متحدة ومزدهرة فيما تنقسم الدول ذاتها على

أنفسها؟ ثم كيف تتخذ مواقف بهذا الوضوح والصرامة سياسيًّا من دون أن تخشى عواقب الأمور على وحدتها؟

إن النظر إلى العوامل التي أدت إلى نجاح وحدة الإمارات هو محاولة لإيجاد طريق لإيجاد وحدة عربية أو إفريقية؛ ويمكننا أن نقر في شيء من الثقة بأنه توافرت للإمارات عوامل طبيعية وبشرية ساهمت بشكل قوي في تحقيق هذه الوحدة واستمرارها، لكن أهم هذه العوامل هو: «وعي الآباء المؤسسين؛ زايد بن سلطان آل نهيان وراشد بن سعيد آل مكتوم» رحمهما الله، وأظن أن غيري سيركز عليه لذلك فاسمحوا لي بالحديث عن:

وحدة الأرض؛ فالساحل العماني الذي يضم الإمارات أنهى وجود موانع طبيعية تحول دون قيام الوحدة، فيما كان عدم وجود الأرض المشتركة سببًا من أسباب سقوط الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا في العقد السادس من القرن العشرين.

إرادة الوحدة؛ فحين قررت إنجلترا الانسحاب كان يمكن للإماراتَين الكبريين أن تكتفيا بمساحتهما كما فعلت قطر وعمان وكان يمكن للإمارات الخمس الصغيرة أن ترفض الاتحاد ومساحاتهما قريبة من قطر وعمان إلا أن الوعي بأهمية الوحدة دفع إلى اتخاذ هذا القرار والإصرار عليه.

البناء الحداثي للدولة؛ فقد أُسست الإمارات على دستور ورؤية يلمح تطورهما ومحاولتهما الاستفادة بشكل مستمر مما يطرأ في العالم بدءًا من الاحتياجات الأساسية وانتهاء بالغايات الكبرى للمجتمع المتطور.

البنية التحتية القوية؛ ما تزال ألمانيا تعيش على طرق المواصلات التي أسسها هتلر، ولعل هذا من أسباب أن الدواء والكتاب يصلان لأي شخص داخل ألمانيا خلال أربعة وعشرين ساعة من طلبه له، ولا يمكن لدولة أن تكون بنيتها التحتية مؤسسة بإهمال أو تسرع إلا وتجد مشكلات مستمرة تؤدي إلى صراعات ناجمة عن سوء الخدمة وعدم وصولها لمستحقيها؛ لذلك فمن عوامل نجاح الإمارات هو تأسيسها بنية قوية واتقديرها لأهمية ذلك منذ البداية حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم؛ فوفق الإمارات اليوم: «حققت الإمارات المرتبة الأولى إقليميًا، والـ11 عالميًا، في مجال جودة البنية التحتية لوسائل النقل، ضمن «التقرير العالمي لتمكين التجارة 2012»، الصادر من المنتدى الاقتصادي العالمي بسويسرا. وتفوقت الإمارات في جودة بنيتها التحتية على العديد من دول العالم، مثل الولايات المتحدة الأميركية، وفنلندا، وبلجيكا. وصنف التقرير جودة البنية التحتية للإمارات في مراتب متقدمة عالميًا، قياسًا على النتائج التفصيلية التي كشف عنها التقرير، إذ حققت المرتبة الأولى في توافر الطرق المرصوفة والمعبدة، بين 132 دولة حول العالم، والمرتبة الرابعة على مستوى العالم في جودة البنية التحتية لقطاع النقل الجوي، كما تبوأت المرتبة السادسة عالميًا في جودة بنية الموانئ البحرية، والمرتبة السابعة عالميًا في توافر شبكة طرق ذات جودة عالية، تربط جميع مدن الدولة ببعضها بعضا».

السعي للبناء والإنتاج وتنويع مصادر الاقتصاد؛ على الرغم من كون الإمارات دولة نفطية فإن عوائد أنشطتها الاقتصادية (السياحة – العقار – التجارة) ونواتج شركاتها الاستثمارية في مختلف المجالات أكبر من عوائد البترول بكثير؛ فوفق تصريح وزير الاقتصاد الإماراتي، سلطان المنصوري لـ CNN: فإن عوائد البترول لا تتجاوز 30 % من الاقتصاد، وقد أوضح أن السبب في ذلك «أن الإمارات اتخذت منذ عام 1971 سياسة واضحة تقوم على تنوع الدخل والابتعاد تدريجيًا عن النفط الذي كان يشكل 90 في المائة من الناتج الوطني عام 1971، ولقد استطعنا تخفيض تلك النسبة بحيث لم تتجاوز عام 2013 حاجز 30 في المائة مع تطور قطاعات أخرى مثل الصناعة والخدمات.»

الاهتمام بالصناعات الإبداعية؛ تبلغ الصناعات الإبداعية 20 % من اقتصاد العالم، و25 % من اقتصاد الصين، وكبريات الشركات العالمية الآن هي العاملة في الصناعات الإبداعية (آبل، مايكروسوفت، أمازون، جوجل،

إن النظر إلى العوامل التي أدت إلى نجاح وحدة الإمارات هو محاولة لإيجاد طريق لإيجاد وحدة عربية أو إفريقية؛ ويمكننا أن نقر في شيء من الثقة بأنه توافرت للإمارات عوامل طبيعية وبشرية ساهمت بشكل قوي في تحقيق هذه الوحدة واستمرارها، لكن أهم هذه العوامل هو: «وعي الآباء المؤسسين؛ زايد بن سلطان آل نهيان وراشد بن سعيد آل مكتوم» رحمهما الله

سامسونج) وقد تحركت الشركات العملاقة الآن لاستيعاب هذه التطورات وسنجد طفرة في عالم الطب والسيارات وغيرها لقاء هذا التحرك، اللافت أن الإمارات تعطي لهذا الأمر اهتمامًا كبيرًا؛ سواء باستقدامها أكبر الشركات العاملة أو فتح متاجر كما تم الإعلان عن أن أكبر متجر لآبل في الشرق الوسط سيفتتح في الإمارات، أو من خلال تحديث سياساتها المالية: « أعلن نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، عن وضع استراتيجية تركز على الابتكار وتعزيزه ليصبح رافدًا أساسيًا للاقتصاد ويشكل خمسة في المائة من الناتج الوطني بحلول عام 2021.»

احترام قيم حقوق الإنسان؛ حيثما وجدت المساواة فثم ازدهار، وحين نقرأ أن حكومة دبي تعطي هدايا للمواطنين الذين يقدمون شكاوى ضد المخالفات التي يجدونها فإننا نرى أساسًا متينًا تقوم عليه الدولة.

للسبع إمارات: أبوظبي ودبي والشارقة ورأس الخيمة وعجمان وأم القيوين والفجيرة ولشعبها الواحد الحر كل الرجاوات أن تظل دولته هكذا؛ يسير أمراؤها في الشوارع دون حراسة، ويطبق القانون على الجميع فيحصلون على حقوقهم ويقومون بواجباتهم، وهنا ستصبح الإنجازات – وفق ويكيبيديا - التي تحققت درجة من درجات التقدم: «تأتي في المرتبة السابعة عالميًا من حيث احتياطيات النفط، وتمتلك واحدًا من أكثر الاقتصادات نموا في غرب آسيا. فهو يحتل المرتبة الثانية والعشرين على مستوى العالم في أسعار الصرف. كما إنها ثاني أكبر دولة في القوة الشرائية للفرد الواحد، وعلى نسبة عالية نسبيًا في مؤشر التنمية البشرية للقارة الآسيوية، وتحتل المرتبة الأربعين عالميًا. وتصنف على أنها ذات الدخل المرتفع والتطوير الاقتصاد النامي من خلال صندوق النقد الدولي.

إن الإمارات السبع التي اتخذت قرارًا صعبًا وقتها، وحافظت عليه حتى الآن، وأصبحت علامة على الجودة والرقي والإنسانية تستحق من العرب كل التقدير، وتستحق منا نحن المصريين مزيدًا من الحب لقاء مواقفهم النبيلة والثابتة منذ حرب السادس من أكتوبر التي انطلقت بعد عامين من إعلان دولة الإمارات وحتى كتابة هذه السطور

*روائي ومسرحي مصري

الطريق إلى الاتحاد

منّي عبد القادر

يعتبر قيام اتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة في 2 ديسمبر 1971 حدثاً تاريخياً مفصلياً في تاريخ الإمارات والمنطقة العربية برمّتها، نظراً لما انبى عليه من قيم، وما أحال إليه من رمزية قوية الدلالة أعادت فكرة الوحدة وطموح الاتحاد العربي إلى الواجهة من جديد، وعبّرت بجلاء عن إمكان تحقق ذلك الحلم متى ما توفرت الإرادة القوية والنية الصادقة والتوجه السليم.

لم تكن الإمارات العربية أو ما كان يسمى إمارات الساحل العربي أو المتصالح أو المهادن، كتلة واحدة حين خامرت هموم الوحدة القائد المؤسس الراحل المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه، بل كانت إمارات متفرقة عبثت بها أيدي الاحتلال البريطاني ومزقتها وحولتها إلى كيانات ضعيفة متناثرة على الساحل العربي، كما زرعت فيها بذور الشقاق والفتنة، ومع ذلك استطاع حكامها بإرادتهم القوية وعزيمتهم الصادقة أن ينتشلوا المنطقة من هاوية السقوط والعبث الاستعماري، ويوحدوا الصفوف تحت راية واحدة وقوية، أريد لها في البداية أن تضم تسع إمارات، لكن الظروف حالت دون ذلك، فكانت الإمارات السبع (أبوظبي، دبي، الشارقة، رأس الخيمة، عجمان، أم القيوين، الفجيرة)، وكان الاتحاد المبارك الذي جمع الكلمة ووحد الشمل.

الطريق إلى الاتحاد لم يكن مفروشاً بالورود بقدر ما كان محفوفاً بالعراقيل والصعوبات التي كادت تقف عقبة في وجه الوحدة لولا عزيمة صانع الاتحاد المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه، وتعلّقه بحلم الوحدة وتفانيه في تحقيقه، وذلك ما يتجلى بوضوح في ذكريات الوحدة وروايات الاتحاد التي يرويها أبناء الإمارات الذين وجدوا في كنف الاتحاد ضالتهم وغايتهم ورأوا فيه تحقيق آمالهم وطموحاتهم، كما يسردها من عايش الحدث وكان قريباً من مراكز اتخاذ القرار تفاصيله بكل دقة.

في كتابه زايد والاتحاد من مدينة العين إلى رئاسة الاتحاد، الذي يعتبر أول كتاب عن الاتحاد، يسرد الكاتب والدبلوماسي الإماراتي راشد عبد الله النعيمي ما تعالق في ذهنه من ذكريات عن تلك المرحلة، وما واكبها أو تخللها من صعوبات جمة كادت تعصف بالوحدة لولا عزيمة القائد الرائد المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان طيب الله ثراه.

وينقل النعيمي تلك الصورة المشرقة والبراقة التي تعبّر عن قوة إيمان الشيخ زايد رحمه الله بالاتحاد استناداً إلى أقواله ومواقفه، حيث يقول زايد رحمه الله :(الاتحاد أمنيتي وأسمى أهدافي لشعب الإمارات العربية، فأبناء هذه المنطقة جميعاً شعب واحد، إن أبناء هذه المنطقة جميعاً إخوة من أصل واحد؛ لغتهم واحدة ودينهم

الشيخ زايد رحمه الله وعدنان الباجه جي

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان- رحمه الله ونجم الدين عبدالله حمودي.

واحد، وحتى الأرض التي عاشوا عليها منذ آلاف السنين كانت دائماً وحدو واحدة، ولقد جمعهم التاريخ دائماً أيضا في صف واحد أمام الغزاة والطامعين وفي مواجهة المحن)، بل يذهب إلى التعبير بشكل أكثر شمولية عن طموحات وآمال أبناء الخليج عندما يصف الاتحاد بكونه مطلباً أساسياً من مطالب شعب الخليج العربي، وأصحاب العظمة حكام الإمارات أصدقاء وأشقاء، والاتحاد يحتاج إلى تضحية، وأنا سأبذل جهدي لقيام هذا الاتحاد». بيد أن ذلك لا يعني البتة عدم وجود عقبات ومنغصات واجهت مرحلة التأسيس والتكوين، لكن القائد الرائد كان يواجهها بزعيمة قوية وإرادة حازمة، ويقول: (أنا أعلم هذه العقبات، ولكنني لا أؤمن بالمستحيل، لنحاول في كل نتصوره مستحيلاً حتى يتحول المستحيل إلى مقربة من الواقع، ثم يصبح واقعاً نعيش فيه).

ويعقب النعيمي على هذه التوجهات المهمة بالتأكيد على أن أهم ما يميز خطاب الشيخ زايد رحمه الله هو الواقعية والبعد عن الكلمات الرنانة وعدم استمالة السكان بالشعارات الخاوية، بل كانت تصريحاته تؤكد صدقه ومحاولته الصبورة لقيام اتحاد الإمارات العربية المبعثرة على ساحل الخليج العربي.

وبعد ترتيب البيت الداخلي وما واجهه الشيخ زايد رحمه الله من صعوبات، وما قدمه من تضحيات وضمانات في سبيل تحقيق الحلم المنشود، كان عليه السعي بخطى حثيثة من أجل الحصول على التأييد العربي والاعتراف الدولي بهذه الخطوة الجبارة ومباركتها، وقد تحقق له ذلك في غضون فترة وجيزة.

ويرصد الكاتب والباحث الإماراتي إبراهيم الذهلي في كتابه (أبوظبي ..ذكريات من الماضي) شهادات عديدة لكوكبة من المسؤولين والنخب الذين واكبوا قيام الاتحاد وكانوا حاضرين وفاعلين في مختلف مساراتها، من أمثال الدكتور نجم الدين حمودي، المستشار السابق لوزارة الخارجية الإماراتية، إدوارد هندرسون، الضابط البريطاني المعروف على مستوى الخليج والمنطقة العربية، السيد فاكتور هاشم، مترجم شركات النفط الأجنبية العاملة بالخليج، السيد إسماعيل بداونة، إداري، معالي الدكتور عدنان الباجه جي، تولى منصباً في مجلس الوزراء.

وترصد شهادات هؤلاء الأعلام وذكرياتهم البواكير الأولى لقيام الاتحاد والظروف والملابسات التي اكتنفت قيامه، والصعوبات والتحديات التي واجهت المؤسسين الأوائل، ثم النقلة النوعية التي تزامنت مع قيام الدولة الإماراتية التي كانت

ادوارد هندرسون

إبراهيم الذهلي

عدنان الباجه جي

نجم الدين عبدالله حمودي

راشد النعيمي

معجزة زايد صقر الصحراء وفارس آل نهيان.

يتحدث الدكتور نجم الدين حمودي عن الصعوبات التي واجهت قيام الاتحاد منذ الوهلة، متتبعاً مسار اجتماعات الحكام والخطوات التمهيدية التي مرت بها، مؤكداً أن كل التحديات تم تجاوزها بفضل الإصرار والتمسك بالهدف.

ويركز إدوارد هندرسون شهادته حول سنوات الانسحاب والوحدة، أي من يناير عام 1967 حتى 2 ديسمبر 1971، وهي مرحلة حاسمة وفاصلة في تاريخ الإمارات المعاصر، وكانت حبلى بالأحداث والتطورات على الصعيد المحلي والعالمي، مستعرضاً من خلالها جهود الشيخين زايد وراشد طيب الله ثراهما في سبيل تذليل الصعاب والوصول بسفينة الاتحاد إلى بر الأمان.

ويستعرض الدكتور عدنان الباجه جي مسار انضمام الإمارات العربية المتحدة إلى الأمم المتحدة وبداية انطلاقتها كدولة مستقلة وحضورها في المحافل الدولية من خلال إيفاده إلى مجلس الأمن بطلب الموافقة على انضمام الإمارات إلى الأمم المتحدة، واضفاً ما واكب ذلك من تحديات أفضت في نهاية المطاف بالموافقة على الطلب الإماراتي ورفع علم الدولة عالياً في مقر الأمم المتحدة في نيويورك، لتبدأ بعد ذلك مرحلة جديدة من البناء والتشييد والحضور الفاعل على المستوى العربي والإقليمي والعالمي.

يرصد الكاتب والباحث الإماراتي إبراهيم الذهلي في كتابه (أبوظبي ..ذكريات من الماضي) شهادات عديدة لكوكبة من المسؤولين والنخب الذين واكبوا قيام الاتحاد وكانوا حاضرين وفاعلين في مختلف مساراتها، من أمثال الدكتور نجم الدين حمودي، المستشار السابق لوزارة الخارجية الإماراتية، إدوارد هندرسون، الضابط البريطاني المعروف على مستوى الخليج والمنطقة العربية

الطريق إلى الاتحاد كان صعباً ووعراً ومحفوفاً بالمخاطر والتحديات، ولكن الإرادة الصلبة والعزيمة الصادقة والرؤية الثاقبة والنظر الحصيف لمهندس الاتحاد وصانع الوحدة وباني الدولة المغفور له الشيخ زايد رحمه الله وإخوانه حكام الإمارات مهدت السبل وألغت الحواجز وتجاوزت المطبات والصعوبات بحنكة وحكمة مشهودة، فحق للإمارات أن تفخر وتفتخر بأولئك النجوم الأعلام والقادة الكرام وتباهي بهم العالم كله، إنهم فتية آمنوا بربهم فزادهم هدى ■

يشهد العالم وأنا عندي شهادة

الشاعر سعيد بن ماجد بن راشد العنصا المنصوري

قال هذه القصيدة بمناسبة عيد الاتحاد، مهنئًا المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.

قال من قلبه معه طوّل عناده ... لي نصحته قال بي شوق وحنينا
قال لي بسْعد في أيّام السعاده ... الفرح يحيي قلوب العاشقينا
آه من جفنٍ جفا لذّة سهاده ... ساهرٍ ليلي وربعي نايمينا
ياهني اللّي تهنّى في رقاده ... ما ساهر هويا العيال الطيّبينا
طالب اللّي ما لحدْ غيره عباده ... في السماء وأرض العرب والمسلمينا
مالك العرش العظيم له السياده ... منزل القرآن بالحق المبُينا
ربّ تنصر قائدٍ طوّل جهاده ... الزعيم القائد الحُر الأمينا
قائدٍ ملقي على اللّه أعتماده ... مخلص لله ربّ العالمينا
له تهاني العيد من جمله أحفاده ... والرجال اللّي إلّوطنهم مخلصينا
«بوخليفة» عاش رئيس للقياده ... دام حكمه للوطن جملة سنينا
له تهاني الشعب في يوم إتحاده ... والحرار اللّي معه متعاونينا
أنصرو شعبٍ توحّد في بلاده ... كافح بعزمٍ قوّيٍ لا يلينا
خيرنا ببلادنا واللّه زاده ... صرح شامخ للعُلا دُنيا ودينا
«بوخليفة» بلّغه ربّي مراده ... يعل يسلم من شرور الحاسدينا
يشهد العالم وأنا عندي شهاده ... للزعيم الحُر مطلوق اليمينا
الطفل عاده غريرٍ في مهاده ... ينطق إسمه قبل إسم الوالدينا
إلبست بنت الخليج أغلى قلاده ... م الذهب والماس والدُرّ الثمينا
إلبست ثوب الفرح ثوب السعاده ... كامل الأوصاف واللّون الحسينا
في حمى اللّي عِزّها راحة فؤاده ... دونها جيشٍ يردّ المعُتدينا
من بغى من قوليَ أيّة إفاده ... أَلف معنى عنديه للسائلينا
الوطن من عِزّته من عزّة أمجاده ... والأمر للّه واحْنا طائعينا
التغزّل يا نشاما شيء عاده ... واسمحولي يا اشْعارنا الحاضرينا

زايد بن خليفة

من زايد بن خليفة .. إلى خليفة بن زايد

اتحاد الإمارات، الحلم والإنجاز

سرور خليفة سالم الكعبي

الإنجازات العظيمة على مر التاريخ ولدت من حلم داعب أحد أولئك الذين يسبقون عصورهم، أو يفوقون مجايليهم في القدرة على تخيل غدٍ أفضل، في وقت لا يمكن للعقل أن يتخيل إمكانية تحقيق ذلك الحلم، ولا يتأتى تحقيق الحلم إلا بالإيمان الكامل بالقدرة الذاتية والإصرار على النجاح والإنجاز.

كذلك كان الحلم الذي راود قادة آل نهيان منذ البداية، وهم الذين آمنوا بأن وحدة الصف هي السبيل الوحيد الذي يمكن بواسطته تحقيق الإستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي لدولة الإمارات، والذي سينقل البلاد من حالة الصراع المستمر لبقاء الأقوى، إلى حالة التوافق لبقاء الكل، بل أكثر من ذلك عبر الازدهار والنماء في بقعة لطالما أُعتُبرت بأنها أحد أقفر بقاع الأرض وأقلها إستقطابا للإهتمام فى العالم، فيما عدا الممر المائي الذي تقع على ضفافه.

إن التاريخ ليعلمنا نحن شعب الإمارات، أن الوحدة كما كانت قدرنا، إلا أنها كانت حلماً راود عظماء قادتنا منذ القدم، فالوثائق قد أثبتت أن صاحب السمو المغفور له بإذن الله الشيخ/ زايد بن خليفة آل نهيان والملقب بزايد الكبير، قد دعا وعمل على تحقيق أول أشكال الوحدة السياسية في المنطقة والتي تشمل إمارات الساحل أجمع، لأنه كان يعي بفطنته وخبرته الواسعة، أن للوحدة تأثيراً إيجابياً على رأب الصراعات وطمس الخلافات ونبذ العداوات، وأن العمل الجماعي هو السبيل لتحقيق المصلحة المشتركة لأبناء البلد الواحد، كما وما سيكون للوحدة من قوة الموقف السياسي والعسكري، لحماية الأرض وتحقيق المطالب التي تحاول الدول القوية سلبها أو فرضها عليهم.

وقد تمكن يرحمه الله وبفضل إيمانه الراسخ بفكرة الوحدة والتعاون الوثيق بين الإمارات، من تشكيل أول نوع من الوحدة السياسية عبر تشكيل ما سمي آنـذاك «مجلس شيوخ إمارات الساحل المتصالح»، والذي وافقت على إنشائه الحكومة البريطانية ورعته إداريا، لتتمكن من السيطرة على مخرجات الإجتماعات التي يعقدها شيوخ الساحل والتي كان لابد أن تُسفِر عن رفض إستمرار البقاء الأجنبي فى البلاد.

ولأن الفكرة والإيمان بها، لا يحققان وحدهما إمكانية استمرارها وتطويرها بدون الرافد الأهم وهو المورد المالي الذي يمكنه توفير أهم روافدها وهو الاستقرار الاقتصادي خصوصاً على المستوى الشعبي، كان لافتقار البلاد لذلك قد أدى إلى عدم تطورها وفقدان المجلس لأهم عناصر النجاح وهو الدعم الشعبي، حيث استمرت القبائل العربية على فرقتها وتناحرها في سبيل البقاء.

وفي أربعينيات القرن العشرين ، تجدد الفكر الوحدوي بظهور صاحب السمو المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، الذي ورث عن جده الفكر المستنير والعزيمة التي لا تلين والإيمان بالوحدة، فما كان منه إلا أن بدأ من حيث إنتهى سلفه، فقام بتوحيد القبائل، وفرض الإستقرار الأمني، ودعم الاستقرار الاقتصادي على المستوى الفردي بالإمكانات المتاحة لديه، كما دعم التجارة في أول مراحلها وأبسط أشكالها، مرتكزاً على تشجيع الاستقرار المعيشي للقبائل والأفراد عبر تشجيع العمل بالزراعة لوقف الهجرات الداخلية، وخلق مصادر دخل ثابته لمعيشة الفرد والجماعة.

ولم يكن ظهور النفط في منتصف القرن العشرين المنصرم إلا مكافأة الأقـدار للجهود والأماني المخلصة الهادفة لجمع الكلمة، وإكمالاً للمقومات المطلوبة لتحقيق الوحدة المأمولة ونتائجها المتوقعة، فما كان منه رحمه الله إلا أن بدأ مباشرة بضخ تلك الأموال الطائلة في بناء البنية التحتية للبلاد، والتي كان واثقاً من أنها ستمكنه من تثبيت وتقوية وتحقيق الوحدة الوطنية على أسس لم تحظ بها في المرة الأولى.

وفي الثاني من ديسمبر عام 1971م تمكن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان – طيب الله ثراه – من تحقيق حُلمه بإنجاز مشروع الوحدة الوطنية في ربوع الساحل المتصالح كله وجَمْع شمله، فأصبحت له كلمة واحدة، فالجميع كانوا بحاجة للإتحاد الذي يجعل للبلاد كياناً سياسياً وإقتصادياً وإجتماعياً واحداً يُمكِنهُم من اللِحاق بركب العالم الحديث.

لقد كانت منجزات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان – طيب الله ثراه – في دولة الاتحاد منذ اليوم الأول مثار الإعجاب والاهتمام من العالم أجمع، فقد تمكن من تخطي جميع العقبات التي كان من الممكن أن تقوض البناء من يومه الأول، فكانت مقدرته على تجاوز معضلة الإحتلال الفارسي للجزر الثلاث في يوم الإنسحاب البريطاني، والحرب العربية الإسرائيلية التي أوقف فيها تصدير النفط وهو في أمس الحاجة لزيادة التصدير، وغيرها من المواقف الشجاعة التي لاتُحصى، قد أثبت أن الاتحاد في دولة الإمارات العربية المتحدة متجذر في أعماق القادة والشعب، وبقيادة أحد أحكم القادة العرب، مما لفت إليه انتباه العالم فأصبحت بلاده قبلة

الباحثين عن الاستقرار والعمل الشريف، والتي تحولت إلى خلية نحل تسابق الزمن لبناء الوطن.

وخلال أقل من ثلاثين سنة من عمر الاتحاد، تمكن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيب الله ثراه - من تحويل هذه البقعة الصحراوية التي أجمع الخبراء على عدم إمكانية زراعة أغلب أراضيها الصحراوية القاحلة المالحة، إلى حديقة وارفة الظلال، فأصبح الاقتصاد فى دولة الإمارات من أقوى الاقتصادات العربية والإقليمية والدولية، وأصبحت الحضارة في أوجها بعد أن تمكنت الدولة من خلق أجيال وأفواج من حملة الشهادات العلمية التقنية والاقتصادية والسياسية من أبناء وبنات الوطن لحمل الراية وتقوية الاتحاد، فيما تبوأت المرأة المكانة المرموقة والمشهودة في جميع عمليات البناء والتطور بفضل دعم القائد الباني والمؤسس، لتسبق ابنة الإمارات جميع النساء العربيات قاطبة، في تحقيق المطالبة بلعب الدور الواجب عليها في عمليات بناء الوطن.

وعندما تَرَجَل الفارس تلبيةً لنداء ربه، وبعد تأديته للأمانة التي كانت في عنقه، كانت الدولة تحظى بوجود أولئك الرجال والنساء الذين تربوا وتعلموا وتخرجوا من جامعة الشيخ زايد الكبرى، فآمنوا بمبادئه وساروا على نهجه، يدفعهم فى ذلك الطموح لإكمال رسالته، ولم يكن غريباً على قيادات الدولة أن تختار حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان – حفظة الله – قائداً خلفاً للباني المؤسس، وهو من واكب وساند القائد منذ البداية قبل النفط والاتحاد، فكان بحق خير خلف لخير سلف، وفي ذلك أقول :

إسمعوا يا ناس ... تغروده

فشف من قد عمنّا خيره

هو بناها الدار ... بجهوده
ما ذخر عن داره اذخيره
سيرته عطره ... ومحموده
زايد الزايد على غيـــره
ويوم لبـــي زقر ... معبوده
قادها اللي سار في سيره
هو خليفة حامي ... احدوده
راعي الفزعات و البيره
والشيوخ اللي هم ... اعضوده
بيت متوحد في هالديـــره
يعل نـوّن تســمع ... ارعوده
تسـقي إبـلادي تباشيـره
والمهـايا أترد ... واتروده
في أمان اللي ضفى خيره

لقد عمل الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان على تطوير وإستكمال مرحلة التأسيس والإنتقال الواثق بها إلى المراحل المتقدمة من بناء الوطن المؤسسي وتقوية المشاركة الشعبية في هذه المرحلة، فكان الإعلان عن برامج التمكين السياسي عام 2009 و إجراء انتخابات المجلس الوطني الاتحادي في 2011، والتي كانت الشاهد التاريخي على مستوى الثقة الحكومية بالوعي السياسي الذي يحظى به مواطنو البلاد ليسهموا بدعم مسيرة البناء والتطوير وترسيخ البناء السياسي للبلاد.

ولقد عمل صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان _ حفظه الله – يسانده إخوانه أعضاء المجلس وعلى رأسهم نائبه حضرة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم – رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، وسمو ولي العهد صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، على تقوية ودعم وتنويع مصادر القوة الإقتصادية للبلاد، والتي أصبحت تملك القاعدة المتينة الصلبة والثقة العالمية، التي أهلتها لتحظى بدعم تلك الدول وحصول الدولة على الطاقة النووية وبناء المفاعلات في إمارة أبوظبي وإستضافة المقر الرئيس للوكالة الدولية للطاقة المتجددة «إيرينا»، بينما حصلت إمارة دبي العاصمة التجارية والاقتصادية على ثقة العالم باستضافة المؤتمر الاقتصادي الأبرز في العالم «إكسبو».

لقد أصبحت الإمارات بفضل الوحدة وفكر الوالد المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد والآباء المؤسسين وعلى رأسهم المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي، وبفضل قيادة البلاد الرشيدة بقيادة حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان – حفظه الله – قبلة العالم وأمل الباحثين عن الثراء والأمن في آنٍ واحد، فهنيئاً لنا بالاتحاد ورحم الله والدنا وباني اتحادنا ونهضتنا الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان – طيب الله ثراه، وسدد خطى قادة بلادنا على دروب الخير والعطاء وعلى رأسهم حضرة صاحب السمو الشيخ / خليفة بن زايد آل نهيان – رئيس الدولة.

ستبقى الإمارات دائماً في قلوب أبنائها صرحاً عالياً، يجلله الفخار بالإنجاز ويحميه الشعور بالولاء ويجمعه المصير الواحد المشترك، وسيشترك أبناء الإمارات العربية المتحدة بترديد القسم لحماية الأرض والعرض في البر والبحر والجو، وسيكون دائماً كما قال صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي (الخبر طيب) ، وأنا اقول:

يا وطـــنّا لا تــراعي ولا تهــاب
الخبر طيب وانا عندي نباه
العلـــم مــرفوع في هام السحاب
ما نزل واحنا على قيد الحياة
حنا عرب زايـــد وعالين الجناب
ما انجهلنا وخبرنا محدن خفاه
من جهلنا يبشر بصافي اليـــواب
مثل نـــور الصبح لمينّه غشاه
ما نحب انعيش مـا بـين الهضاب
مثل طير الحـــر ما ينزل وطاه
ف الصعايب يندري الشايب شباب
لجل دينَــه للــوطن يدي وفــاه
واليـنـايــز لــي تِحــمَّل ع الرقــاب
الشــهادة فخــر واتغيظ العــداه
ويا بوخـــالد حنا جنودك ما نهاب
الخبــر طيــب وانا عندي نباه ■

معجزة في سماء العالم العربي

ناجي العتريس

«إن الوحدة العربية التي تعتبر دولة الإمارات نواتها ليست حُلمًا أو ضربًا من الخيال بل واقع يمكن تحقيقه إذا صدقت النوايا وتفاعلت الأماني والطموحات بالمساعي والعمل» هكذا قال مؤسس الإمارات ورجل الاتحاد الشيخ زايد طيب الله ثراه. والحديث عن تجربة اتحاد دولة الإمارات وعن هذا الرجل صنوان، لقد قام الرجل بواحدة من أنجح تجارب الوحدة في عصرنا الحديث، وهي نموذج مثالي لما يجب أن يكون بين دول العالم العربي، وتوضح كيف سَمت النفوسُ واندحرت المصالح الشخصية لتحقيق الحلم الذي بدا بعيد المنال، وأي وحدة بين أطراف متعددة لابد لها من الالتفاف حول هدفٍ والذوبان في بوتقة واحدة وتغليب العام على الخاص، وهو ما حدث، ففي الثاني من ديسمبر عام 1971م كان القرار الذي فتح الباب لإقامة وحدة بين الإمارات، وكان السعي في البداية إلى إقامة اتحاد تُساعي يضم قطر والبحرين إلى الإمارات السبع.

وخلال هذه المدة برز دور العملاق الشيخ زايد الذي سعى لإقامة هذا الاتحاد وظهر جليًّا فكره الوحدوي من خلال سعيه ولقاءاته المتعددة من أجل تحقيق الوحدة والتضامن سواء بين الإمارات المختلفة، أو بين دول الخليج بل بين دول العالم العربي ككل، وهو هدف آمن به، وبدا من تصريحاته قبل قيام الاتحاد تصميمه وعزمه على قيام الاتحاد مهما كانت التبعات.

وقد تحققت معجزة ميلاد دولة الإمارات العربية المتحدة بسبب رباطة جأش وحماسة الرجل الذي اختير رئيسًا للدولة المتحدة وتجددت رئاسته تلقائيا كل خمس سنوات وسرعان ما بدأت معالم الحياة تتغير تغيرًا متسارعًا نحو البناء والنهوض الشامل وتحققت طفرات واسعة على مختلف الصُعد وارتفع شأن الإمارات عاليًا خفاقا في سماء الدنيا بعد أن كانت إمارات متفرقة لا تتوافر فيها مقومات الدولة، وبفضل القيادة الحكيمة تحولت الإمارات السبع التي كانت متفرقة وفقيرة ودولة صحراوية إلى دولة تعد نموذجًا في الرقي والتقدم والبناء، وانتقلت نقلة حضارية أسطورية يتحدث عنها العالم ويقف أمامها مبهوراً؛ لقد تحدي «زايد الخير» الظروف الدولية الإقليمية والعراقيل التي وضعت للحيلولة

دون قيام الوحدة والتي استطاع أن يتعامل معها بطريقة دقيقة ويحقق المعجزة في مدة قصيرة.

كانت فلسفة حكيم العرب في البناء والتحديث فلسفة تستحق الدراسة والتأمل والاستفادة؛ فالرجل أولى اهتمامًا كبيرا للإنسان في جميع مراحل حياته؛ لأنه اعتبره أعظم استثمار لأية دولة تصبو إلى التقدم، وحرص على توفير المناخ الملائم للاستقرار العائلي، وجعل المرأة تتبوأ المكانة التي تستحقها، واهتم بالرعاية الاجتماعية لفئات واسعة من المجتمع ووفر لهم الرعاية الصحية وأدرك أن قوة الدولة تتجلى في تحقيق مؤشرات تنمية شاملة ومستديمة وتوفير البنية التحتية الملائمة.

وقد حظي زايد –رحمه الله- بشعبية هائلة بين أهله وناسه بالإضافة للمكانة الطيبة والاحترام الذي لقيه على المستوى العربي والدولي واحترام ملوك ورؤساء العديد من الدول العربية والأجنبية لهذا النموذج الفريد من الرجال.

آمن الرجل بأن الوحدة هي الطريق الأنجح لحماية المصالح العليا للأمة العربية والدفاع عن حقوقها في كافة المحافل الدولية وكانت كل تحركاته وسياساته من أجل تحقيق أكبر قدر من التضامن العربي، فلا غرو إن قلنا إن زايد –رحمه الله- هو رجل الوحدة العربية بلا منازع؛ لأن تجربته كللت بالنجاح والاستمرار في حين فشلت التجارب الأخرى ■

معركة تأسيس الدولة

"إن أهم إنجازات الاتحاد في نظري هي إسعاد المجتمع عن طريق توفير جميع سبل الرفاهية والتقدم لهذا الشعب"

(سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان – رحمة الله عليه)

د. وائل إبراهيم الدسوقي

حينما دعا بعض المثقفين الوطنيين في ثلاثينيات القرن العشرين إلى ضرورة قيام اتحاد بين إمارات الساحل المتصالح، شعرت بريطانيا بأن الصدام معها سيكون حتميًا إذا ما تحقق ذلك بعيدًا عن إشرافها، ومع ضغط التيار القومي المتنامي اقترحت عام 1932 إنشاء مجلس لشيوخ الساحل المتصالح، يناقشون فيه كافة أمورهم المشتركة، وينسقون عن طريقه خطط التنمية الاقتصادية، ويعملون على تنظيم السفر والنقد والبريد والتجارة، وكانت بريطانيا ترى فيه مجلسًا يمكنه تطوير أوضاع المشيخات بشكل لا يمس مصالحها.

وعلى الرغم من أن الحديث عنه بدأ في الثلاثينيات، إلا أنه تأسس فعليا عام 1952 تحت اسم «مجلس شيوخ الساحل المتصالح»، وكان استشاريًا يجتمع كل أربعة شهور بحضور حكام المشيخات السبع، وبدون لائحة تنظيمية، تنحصر مهامه في إصدار توصيات يقرر المسؤول البريطاني ما إذا كانت تصلح للتنفيذ أم لا. ولكن الأصوات كانت تعلو بين الحين والآخر للمطالبة بتحقيق وحدة حقيقية بين إمارات الساحل المتصالح، فلم يتوقف الشيوخ عن مقاومتهم للهيمنة البريطانية عليهم.

وكان الشيخ «راشد بن سعيد آل مكتوم» رحمه الله، مدركًا للواقع التعيس الذي فرضته بريطانيا على المنطقة؛ فقد عاصر كافة الأحداث الكبرى التي مرت على البلاد منذ عام 1939، حيث كان وليًا للعهد في إمارة دبي، وتيقن تمامًا من خلال سير الأحداث أن التنمية الاقتصادية هي الحل، وفكر في إيجاد نظام مصرفي حديث يعزز صورة دبي كمركز تجاري في المنطقة، ويضمن لها استقلالها، ويحجم من النشاط البريطاني في الخليج إذا ما قويت شوكة بلاده اقتصاديًا. فسعى لجذب مصرف ذي سمعة جيدة، واستطاع في 5

بالرغم من مقاومة الشيوخ المستمرة لبريطانيا، إلا أن الحال قد بدأ يتبدل بشكل أكثر فعالية حين تولى الشيخ «زايد بن سلطان آل نهيان» رحمة اللّه عليه حكم أبوظبي عام 1966، بعد أن كان حاكمًا للعين خلال فترة حكم أخيه، باعتباره أكثر كفاية وتمرسًا بمسؤوليات الحكم، وأكثر قدرة واستنارة في التعامل مع متطلبات التغيير وضروراته

لقد رأى الشيخ زايد أن المجلس القديم لم يؤد إلى توحيد الأنظمة بين المشيخات، رغم مرور سنوات على تأسيسه، بسبب وقوف بريطانيا ضد كل سبل التعاون الدولي مع إمارات الساحل العماني، ومع ذلك لم يكن بوسعها الوقوف في وجه تيار القومية العربية الزاحف إلى المنطقة بثبات وقوة

يناير 1954 إبرام اتفاقية مع «إمبريال بانك أوف إيران»، الذي عرف فيما بعد باسم (البنك البريطاني للشرق الأوسط). واشترط الشيخ راشد في الاتفاقية أن يلتزم البنك بتوظيف مواطني دبي، لتصبح الأمور في المستقبل بين أيديهم، وبذلك بدأ فى تحقيق استقلال اقتصادي لإمارته. وحينما تولى الحكم عام 1958، واجه الأزمات الاقتصادية الطاحنة التي مرت على دبي وإمارات الخليج الأخرى بدراية وسعة أفق منقطعة النظير، كما اهتم بنشر التعليم ومحو الأمية ونشر التوعية الصحية، وقام بعلاقات خارجية محدودة مع البلاد العربية وخاصة مصر. وأصبح يتطلع إلى تأسيس دولة كبرى تضم كافة الإمارات تحت إدارة واحدة، متحديًا بذلك إرادة بريطانيا.

كذلك عمل الشيخ «شخبوط بن سلطان آل نهيان» رحمه الله، الذي تولى حكم أبوظبي في الفترة من (1928 – 1966) على كسر شوكة بريطانيا، ومد سلطته على القبائل لتقوية مركزه دون إذنها. وحينما اكتشف النفط في أبوظبي عام 1962 عزف عن التعاون معها، لعدم ثقته في نواياها، فعملت بريطانيا على إلحاق إدارة سُميت «مكتب تطوير الإمارات» بمجلس شيوخ الساحل المتصالح عام 1965، بهدف زيادة الهيمنة البريطانية على الخليج العربي، والحد من سلطة الشيوخ.

وبالرغم من مقاومة الشيوخ المستمرة لبريطانيا، إلا أن الحال قد بدأ يتبدل بشكل أكثر فعالية حين تولى الشيخ «زايد بن سلطان آل نهيان» رحمة الله عليه حكم أبوظبي عام 1966، بعد أن كان حاكمًا للعين خلال فترة حكم أخيه، باعتباره أكثر كفاية وتمرسًا بمسؤوليات الحكم، وأكثر قدرة واستنارة في التعامل مع متطلبات التغيير وضروراته، وكان الشيخ زايد مسؤولا عن المنطقة الشرقية قبل توليه حكم أبوظبي، وأكسبه ذلك خبرة في شؤون الحكم، فامتد بسيطرته إلى منطقة الظفرة، واستطاع أن يسيطر على قرى البريمي، باستثناء القريتين التابعتين لمسقط، ونجح في إنشاء مشاريع مهمة للري، فضلًا عن تنظيم العملية التعليمية في العين قبل أبو ظبي نفسها، وفي عهده استقلت أبوظبي بعد أن انتهت العلاقة التعاقدية بينها وبين بريطانيا، وبرزت زعامته وقوته عندما لعب دورًا رئيسًا في تحقيق الاتحاد بين الإمارات العربية.

لقد رأى الشيخ زايد أن المجلس القديم لم يؤد إلى توحيد الأنظمة بين المشيخات، رغم مرور سنوات على تأسيسه، بسبب وقوف بريطانيا ضد كل سبل التعاون الدولي مع إمارات الساحل العماني، ومع ذلك لم يكن بوسعها الوقوف في وجه تيار القومية العربية الزاحف إلى المنطقة بثبات وقوة.

وعلى نحو مفاجئ قررت بريطانيا الانسحاب من ساحل الخليج العربي عام 1968، بجدول زمني ينتهي عام 1971، وكانت دوافعها لاتخاذ هذا القرار عديدة، أبرزها كان التزايد الواضح للوجود الأمريكي بالخليج، والذي اتبع سياسة الباب المفتوح فيما يتعلق بمناطق النفط، كذلك تنامي الوعي القومي بالخليج العربي، بالإضافة إلى النشاط السوفيتي، وتدهور اقتصاد بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية، والذي استمر لعشرات السنين، حتى أن الجنيه الإسترليني انخفضت قيمته منذ عام 1967 فقررت الحكومة تقليص نفقاتها العسكرية والبدء في سحب القوات المتناثرة خارج الجزيرة البريطانية، والخضوع لرغبات الرأي العام الإنجليزي بعدم الإصرار على التمسك بقواعد عسكرية تقليدية كثيرة النفقات مثيرة للمشاعر الوطنية.

وأصبح الخليج العربي في حالة فراغ سياسي ينتظر من يملأه، فاقتنص الشيخ «زايد بن سلطان» الفرصة، وبدأ في نشر دعوته لإنشاء اتحاد إمارات الساحل المتصالح، وأعلن أنها فرصة لا يمكن تعويضها، وأنه يجب استبدال الاتفاقيات القديمة مع بريطانيا باتفاقيات تعاون وصداقة، ليس معها وحدها ولكن مع العالم أجمع، واقتنع حكام إمارات الساحل بفكرته واقتنعوا بضرورة الاتحاد لملء الفراغ الذي سببته بريطانيا بانسحابها المفاجئ، وابتعدوا بفكرهم عن إعادة تفعيل مجلس حكام الساحل المتصالح، لأنه ثبت -وبالتجارب العملية - أنه عجز عن تحقيق الأهداف التي تأسس من أجلها، أو حتى تطوير نفسه في شكل تنظيم اتحادي. ونعتقد أن الأمر الذي أكد على ضرورة الوحدة هو توافق الرؤى بين الشيخ

> كان الشيخ «زايد بن سلطان» يشعر بصعوبة ضم البحرين وقطر إلى الاتحاد منذ البداية، فقد صرح في شهر أكتوبر 1968 بأنه إذا لم يتم الاتفاق بين «التسع»، فمن الممكن إقامته بين«السبع»، وكان قد أخذ قراره بزيادة عدد قواته المحلية بما يتجاوز حاجات أبو ظبي، ولا شك أن ذلك كان خطوة في طريق زعامة الاتحاد بعد انتخابه رئيسًا لدولة الاتحاد خلال سير المداولات

«زايد» والشيخ «راشد» –رحمهما الله؛ وقد أدركا ذلك جيدًا، وفي 22 يناير 1968 أصدرا بيانًا مشتركًا استعرضا فيه كل الوسائل الكفيلة بدعم تعاونهما وتكاتفهما، في حين قدمت قطر من جانبها مشروعًا يتضمن إنشاء اتحاد للإمارات العربية في الخليج، كما استكملت المفاوضات بين حاكمي أبوظبي ودبي، وصدر عنها اتفاق ثنائي تم توقيعه في فبراير 1968، ومن خلاله اتحدت أبوظبي ودبي كدولة فيدرالية واحدة، تكون فيها السياسة الخارجية والدفاع والأمن مشتركة، وبموجب هذا الاتفاق تم حل مشكلة الحدود مع دبي للأبد.

واستطاع الشيخان بعد جهد إقناع الحكام بفكرة الاتحاد وإلحاحها، فأصبح جلَّ اهتمامهم تحقيق حلم قيام اتحاد فيدرالي بين إمارات الخليج العربي التسع (إمارات ساحل عمان السبع، ومعهم قطر والبحرين). ودعيا في بيانهما حاكمي قطر والبحرين للتداول حول مستقبل المنطقة، وبالفعل توالت المشاورات التي أسفرت عن اتفاق الحكام على إجـراء مباحثات لتأسيس دولـة «اتحاد الإمـارات العربية» في الخليج والتي بدأت في 25 فبراير 1968.

ويبدو أن الشيخ «زايد بن سلطان» كان يشعر بصعوبة ضم البحرين وقطر إلى الاتحاد منذ البداية، فقد صرح في شهر أكتوبر 1968 بأنه إذا لم يتم الاتفاق بين «التسع»، فمن الممكن إقامته بين«السبع»، وكان قد أخذ قراره بزيادة عدد قواته المحلية بما يتجاوز حاجات أبو ظبي، ولا شك أن ذلك كان خطوة في طريق زعامة الاتحاد بعد انتخابه رئيسًا لدولة الاتحاد خلال سير المداولات.

لم يكن طريق الاتحاد سهلًا، فمنذ ذلك التاريخ وحتى يونيو 1970 دخلت المباحثات في حلقة مفرغة، واختلف الحكام على عدد من المسائل حول توزيع المناصب الرئيسية، وبعض مواد مشروع الدستور النهائي والموازنة العامة، فضلًا عن تدخل «جيمس ترودیل» المعتمد السياسي البريطاني في أبوظبي أثناء جلسات المباحثات. أيضًا مشكلة توحيد الأنظمة الإدارية، فلم يكن باستطاعتهم توحيد أنظمة النقد، رغم تدهور أسعار «الروبية الهندية» التي كانت مستخدمة في المشيخات آنئذ. ذلك التدهور الذي كان من الطبيعي أن يؤدي إلى أن تتوصل المشيخات إلى نظام واحد بديل، لكن الأنظمة النقدية لم تلبث أن تعددت. كما احتجت إيران على انضمام البحرين للاتحاد الجديد، بسبب إدعاءاتها السيادة عليها، كذلك تفجر الخلافات بين قطر والبحرين بشأن توزيع المناصب. وحينما توسطت الكويت لحل تلك المشاكل فشلت مساعيها، وحدث الشيء نفسه حينما سعت المملكة العربية السعودية لإيجاد حل. الأمر الذي أدى إلى إعلان كل من قطر والبحرين كدولتين مستقلتين، فقرر باقي الأطراف أن يكون الاتحاد سباعيًا، يضم إمارات ساحل عمان السبع فقط.

وبالفعل قام الشيخ زايد –رحمه الله- بإعلان الاتفاق على قيام دولة اتحادية تضم إمارات ساحل عمان في 18 يوليو 1971، بدون إمارة رأس الخيمة التي حالت بعض الظروف دون انضمامها منذ البداية، وصدر الدستور المؤقت الذي نص على أن يكون للدولة الاتحادية خمس سلطات، وهي «المجلس الأعلى للاتحاد» ويتكون من حكام الإمارات المتحدة، ويعتبر أعلى المؤسسات في الدولة وله قوة تشريعية وتنفيذية. كذلك «رئيس الدولة ونائبه». بالإضافة إلى «مجلس الوزراء»، و«المجلس الوطني الاتحادي الاستشاري». وحدد الدستور مهام «السلطة التشريعية والقضائية»، وتقرر تأسيس عدد من المحاكم على رأسها المحكمة الاتحادية.

واختير الشيخ «زايد بن سلطان آل نهيان» حاكم أبوظبي رئيسًا لدولة الاتحاد واختيرت أبوظبي عاصمة مؤقتة لها، وأصبح الشيخ «راشد بن سعيد آل مكتوم» حاكم دبي نائبًا للرئيس، وبناء على النظام الذي أقروه للاتحاد تمتعت كل من أبوظبي ودبي بمركز ممتاز فيه، حيث يشترط موافقتهما على كل قرار يصدره المجلس الأعلى، ولكل منهما ثمانية مقاعد في المجلس الاستشاري، وست مقاعد للشارقة، وأربعة لكل من عجمان والفجيرة وأم القيوين.

وقد جاء في نص ديباجة الدستور المؤقت للاتحاد:

«نحن حكام إمارات أبوظبي ودبي والشارقة وعجمان وأم القيوين والفجيرة.. نظرا لأن إرادتنا وإرادة شعب إماراتنا قد تلاقت على قيام اتحاد بين هذه الإمارات، من أجل توفير حياة أفضل، واستقرار

أمكن، ومكانة دولية أرفع لها ولشعبها جميعا.. ورغبة منا في إنشاء روابط أوثق بين الإمارات العربية في صورة دولة اتحادية مستقلة ذات سيادة، قادرة على الحفاظ على كيانها وكيان أعضائها، متعاونة مع الدول العربية الشقيقة، ومع كافة الدول الأخرى الصديقة الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة، وفي الأسرة الدولية عمومًا، على أساس الاحترام المتبادل وتبادل المصالح والمنافع. ورغبة كذلك في إرساء قواعد الحكم الاتحادي خلال السنوات المقبلة على أسس سليمة، تتمشى مع واقع الإمارات وإمكاناتها في الوقت الحاضر، وتطلق يد الاتحاد بما يمكنه من تحقيق أهدافه، وتصون الكيان الذاتي لأعضائه بما لا يتعارض وتلك الأهداف، وتُعد شعب الاتحاد في الوقت ذاته للحياة الدستورية الحرة الكريمة، مع السير به قدمًا نحو حكم ديمقراطي نيابي متكامل الأركان، في مجتمع عربي إسلامي متحرر من الخوف والقلق.. ولما كان تحقيق ذلك من أعز رغباتنا ومن أعظم ما تتجه إليه عزائمنا، حرصًا على النهوض ببلادنا وشعبها إلى المنزلة التي تؤهلهما لتبوء المكان اللائق بهما بين الدول المتحضرة وأممها.. ومن أجل ذلك كله وإلى أن يتم إعداد الدستور الدائم للإتحاد، نعلن أمام الخالق العلي القدير، وأمام الناس أجمعين، موافقتنا على هذا الدستور المؤقت المذيل بتوقيعنا، ليطبق أثناء الفترة الانتقالية المشار إليها فيه... والله ولي التوفيق، وهو نعم المولى ونعم النصير».

ولحماية مشروع الاتحاد من أية مخاطر من الممكن أن تتعرض لها البلاد، بادر الشيخ راشد بإصدار أمره إلى الشيخ «محمد بن راشد» بإنشاء قوة للدفاع بإمارة دبي عام 1971. والتي استمرت في عملها إلى جانب قوة أبوظبي العسكرية حتى تقرر دمج القوات المسلحة في الإمارات دمجًا اتحاديًا عام 1976، وتولى الشيخ «محمد بن راشد» منصب وزير الدفاع، وتغير اسم قوة دفاع دبي إلى اسم «المنطقة العسكرية الوسطى».

واكب ظهور الدولة الجديدة إلغاء جميع المعاهدات والاتفاقيات التي أبرمت بين الإمارات وبريطانيا طوال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، واستبدلت جميعها بمعاهدة صداقة، فتحت صفحة جديدة للعلاقات بين دولة الإمارات العربية المتحدة وبين بريطانيا، وانضمت الدولة المستقلة إلى الأمم المتحدة وإلى جامعة الدول العربية لتبدأ عهدًا جديدًا من الاستقلال والسيادة

وفي الثاني من ديسمبر عام 1971 عقد اجتماع في قصر الجميرا في دبي، والذي أصبح يسمى «دار الاتحاد»، حيث تم الإعلان رسميًا عن تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة. وتتكون من الإمارات المتصالحة الست: (أبوظبي، دبي، الشارقة، عجمان، أم القيوين، الفجيرة)، كما رفع للمرة الأولى علم الدولة الجديد بألوانه: (الأحمر والأخضر والأسود والأبيض).

وردت إيران على قيام الدولة الجديدة باحتلال جزر أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى التي تتبع إمارتي الشارقة ورأس الخيمة في 29 نوفمبر 1971، أي قبل الإعلان الرسمي بيومين، واعتبرت أن ذلك الإجراء يرتبط بأمنها القومي، وسط استنكار العالم.

وفي 10 فبراير 1972 تقدم الشيخ «صقر بن محمد القاسمي» حاكم رأس الخيمة بطلب إلى المجلس الأعلى للاتحاد حتى تنضم إمارته وملحقاتها إلى دولة «الإمارات العربية المتحدة»، وقرر المجلس زيادة عدد مقاعده المنصوص عليها في المادة 68 من الدستور المؤقت ستة مقاعد تخصص لإمارة رأس الخيمة وملحقاتها.

وكان من الطبيعي أن يواكب ظهور الدولة الجديدة إلغاء جميع المعاهدات والاتفاقيات التي أبرمت بين الإمارات وبريطانيا طوال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وقد حدث ذلك بالفعل واستبدلت جميعها بمعاهدة صداقة، فتحت صفحة جديدة للعلاقات بين دولة الإمارات العربية المتحدة وبين بريطانيا، وانضمت الدولة المستقلة إلى الأمم المتحدة وإلى جامعة الدول العربية لتبدأ عهدًا جديدًا من الاستقلال والسيادة والمشاركة الدولية الفعالة والازدهار.

وكان الشيخ «زايد بن سلطان آل نهيان»رحمه الله يفتخر دائمًا وفي مناسبات عدة بنجاح الاتحاد واستمراره في تحقيق كل الخير للمواطن الإماراتي، ورأى أن طريق المصلحة المشتركة قاد في النهاية إلى قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، وأن الاتحاد يعيش في نفسه وقلبه ولن يسمح في يوم من الأيام أن يتم التفريط به أو التهاون نحو مستقبله. كذلك عبر عن تقديره للتجربة قائلًا:

«إن تجربتنا الوحدوية في دولة الإمارات هي البرهان الساطع على أن الوحدة والتآزر هما مصدر كل قوة ورفعة وفخر».

ولم يخل خطابه دائمًا من روح قومية، فكان يحلم دائما بأن يكون الاتحاد نواة أمة عربية واحدة، قائلا:

«إن الاتحاد ما قام إلا تجسيدًا عمليًا لرغبات وأماني وتطلعات شعب الإمارات الواحد في بناء مجتمع حر كريم يتمتع بالمنعة والعزة، وبناء مستقبل مشرق وضاح ترفرف فوقه راية العدالة والحق، وليكون رائدًا ونواة لوحدة عربية شاملة».

«إن الوحدة العربية التي تعتبر دولة الإمارات نواتها ليست حلمًا أو ضربًا من الخيال، بل واقع يمكن لهذه الأمة تحقيقه إذا صدقت النوايا وتفاعلت الأماني والطموحات بالمساعي والعمل» ■

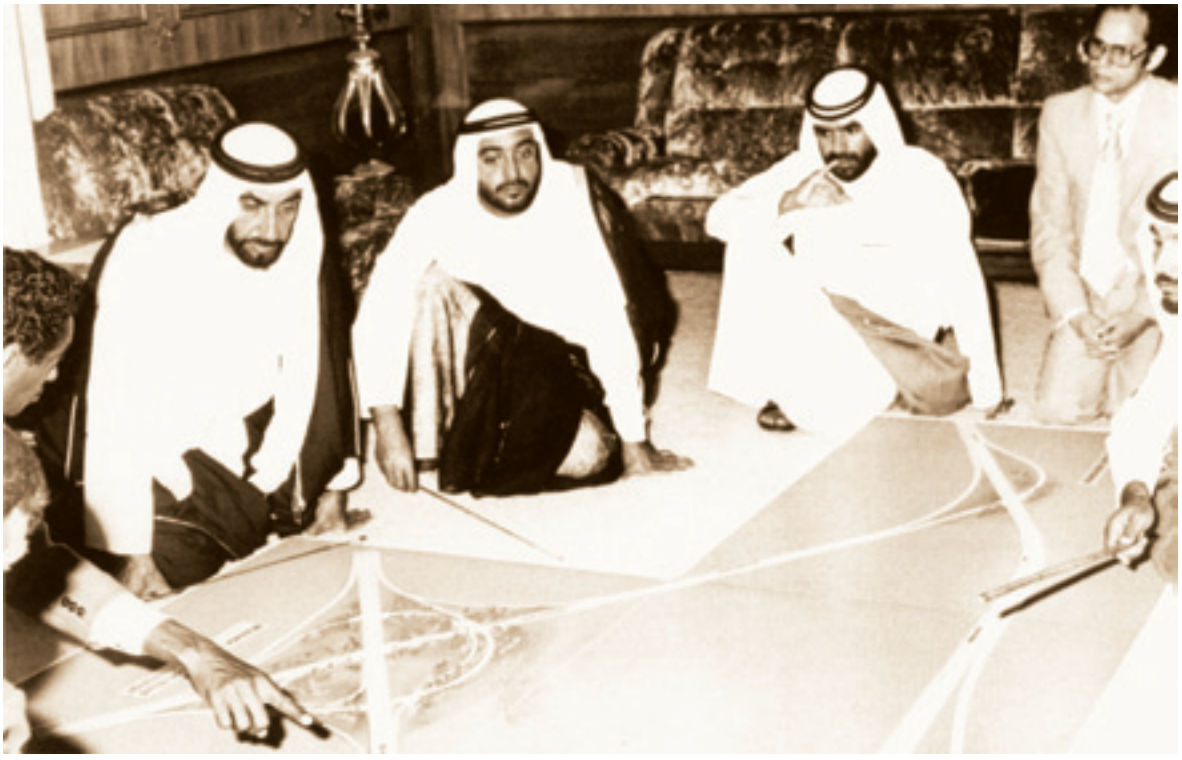

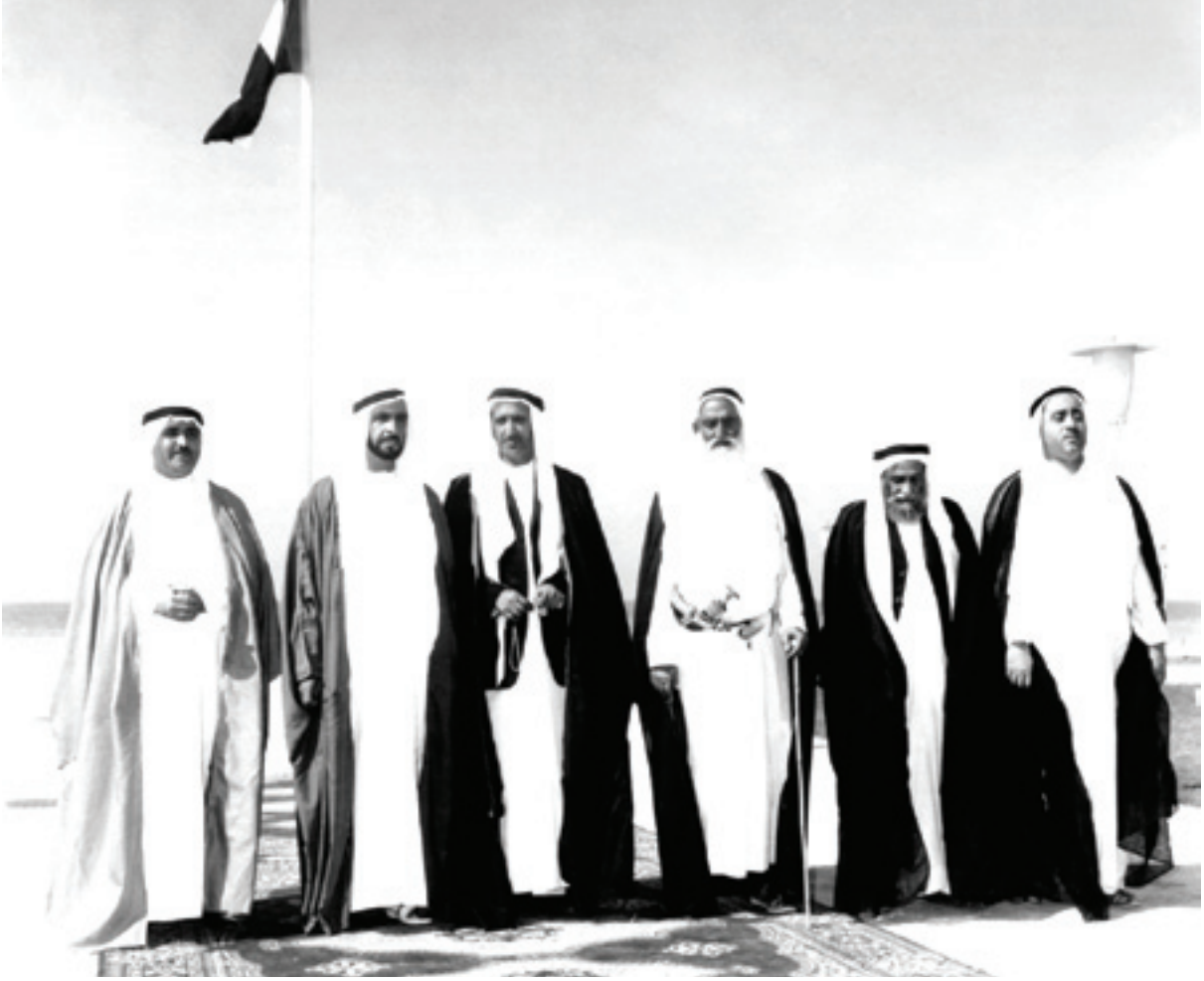

مراجع مهمة:

- أحمد زكريا الشلق ؛ مصطفى عقيل؛ إبراهيم محمد شهداد؛ يوسف العبد الله: التاريخ السياسي لدول الخليج العربية الحديث والمعاصر (الدوحة: 2015).
- أحمد زكريا الشلق؛ مصطفى عقيل: قطر واتحاد الإمارات العربية التسع في الخليج 1968 - 1971 (الدوحة: 1991).
- أمل عجيل: قصة وتاريخ الحضارات العربية، السعودية والإمارات العربية المتحدة (بيروت: 1999).
- سيد نوفل: الأوضاع السياسية في إمارات الخليج وجنوب الجزيرة (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1972).
- محمد مرسي العبد الله، قراءة حديثة في تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 1999).
- نص الدستور المؤقت لدولة الإمارات العربية المتحدة (18 يوليو 1971).
- Abdullah Omram Taryam, The Establishment of the United Arab Emirates (London: 1987).
- Donald Hawley, The Trucial States (London: 1971).
- Malcolm Peck, The United Arab Emirates: A Venture of Unity, Nations of the Contemporary Middle East (Berkeley: 1986).
- Ragaei El-Mallakh, The Economic Development of the United Arab Emirates (London: 1981).

رؤية فلسطينية للوحدة الإماراتية

سما حسن

يعتبر التراث الشعبي بكل أشكاله مكونًا من مكونات ذاكرة الشعوب ورافدًا من روافد إغنائها، لما يحتويه من قيم متنوعة من شأنها تطوير المجالات الثقافية والاقتصادية، إذا ما تم استثمارها وفق مخططات واستراتيجيات وبرامج تنموية.

عندما كنا صغارًا كنا نلتف حول جدي؛ الرجل الأمي الذي كان يستوحي ثقافته من المذياع الخشبي العتيق القابع في ركن من غرفته، كان يجمعنا دومًا حوله ويدس يده تحت وسادته ويقلد الحكاية التي تعلمناها في المدرسة والتي مغزاها أن الاتحاد قوة، فينصب أمام أعيننا المحملقة به سبعة أعواد رقيقة يخرجها من تحت الوسادة ثم يحكم رباطها بخيط صوفي سميك ويطلب منا كسرها فيصعب ذلك علينا حين نتناوبها بين أيدينا الصغيرة، وكان بداخل جدي جرحا ينزف بعد احتلال أرضه من قبل العدو الصهيوني واضطراره للهجرة إلى غزة في العام 1948 وكلما استمع من خلال المذياع لخبر عن وحدة عربية بين دولتين عربيتين يتهلل وجهه فرحًا وغبطة وسرورًا، ويحمل الخبر لأولاده عندما يتحلقون حوله، وشاءت الأقدار أن يكون يوم مجيئي إلى الحياة هو اليوم السابق لإعلان الوحدة بين الامارات العربية المتحدة السبع، ففي الصباح التالي لولادة أمي جاءها جدي مستبشرًا وأعلن لها أنه ليس بحزين لأني الأنثى الثانية وهو الذي يقدس إنجاب الذكور؛ فمقدمي كما قال كان فألًا حسنًا على الأمة العربية بإعلان وحدة جزء من الوطن العربي الكبير ، وظل جدي يحتفل ويوزع الحلقوم والحلوى المصنوعة بنكهة النعناع على صحبه وجيرانه خاصة حين أعلن عن انضمام الإمارات العربية المتحدة لجامعة الدول العربية في السادس من ديسمبر، ثم انضمامها للأمم المتحدة، وهنا بلغ الفرح مبلغه بجدي الفلاح البسيط المتأمل خيرًا بالعرب والعروبة فقرر أن يحتفل بـ«سبوع» مقدمي في ذلك اليوم وكانت حفلات «السبوع» -أي مرور سبعة أيام على مولد الطفل- في غزة فرصة لنحر الذبائح وإقامة الولائم واستقبال المهنئين مع هداياهم.

المشاريع التي أقامتها دولة الامارات العربية المتحدة في عدة دول عربية –وفي فلسطين نموذجًا – لا يمكن أن تتم بدون أن تعيش هذه الدولة حالة من التنمية المستدامة تحققت بسبب اتحادها وتكوين أول اتحاد فيدرالي عربي، ولم تكن ستقام إن لم يكن كل من يعيش على أرضها ينعم بالحياة الكريمة المنعمة حيث تتوافر لديه كل الخدمات اللازمة والضرورية ضرورة حتمية لأي مواطن عربي

لا أحد ينكر -ومن خلال قراءتنا للتاريخ العربي- أن دولة الامارات العربية المتحدة لها تاريخ طويل يعود إلى آلاف السنين بسبب موقعها الجغرافي المميز والمتميز على طرق التجارة بين القارة الآسيوية والجزيرة العربية وقد كانت جزءاً من الدولة الاسلامية الأموية التي شهد الاسلام عصرًا ذهبيًا خلالها، عُرفت الإمارات السبع باسم الإمارات المتصالحة أو الساحل المتصالح مما شكل خطرًا على بريطانيا أثناء سعيها لاحتلال البلاد العربية مما دفعها لتوقيع المعاهدات معها ومن هذه المعاهدات معاهدة تنظيم الملاحة البحرية ومن بعد توقيع هذه المعاهدة سميت هذه الامارات باسم «الامارات المتصالحة».

هذا التاريخ يبين أن موقع الإمارات السبع وخيرها من الأسباب التي عجلت بضرورة أن تكون هذه الدانات وحدة واحدة عجزت عنها الكثير من البلاد العربية ولا زالت الصراعات قائمة بين الكثير من الدول على الحدود وضم وفصل أراض إلى وعن أراضيها، ولا يمكن أن يكون لهذه الوحدة ثمرة إلا الخير الذي عم وشاع في هذه البلاد خصوصًا مع تولي زايد الخير الحكم في فبراير من عام 1972.

لا يمكن إنكار الخير الذي عم العالم في سنوات حكم زايد الخير فعلًا فاللقب يستحقه الراحل الكبير بجدارة، ومشاريعه الخيرية خارج الإمارات دليل على مآثره وما قام به من خير للناس بغض النظر عن علاقات دولته السياسية بها؛ فقد كان انسانًا همه الإنسانية ومد يد العون لمن يحتاج ، وأقرب مثال على ذلك مشاريعه في غزة حيث أقيمت مدينة سكنية كاملة آوت آلاف المواطنين وحملت

هذه المدينة اسمه كما أقيم مستشفى خاص يحمل اسمه أيضًا، ولم يتوقف عطاؤه نحو غزة المنكوبة وامتد نهر الخير حتى بعد وفاته ليبقى ذكره خالدًا بين البشر، فمدينة الشيخ زايد في غزة أوت ما يقرب من 736أسرة فلسطينية حيث نهضت هذه المدينة من وسط الدمار الذي حل بغزة بعد أهوال الحروب التي تعرضت لها، وتتميز عن باقي مناطق غزة المنكوبة بتنسيقها المعماري ورونقها العام المبهج وتتكون المدينة من سبعين بناية وكل بناية مكونة من خمس طوابق تقريبًا، إضافة لإقامة الحي الإماراتي في رفح جنوب غزة، أما في القدس الشريف فقد أقيمت ضاحية الشيخ زايد وفي مدينة جنين أقيم مشروع إعادة إعمار المدينة.

المشاريع التي أقامتها دولة الامارات العربية المتحدة في عدة دول عربية -وفي فلسطين نموذجًا- لا يمكن أن تتم بدون أن تعيش هذه الدولة حالة من التنمية المستدامة تحققت بسبب اتحادها وتكوين أول اتحاد فيدرالي عربي، ولم تكن ستقام إن لم يكن كل من يعيش على أرضها ينعم بالحياة الكريمة المنعمة حيث تتوافر لديه كل الخدمات اللازمة والضرورية ضرورة حتمية لأي مواطن عربي، ويجب أن يزهو المواطن الذي يعيش على أرضها بما تحققه له من امتيازات وبما تمتد أياديه به من خيرات إلى كافة أرجاء المعمورة.

تمنيت لو بقي جدي على قيد الحياة لكي أطلعه على كل هذه الإنجازات لأول وحدة عربية تستمر كل هذه السنوات، ولكن جدي رحل عن الحياة ولم ير الصروح الشامخة التي نراها من خلال وسائل الإعلام المختلفة والتي لا يصدق عقل أنها تقع في دولة عربية على ساحل الخليج العربي لأننا اعتدنا أن ننسب كل تطور ورقي للغرب، ولكن جاءت الإمارات باتحادها لتكسر عقدة الخواجة بداخلنا.

مع احتفالها بيومها الوطني نأمل لإمارات الخير كل الخير على خطى زايد الخير رحمه الله ■

يا الامارات الحبيبه عيّدي

الشاعر محمد بن يعروف المنصوري

هذه القصيدة قالها الشاعر في أحد الأعياد الوطنية المجيدة

بـــادٍي بـالـقـول والـلـه الـبـدي ... مـن ضـمـيـري فـاضـت أبـيـات النشيد
يـــالإمـــارات الـحـبـيـبـه عـيـدّي ... وافـرحـي بـالـعـيـد والـلـبـس الـجـديـد
عـــزّش الـلـه بـإتـحـادش واصـعـدي ... والـتـهـانـي لـش بـذا الـيـوم المجيد
واعْـزفـي بـألـحـان صـوتـش وانـشـدي ... لاحـي الـقـمـري عـلـى روس الـجـريـد
والـبـسـي ثـوب الـمـعـزّة وارتـدي ... تـاجـش الـلّـي فـاز فـي كـل الصعيد
بـالـمـحـبّـه وازْعـــمـــاش تـوحـدّي ... وارفـعـي رايـاتـهـم فـي كـل عـيـد
كـل شـيـخٍ شـهـم مـا فـيـهـم ردي ... كـاسـبـيـن الـطـايـلـه فـي كـل فـيـد
وانـظـري لأفـعـال زايـد واشـهـدي ... لـلـزعـيـم الـلّـي سـعـى لـش بالمفيد
الـعـقـيـد الـلـي بـرايـه نـقـتـدي ... دامـــه الـلـه دوم لـلـدولـة عـقـيـد
صـامـديـن بْـعـزم ولـش نْـوكّـدي ... مـدّيـيـن عْـهـود عـنـهـا مـا نـحـيـد
مـرخـصـيـن الـــدم لأجـلـش يـنـفـذي ... مـاشـيـيـن بْـقـوّ عـــزمٍ مـن حـديـد
احـتـرم يـا بـن الـوطـن كـن جـيّـدي ... مـثـل بـالـجـرّاح وألاّ ابـــن الـولـيـد
والـصـحـابـة لـي بـأثـرهـم نـهـتـدي ... حـيّـهـم فـي عـز والـمـيّـت شـهـيـد
فـي الـــروابـــي يـا بـلابـل غـــردّي ... أكـسـت الـخـضـره فـيـافـي كـل بيد
بـوخـلـيـفـة مـثـل مـــزنٍ يـرعـدي ... يـخـضـر الـقـيـعـان مـن عـقـد الحصيد
عـمّـهـا بـالـخـيـر م الـكـفّ الـنـدي ... الـصـخـا والـجـود مـن كـفّـه يـزيـد
يـا ديـــار تْـشـكـري وتْـحـمـدي ... عـاش «زايـــد» راعـي الـراي الـسـديـد
«بـوخـلـيـفـة» هـو كـعـام المعتدي ... طـوّعـه لـو كـان جـبّـارٍ عـنـيـد
دايـــمٍ يـسـهـر وحـنّـا نـرقـدي ... كـل مـنّـا عـاش فـي عـيـش الـرغـيـد
طـالـبـيـن الـلـه لـي لـه نـسـجـدي ... يـعـل «زايـــد» دايـــمٍ عـمـره مـديـد
هـو حـبـيـب الـشـعـب وهـو مـسـنـدي ... كـلـنـا نـهـنـيّـه بـالـعـيـد الـسـعـيـد
ألـف صـلّـى الـلـه عـلـى احـمـد سيّـدي ... لـمـتـه شـفّـاع فـي يـــوم الـوعـيـد

أين هي من الأدب والسينما؟

حكاية الاتحاد: ملحمة رائعة بطلها زايد

مصطفى محرم

إن الأحداث التي مرت بها بلدان «اتحاد الإمارات العربية» لهي أشبه بالفعل بأحداث الملاحم الشهيرة مثل الإلياذة والإنيادة والشاهنامة، وإذا كان لكل ملحمة من هذه الملاحم بطل، نستطيع أن نقول إن بطل ملحمة «اتحاد الإمارات العربية» هو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه.

يقول الشيخ زايد عندما كان شابًا: «كانت أحلامي كثيرة، وكنت أحلم بأرضنا تواكب حضارة العالم الحديث، ولكني لم أكن أستطيع أن أفعل شيئًا كبيرًا، لم يكن في يدي ما يحقق الاحلام، ورغم ذلك كنت واثقًا أن الأحلام سوف تتحقق في أحد الأيام.»

كان الشاب زايد هو أصغر إخوته الأربعة، كانت نشأته بدوية إسلامية وربما كانت هي السبب في إعطائه بعد ذالك الحكمة والجلد والصبر.

كان في صغره مقربًا من أبيه الشيخ سلطان؛ فجعله يحضر معه مجالس الحكم ويستمع إلى ما يقال في تلك المجالس. وعندما ذهب إلى الكتاب ولع من صغره بالأدب وأظهر اهتماما بمعرفة وقائع العرب وأيامهم حتى أنه كان يجلس مع كبار السن ليستمع منهم عما يعرفونه من سير الأجداد وبطولاتهم.

كانت الصدمة قوية للصبي زايد عندما رحل والـده الشيخ سلطان في عام 1927 وقد بلغ زايد التاسعة من عمرة. كان لهذا الحادث أكبر الأثر في الصبي المتعلق بأبيه تعلقًا شديدًا وكان يرجو من قربه له آية الرشد. ولجأ الصبي إلى العزلة فأحب الصحراء التي يخلو فيها إلى نفسه، وكثيرًا ما كان يخرج إلى هذه الصحراء ممتطيًا صهوة جواده ويدير نظره فيما حوله من صحراء مترامية.

وتعلم زايد مبادئ الحرب والقتال بين البدو وأحب ركوب الخيل وركوب الجمال وبرع في الصيد بالصقور وهو في السادسة عشرة من عمره إضافه إلى الصيد بالبندقية. وفي هذا يقول الشيخ زايد «ذات يوم ذهبت لرحلة صيد في البراري وكان هناك قطيع كبير من الظباء، فصرت أطارد الظباء وأصطادها بواسطة البندقية، وبعد حوالي ثلاث ساعات، عددت ما اصطدته فوجدت أربعة عشر ظبيًا، عندها فكرت في الأمر طويلًا، واستنتجت أن الصيد بالبندقية إنما هو حملة على الحيوان، وسبب سريع يؤدي إلى انقراضه، فعدلت الأمر واكتفيت بالصيد بالصقور».

كان يتسلق جبل «حفيت « الواقع في مدينة العين لكي يقنص الغزلان لا تهمه حرارة الجو أو بردوته مما جعله أشبه بأبطال الأساطير.

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في سنة 1953

فتح الفتى زايد عينيه على قومه وهم يعانون الحرمان والقهر لسنوات فعقد العزم بينه وبين نفسه على تحقيق الخير لمواطنيه وزوده هذا الإحساس على الصلابة والعزم على تحقيق ما لم يستطع أن يحققه غيره من قبل لقومه. فلم تكن أحلامه الكثيرة أحلامًا شخصية وإنما كانت أحلامه تدور حول إخراج قومه مما هم فيه من فقر وبؤس. وكان الأمل يحدوه بأنه سوف يستطيع أن يجعل هذه الصحراء الجرداء أرضًا تكسوها الخضرة والنماء. ولذلك فعندما تولى أمر مدينة العين بقراها الست وهو لا يزال شابًا في الثامنة والعشرين من عمره في عهد شقيقه الأكبر الشيخ شخبوط وجد أن المياه شحيحة لا تروي إلا رقعًا صغيرة من الأرض التي يملكها قليل من الناس فقرر أن يبدأ بأول إصلاحاته. فأعاد النظر في ملكية هذه المياه. وتكاتف مع أهل العين على العمل بدأب ليل نهار بلا هوادة حتى استطاع أن يجعل هذه المياه -على ندرتها- تتوفر، وقام بتسخيرها لزيادة المساحات الزراعية وذلك عن طريق حفر الآبار وشق الينابيع وتحسين مياه الأفلاج حتى استطاعت المياه أن تروي مساحات كبيرة من الأرض وكثرت البساتين وازدهرت وآتت أكلها فجادت بالخير الكثير.

كان يحرص أن يكون مجلسه خارج قلعة المويجعي القديمة التي تقع على مشارف العين ويجلس تحت شجرة كان يفضلها ويقوم بحل المشاكل بين المتخاصمين ويستقبل الضيوف والزوار الذين يترددون عليه دائمًا.كان بسيطًا وعادلًا في أحكامه مما أكسبه حب أهل العين. كان يقول دائمًا إن بابه مفتوح للجميع وسوف يظل كذلك، ويطلب من الله أن يجعله سندًا لكل مظلوم فإن أتى صاحب شكوى يستطيع أن يقابله في أي وقت ويحدثه عن مشكلته مباشرة. لم يكن يعرف الغطرسة أو التكبر، ولذلك كان قومه يلتفون حوله في حب ويستمعون إلى ما يقوله، فقد أصبح قائدهم الوطني الذي يقودهم دائمًا إلى طريق الخير.

لم يكتف الشيخ زايد حاكم العين بالخبرة التي يستقيها من المكان الذي يعيش فيه، وإنما تطلع إلى العالم حوله يريد أن ينمي خبراته السياسية والتنمويه من خلاله. ففي عام 1953 بدأ برحلة حول العالم فقام بزيارة بريطانيا ومن ثم الولايات المتحدة الأمريكية وسويسرا ولبنان والعراق ومصر وسوريا والهند وباكستان وفرنسا. كان لهذه التجربة ما زاده إيمانًا بمدى حاجة بلده لتطوير الحياة ليس بها فقط ولكن في كل الإمارات التي حوله والنهوض بها في أسرع وقت لتلحق بركب الحضاره التي لمسها في زياراته لهذه الدول.

قرر الشيخ شخبوط حاكم الإمارة السماح لأخية الشيخ زايد بأن يساعده في إدارة شؤون أبوظبي. وفي خلال أربع سنوات -من عام 1962 الى عام 1966 - عمل الشيخ زايد على تحسين الأوضاع في إمارة أبوظبي من ناحية والمضي قدمًا بكل العزم والتصميم في تنفيذ برنامجه التنموي من ناحية أخرى، إلى أن تولى الشيخ زايد مقاليد الحكم في عام 1966 خلفًا لشقيقه الشيخ الشخبوط بن سلطان آل نهيان.

لقد تغيرت أبوظبي في عهد الشيخ زايد بدرجة تثير الإعجاب بإدارتها الحديثة وحكمها الجديد. وبدا الشيخ زايد أشد ما يكون فخرًا واعتزازًا بالنظام التعليمي الناشىء فكان يقول في بعض المناسبات: «لقد خسرنا أجيالًا كثيرة تحت وطأة الجهل والأمية، هذا عهد قد انتهى ولن يتكرر، وسوف نوفر للشعب كل حاجاته مع الوقت، أما المدارس والتعليم فعلينا توفيرها اليوم ولن نتأخر.» وبناء على أوامره تم تقديم الملابس المدرسية الموحدة لكل التلاميذ مجانًا بالإضافة إلى الكتب والأدوات المدرسية ووجبات الطعام. ولم تمض فترة قصيرة حتى قفز عدد المدارس من مدرسة إلى اثنتين وعشرين.

من أصل العدد الإجمالي للمواطنين البالغ وقتذاك حوالي 46000 نسمة، كان واحد من كل ثمانية أشخاص يرتاد المدرسة نهارًا دراسيًا كاملًا. وفي محاولة جاهدة لجذب أبناء البدو إلى الصفوف المدرسية قدم الحاكم حافزًا لهم يقضي بدفع ستة دولارات لكل تلميذ منهم يحضر مائة في المائة من الصفوف أسبوعيًا.

أتاح الشيخ زايد فرص التعليم لآلاف الطلبة بحيث مكنتهم من الالتحاق بالجامعات في الخارج.

كان الشيخ زايد يلتزم بتطوير الموارد البشرية من خلال التعليم، وذلك حتى قبل أن يصبح التعليم الكلمة السياسية التي لها وقع رنان. فقد كان الرجل يدرك أن البشر لهم الدور الأبرز في النهوض

بالاقتصاد والتنمية، والتعليم هو خير استثمار في تحقيق ذلك.
كان يقول دائمًا: «إنني مثل الأب الكبير الذي يرعى أسرته ويتعهد أولاده ويأخذ بأيديهم حتى يجتازوا الصعاب. ويشقوا طريقهم في الحياة بنجاح. فالحاكم ما وجد إلا لخدمة شعبه ليوفر لهم سبل التقدم والأمن والطمأنينة والاستقرار «.
قام الشيخ زايد ببناء مؤسسات الدولة من نظام إداري ودوائر حكومية. ولكن حلمه الأكبر هو أن تتوحد الإمارات العربية في اتحاد واحد حتى تصبح قوة فاعلة في المجتمع العربي وفي المجتمع الدولي. فكانت هذه الفكرة أو هذا الأمل يعيش في نفسه وفي قلبه. كان يعتبره أعز ما في وجوده أن يصبح اتحاد الإمارات حقيقة. وكان لا يمكن أن يتصور بعد تحقيقه أن يسمح في يوم من الأيام بالتفريط به أو التهاون نحو مستقبله. ولذلك ما أن أعلن الاحتلال البريطاني عن نية الجلاء عن الإمارات في يناير 1968 وذالك بحلول عام 1971 حتى سارع الشيخ زايد بالنداء بإقامة كيان سياسي موحد له كلمة قوية ومسموعة في المحافل الدولية وقادر على تقديم الحياة الأفضل لمواطنيه.
فبدأ من جانبه بالحركة المكوكية حيث عقد اجتماع «السمحة» الذي كان بمثابة البذرة الأولى لبناء الاتحاد. وتم الاتفاق على تنسيق الأمن والدفاع والخارجية والخدمات الصحية والتعليمية وتوحيد الجوازات بين الشقيقتين دبي وأبوظبي. كنواة لفكرة الاتحاد التي تطورت حتى إعلانها في الثاني من ديسمبر 1971، ثم انضمت إليها إمارة رأس الخيمة في العاشر من فبراير 1972 فاكتمل النصاب وعمت الفرحة البلاد وتم انتخاب بطل هذه الملحمة العربية العظيمة الشيخ زايد بن سلطان رئيسًا للاتحاد وقائدًا أعلى للقوات المسلحة.
السؤال: أين الإبداع الأدبي من هذه الملحمة التي لم نقرأ لها مثيلًا في مجال الرواية والمسرحية؟ وأين الإبداع المرئي في السينما والتلفزيون؟ وهل يجد مادة لأعمال فنية أكثر إثارة وعظمة من هذه الأحداث ؟
يجب أن يبرز الفن عامة هذا التاريخ العظيم الذي نحن في حاجة إلى تقديمه للأجيال القادمة في أعمال فنية تخلد وتخلد هذه الملحمة الرائعة التي كان بطلها الشيخ زايد رحمه الله ■

الحب في الجناح الغربي

أشرف أبو اليزيد *

زاهرة هو الاسم العربي للصديقة الدكتورة تشانغ هونغيي، عميدة كلية اللغة العربية في جامعة بكين، وعضو بلدية العاصمة الصينية، والمترجمة القديرة التي أهدت المكتبة العربية عددا من الكلاسيكيات الصينية، يظل أمتعها مسرحية «الحب في الجناح الغربي».

كتب المسرحية وانغ شي بو أحد أشهر المسرحيين في عصر أسرة يوان الإمبراطورية، التي سادت بين ١٢٠٦ و١٣٦٨م، وبالتحديد في عهد الإمبراطور تشينغ تسونغ بين عامي ١٢٩٩ و١٣٠٧م، وقد نالت المسرحية منذ عرضها شهرة عارمة، بل ونالت لقب أول مسرحية في الصين.

الغريب أن حكام الصين حرموا نشر الكتب المسرحية، ومنع الآباء والأمهات فلذات أكبادهم من قراءتها، وفي أشهر روايات الصين قاطبة «أحلام القصر الأحمر»، ظهرت في عصر أسرة تشينغ الإمبراطورية (١٦١٦ - ١٩١٢م) مشهد لبطلي الرواية يقرآن المسرحية خفية وهما مختبئان في فناء البيت الخلفي حتى لا ينكشف أمرهما!

تروي مسرحية «الحب في الجناح الغربي» حكاية شاب جاء من قريته للمدينة كي يجتاز اختبارا يؤهله للوظيفة الرسمية، ولكنه يرو في المعبد المحلي فتاة وخادمتها، ويغرم بالفتاة من النظرة الأولى، خاصة وهي الآي التفتت إليه حين مغادرتها، لكن الفارق الطبقي يمنع من تكلل حبهما بالزواج، وهذا هو سر النجاح لأن الجمهور رأى في العمل التعبير الأوفى عن رغبته في الحب الصادق الذي يؤدي للزواج، مثلما كان جمع الزوجين معارضة للطقوس الإقطاعية الطبقية الحاكمة.

مسرحية «الحب في الجناح الغربي»، ورواية «أحلام القصر الأحمر» وسيرة أسرة مينا «جوسق الفاوانيا» تمثل معا نخبة الأعمال الأدبية العاطفية في الكلاسيكيات الصينية وتظل مسرحية «الحب في الجناح الغربي» ضمن البرنامج الأساسي لأوبرا كونتشوي على مسارح الصين، كما ترجمت إلى لغات كثيرة منها الروسية واليابانية والألمانية وأشهر لغات أوربا.

النسخة التي أهدتها الدكتورة زاهرة تقسم صفحاتها بين النصوص، الشعرية والسردية، والرسوم التي توثق مشاهدها:

قال شاعر على بحر تنين النهر الكدِر
أين سحابي، وقد نثر القمر أشعته الفضية على مشارف القصور؟
دخل الرهبانُ إلى الصوامع، وخرجت العصافير مزقزقة إلى البستان.
والرياح تهب فتداعب أوراق الخيزران، فتحسب الصوت رنين السوار،
والقمر يلمع، فيعكس ظلال الزهور، فتظنها شبح الحسناء.
أنتظرها هنا، وقلبي معلق وعيني محدقة،
أرتقبها وأنا ضائع لا أعرف إلا إسناد جسمي إلى الإطار■

* شاعر وروائي من مصر

يُنشر هذا الباب بالتعاون مع المركز العربي للأدب الجغرافي «ارتياد الآفاق» - أبوظبي - لندن الذي يرعاه الشاعر محمد أحمد السويدي

من طبائع البدوي

الصيد بالصقور

في كتابات رحالة إلى شبه الجزيرة العربية

د. علي عفيفي علي غازي*

ينظر البدوي للصيد بالصقور باعتباره التسلية الرئيسة في البادية(1)، ويهوى ممارسة كافة أنواع الصيد. ويقوم شيوخ القبائل والعشائر وكبار القوم وأثرياؤهم بالصيد لأجل الترويح عن النفس؛ إذ يُظهرون شجاعتهم وترفهم وبذخهم بهذه الطريقة(2).

ويتمّ الصيد عن طريق التربص بالحيوانات البرية، وخاصة الغزلان، عند مواقع ورودها ورميها من المخبأ، وفي كثير من الأحيان تُصنع لهذا الغرض مواقع للرماية باستعمال الحجارة التي يختبئ وراءها الصياد، ويقترب في حذر من الصيد، وتُطارد الأرنب البرية والداجنة باستعمال السلوقي، أو تُصطاد بعصا الرماية التي يُحسن الشباب استعمالها في صيد القطا والحجل والدرَّج، التي يعثرون عليها عند مواقع المياه(3).

يُشكِّل الصيد جزءًا من طعام البدوي، وإن كان يصطاد أحيانًا للتسلية، ويستخدم الصقور في صيده، ويحصل سكان المدن على ما يحتاجونه لغذائهم وتنقلاتهم من الحيوانات من صيد البدو إما بشرائها أو بمقايضتها بمواد غذائية مثل الذرة والتمر(4).

والبدو مولعون بالصيد بالصقور، ويذكر تايلور أنهم «ماهرون للغاية في هذا الميدان»(5). ولديهم ولع في قنص الغزلان والأرانب وطير الحبارى.

ويذكر ديكسون أن البدو يهيمون بالصيد بالصقور، إضافة إلى حُبهم لصيد الغزلان طمعًا في الحصول على لحمها، وفي مثل هذه الأحوال يستخدمون الكلاب السلوقي، بالإضافة إلى صقور خاصة مدربة على صيد الغزلان، ولما كانت الغزلان تعيش دائمًا في شكل مجموعات، يقوم الصقر عند مهاجمتها باختيار أحدها ومطاردته، ويبدأ بضربه على رأسه بمنساره وجناحيه، كما يحاول فقأ عينيه، بينما يحاول الغزال المطارد التخلص من مُطارده العنيد، كالقيام بزيادة سرعته، أو القفز نحو الأعلى، أو السير تارة يمينًا وتارة يسارًا، إلا أن هجمات الصقر تُتابع بشكل أعنف، وأخيرًا تعجز الطريدة عن متابعة سيرها، فتسقط على الأرض، ويتابع الصقر هجومه، ثم يأتي بعد ذلك دور الصياد(6).

يذكر داوتي أن الصيد بالصقور من طباع البدوي، وقد شاهد اثنين أو ثلاثة من الصقور في كل خيمة، وقد رُبطت من سيقانها على مجاثم منصوبة في الرمل، وسمع أصواتها برمة شاكية. وكان طعامها مما يجده أصحابها من هوام صحراوية صغيرة وسحال وفئران، وحشرات، فإذا لم يجدوا شيئًا من ذلك أعطوها قليلًا من العجين. وتقوم هذه الصقور في البادية بالتقاط القراد الذي يلتصق بصدور الإبل ويمتص دمها. ويُقدِّر البدو الصقور التي تصطاد الأرانب، وقد يستطيع صاحب الصقر الجيد أن يُحسِّن من وضع أسرته بما يصطاده(7).

صيد الفرسان بالبازي والشاهين

يخرج الشيوخ إلى الصيد فرسانًا بالبازي والشاهين على أيديهم فوق أكف من الجلد تُسمى «دسمة الطير»(8)؛ لئلا تؤذيهم المخالب، ويرتدون تحت غطاء الرأس، قبعة لامتصاص العرق دائرية الشكل تُسمى «قبع» أو «عراجية»(9). وتتبعهم الكلاب السلوقية، فإذا تراءت الحباري للبازي أو الشاهين، يطلب الانفلات فيُطلقه صاحبه ويجري وراءه حتى يُدركه فوق الحباري يأكل من لحمها فينزل عن فرسه، ويأخذه ويأخذ الحباري، ويستأنف المسير، أما الأرانب فتقتنصها الكلاب والصقور معًا؛ إذ يُطلق عليها الصقر ينقرها في رؤوسها وعيونها حتى يُعمي أبصارها، وتبطش بها الكلاب؛ إذ عندما يظهر أرنب بري، ينطلق الكلب في إثره، ويقوم صاحبه فورًا بنزع برقع رأس الصقر(10)، ويحل قيده من السير الجلدي، ويُرسل الطير في الفضاء. فيدور الصقر ويُبصر السلوقي والأرنب فينقض عليه وينقره بمنسره ثم يرتفع، ثم ينقض عليه ثانية، عندئذ تقع الطريدة دون حراك، فيُسرع الصياد على ظهر جمله إلى الأرنب، ويطرد الكلب عنه ويذبحه، ثم يُلوح بيده في الهواء مُحاولًا استعادة الصقر. ولكن الصقر يُتابع التحليق بُرهة، ثم يعود ويحط على يد الصياد، وينتظر تقييده ووضع القلنسوة على رأسه(11).

السلوقي والخيول إلى جوار الصقور

يهتم معظم شيوخ القبائل وزعمائها بتربية الكلاب السلوقية جنبًا إلى جنب مع الصقور، مثلما يهتمون بتربية الخيول، من السلالات

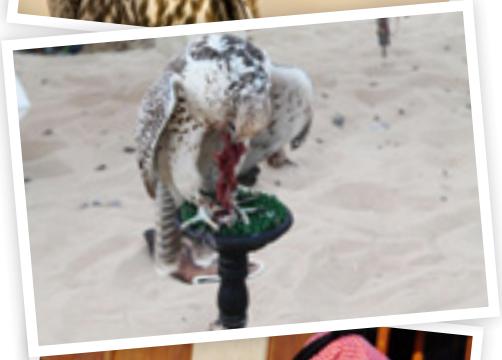

الممتازة، وتتفاخر الغالبية بالصقور وكلاب الصيد التي تملكها كما تتفاخر بخيولها الأصيلة(12). ويستخدم شيوخ العشائر الكلاب السلوقي والصقور في الصيد، يُشاركهم في ذلك أي بدوي تسمح له إمكانياته بشراء أحد الطيور الجارحة، وقد يقضي أحد البدو عدة سنوات في جمع ثمن طير صيد واحد، وهي بالنسبة له متعة، ومورد عيش. والسلوقي من كلاب الصيد، ويُجيز له صاحبه أن يأكل صيده من الدراج أو أي طائر آخر.

ويُدرب السلوقي على صيد الغزال، متعاونًا مع الصقور، فالصقر يطير بوجه الطريدة الهاربة، فإذا ما استقر عليها ضرب بجناحيه على رأسها، فتقل سرعة عدوها، وعندئذ تسنح الفرصة للسلوقي فيثب عليها(13).

ويستخدم مشايخ قبيلة شمر الصقور في صيد الحيوانات الكبيرة والغزلان والحباري أيضًا، ولا نجد الصقور في الغالب إلا عند الشيوخ لأن العناية بها تقتضي تكاليف كثيرة، ويأخذ الصقر مكانه في الخيمة على حاملة أفقية في قسم الرجال، ولا يُمارس الصيد بالصقور إلا في الصباح الباكر، لأن هذه الطيور يُصيبها الإرهاق في النهار بسبب حرارة الشمس، فتُصبح فريسة سهلة للنسور والعقبان، ويُرسل الصقر إثر الغزلان أيضًا، إلا أنه يُستعان في ذلك بالسلوقي لأن الصقر لا يملك من القوة ما يستطيع به طرح الفريسة أرضًا(14).

أسماء الطيور

تُعرف طيور الصيد باسم الطير الحر أو الشاهين، ويُعتبر الطير الحر الأعلى ثمنًا، والأحسن للصيد، وهناك أنواع متعددة من الصقور تُطلق عليها أسماء تُعطي معاني القوة والسلطان، منها: سلطان، شبيب، ذياب، ساهود، صداح. أما من يُربي الصقور ويُدربها، فيُطلق عليه اسم «الصقار»، ويحتاج الصقار لتدريب أحد الصقور إلى ثلاثين يومًا، إذ كان عمر الصقر سنة واحدة، أما إذا تجاوز عمره السنة، وحتى الثلاث سنوات فإن مدة تدريبه تتراوح بين 20 و25 يومًا(15).

يُشير ويلفريد ثيسجر، إلى أن العرب يلزمهم أسبوعان أو ثلاثة لتدريب صقر بري، ويُبرر ذلك بأن «صقورهم لا تُفارقهم أبدًا، فالرجل الذي يُدرب صقرًا يحمله معه أينما توجه، حتى إنه يأكل معه، وهو يجثم على معصمه الأيسر، وينام معه، وهو يجثم على كندرته قرب رأسه، وهو لا يكف عن التربيت عليه، والكلام معه، وتقنيعه بالبرقع تارة، وكشف قناعه طورًا»(16). والصقر طائر عجيب؛ إذ يبقى في البيضة أربعين يومًا قبل أن يتشكَّل، وأربعين أخرى قبل أن تفقس عنه البيضة، وأربعين ثالثة قبل أن يتبيّن إن كان يستطيع الطيران، وأنثى هذا الطائر لا تتكلف البحث عن الطعام ما دامت تحتضن البيض، فالذكر يتولى توفير الغذاء لها وللصغار.

وتذكر آن بلنت أن الصقر بمجرد أن يفقد طريدته يعود إذا ما سمع نداء سيده، إنه شيء رائع أن ترى هذه الصقور تجثم زوجيًا على كفل فرس سيدها، وربما على هودج زوجته(17) وتقف الصقور على ساعد أتباع أحد الشيوخ، وقد شد على عينيها بقطعة جلدية.

طريقتان لصيد الصقور

يعرف البدو طريقتين لصيد الصقور: طريقة الصيد بالشبكة المربعة الصغيرة، مع يربوع يُربط بخيط مموه بشكل جيد، ليكون طُعمًا للصقر، وحالما يُشاهد الصقر هذه الفريسة من بعيد يهوي عليها، ويعلق بالشبكة المموهة، التي تكون من القماش الخشن، أو من الصوف، وتكون أبعادها 3x3 أقدام تنصب مائلة على الأرض لتُشكِّل زاوية قدرها 60 درجة. ويربط الطرف السفلي بأوتاد بالأرض بشكلٍ جيد لتصل أطراف الشبكة السفلي إلى الأرض، وتلتصق بها، بينما يرتكز الطرف العلوي على عمودين، ويُعلق في رؤوسها حبال تمتد للجانب الآخر من الشبكة، وتُصبح الشبكة مائلة. وما إن يصل الصقر إلى فريسته ويلتقطها بأرجله ويحملها للابتعاد بها، حتى يرتطم بالشبكة التي تعلق فيه، وهكذا يجد نفسه محبوسًا تحتها غير قادر على الحراك، ويسهل التقاطه، وغالبًا ما يُخرج رأسه من أحد ثقوب الشبكة(18).

والطريقة الأخرى هي طريقة الصيد بالشبكة ذات الفتحات الأصغر، وتكون أبعادها 7x3 أقدام، مع بعض العصي، والحبال التي يبلغ طولها 100 قدم، وعند تحضيرها تُنشر على الأرض، وإذا ما اقترب الهدف تُشد الحبال وتنجذب الشبكة إلى الأعلى، وتؤدي تلك الحركة إلى حبس أي جسم بداخلها يُمكن أن يكون متمددًا تحتها. ويتمّ ربط حمامة من جناحها لجذب انتباه الصقور إليها، والحمامة عبارة عن طُعم للصقور، ويجلس الصياد في حفرة مُموهة ببعض شجيرات وأعشاب، ويُراقب عن قرب ما يجري، ويكون بعيدًا عن مكان الشبكة بحدود 100 قدم، ويُمسك بخيط مربوط بالحمامة، ثم يأتي دور الغراب الذي تمّ اصطياده، والمربوط ساقيه بحبل صوفي أسود، يزيد طوله عن 200 قدم. وبهذا يكون لدى صياد الصقور ثلاثة حبال أو خيوط: للشبكة، وللحمامة، وللغُراب، ويُطلق الغُراب المربوط من ساقه ويبدأ بالدوران بمقدار طول الخيط المربوط به، ويحوم حول الشبكة فيبدو وكأنه يطارد الحمامة. وما إن يرى أي صقر في المنطقة الغراب وهو يحوم، يتوجه إليه ليحاول الإمساك بتلك الفريسة. وما إن يُشاهده الغراب قادمًا من بعيد حتى ينعق خوفًا، وينقض الصقر على الأرض بسرعة، فيقوم الصياد بهز الحمامة هزًا عنيفًا عن طريق الخيط الثاني، وعندما يشاهدها الصقر، ينقض عليها، ويقتلها على الفور، بينما ينشغل الصقر بافتراس فريسته يقوم الصياد بسحب الحمامة شيئًا فشيئًا فينسحب معها الصقر المتمسك بها، باتجاه الشبكة، وعندما يصل إلى المكان المطلوب، يقوم الصياد بشد الحبل الذي يسقط الشبكة فوق الصقر، وهكذا يتمّ أسر ذلك الصقر، ثم يُثقب إحدى جفن عينيه الأسفل، ويُمرر منه خيط، ويُسحب الخيط حتى أعلى رأس الصقر باتجاه الجفن الآخر، ومن ثم يُجرى ثقبه، وهنا يُجبر الصقر على إغماض عينيه، ثم يُغطى رأسه إما ببرقع خاص، أو بغطاء للرأس من الجلد(19).

صقور عشيرة الرولة

تعتقد عشيرة الرولة أن أفضل الصقور المستخدمة في الصيد هي ذات الريش البُني المائل إلى الحمرة، والذيل الموشى بالكثير من البُقع البيضاء، وإن كانت تلك الصقور ذات اللون البني الغامق والأسود تصلح أيضًا للقنص(20). وشاهد داوتي صقورًا كثيرة يحملها أصحابها الراكبون على ذللهم، وحمل شيوخ من البدو كذلك كلاب صيدهم على جمالهم لكي لا تحرق الرمال الحارة أقدامها اللينة، وقد حمل اثنان أو ثلاثة في رفقته صقورهم معهم راكبة على مُقدمة السروج أو جالسة على قبضة يد صاحبها. وتُطلق الصقور تجاه الأرانب الصغيرة الفزعة القليلة، فتطير في تكاسل وتدور على ارتفاع مُنخفض، وبعد دوره أو دورتين يجري صاحبها ليُمسك بالصيد(21).

يقوم صياد الحباري بواسطة الصقور، قبل إطلاق الصقر بوقت كاف، بربط ريشتين من مقدمة جناحه، لأنه إذا انقض ولم يُوفق بالسيطرة على فريسته البطيئة الطيران يهيم على وجهه ولن يعود. وبهذه الطريقة يستطيع الصقر أن يرى على الدوام بُقعة من الأرض بسبب رفع القناع جزئيًا عن قسم من رأسه، فإذا ما شاهد طريدة انطلق مباشرة من على يد مدربه وطار بخفة وسرعة وراءها دون أن يرتفع كثيرًا عن الأرض بسبب جناحية المُقيدين، وعندما تحين الفرصة ينقض على فريسته، ويُمسكها من عنقها، ويبقى حتى قدوم صاحبه إليه، إلا في الحالة التي تتخلص منه بطريقة أو بأخرى، وفي بعض الأحيان فإن الحباري تتمدد على الأرض بالقرب من الصقر، ويفقدها حالما يقترب منها. وإذا كان الهجوم ناجحًا يُشاهد المراقب من بعيد بقعة من الريش، كما يُشاهد عراكًا على الأرض قد يدوم عدة دقائق، وينتهي عندما يتمكن الصقر من رقبة الحباري، وبعد ذلك يأتي دور صاحب الصقر، فحال وصوله يقوم بذبحها، ويسمح لصيادها بأخذ نصيبه منها، إذ يسمح له أن ينهشها في صدرها فينتزع جزءًا من لحمها. وبعد ذلك يقوم الصياد بالاحتفاظ بالطريدة في كيس مُخصص لذلك(22).

يُمارس بعض الرحالة الذين زاروا الجزيرة العربية الصيد بالصقور، فتذكر آن بلنت أنها مارست «شيئًا من رياضة الصيد». وتمكنت باستخدام الصقر من اصطياد أرانب برية كانت تجري في الخلاء(23). وتمكن أحد مرافقي يوليوس أوتينج من اصطياد طائر ذي لونين رمادي وأصفر، ومسح بدمه وريشه بندقيته دليلًا على توفيقه في الصيد، ثم قام بشويه حتى تفحم(24). ومارس جيمس هنري ولستيد «وقتًا ممتعًا في الصيد»(25). ودُعيَّ لويس دي مورس «لرحلة قنص» إلا أنه رفض ممارسة تلك «الهواية المُغوية، التي أودت بحياة المُستكشفين الذين خرجوا وحدهم مُعرضين أنفسهم لأخطار ذوي السطوة الطامعين»(26) ■

هوامش:

1 - ماكس فون أوبنهايم: من البحر المتوسط إلى الخليج: لبنان وسوريا، ترجمة محمود كبيبو (لندن: دار الوراق للنشر المحدودة، 2008)، ص 160؛ ماكس فون أوبنهايم: الدروز، ترجمة محمود كبيبو، (بغداد: دار الوراق للنشر، 2006)، ص 65.

2 - أميرة جبر: الرحالة الفرنسيون في موطن الأرز، دراسات وانطباعات عبر القرن التاسع عشر (1798-1918)، (بيروت: مؤسسة خليفة للطباعة، 1993)، ص 221.

3 - ماكس أوبنهايم: رحلة إلى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة، مراجعة وتدقيق محمود كبيبو، (بغداد: دار الوراق للنشر، 2007)، ص 123.

4 - باركليرونكيير: عبر الجزيرة العربية على ظهر جمل، ترجمة منصور محمد الخريجي، (الرياض: مكتبة العبيكان، 1999)، ص 208.

5 - تايلر: «رحلة تايلر إلى العراق سنة 1789-1790»، ترجمة بطرس حداد، مجلة المورد، المجلد 11، العدد الأول (ربيع1982)، ص 83.

6 - ديكسون: عرب الصحراء، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1996)، ص 347.

7 - أحمد عبد الرحيم نصر: التراث الشعبي في أدب الرحلات، (الدوحة: مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج، 1995)، ص 124.

8 - ديكسون: مرجع سابق، ص 79.

9 - جوهن جاكوب هيس: بدو وسط الجزيرة (عادات-تقاليد-حكايات وأغان)، ترجمة محمود كبيبو، تقديم محمد سلطان العتيبي (بغداد: دار الوراق للنشر المحدودة، 2010)، ص 242.

10 - ديكسون: مرجع سابق، ص 77.

11 - ألويز موزيل: في الصحراء العربية، رحلات ومغامرات في شمال جزيرة العرب 1908-1915، ترجمة عبد الإله الملاح، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2010)، ص 100.

12 - ديكسون: مرجع سابق، ص 351، 352.

13 - الليدي درور: على ضفاف دجلة والفرات، ترجمة فؤاد جميل، (لندن: شركة الوراق للنشر المحدودة، 2008)، ص 350.

14 - ماكس أوبنهايم: رحلة إلى ديار شمر، ص 122، 123، 165.

15 - ديكسون: مرجع سابق، ص 342.

16 - انيغريت نيبا وبيتر هربسترويت: رحلة عبر الخليج العربي من البصرة إلى مسقط من خلال صور نادرة للرحالة الألماني هرمان بورخارت، ترجمة أحمد إيبش (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2009)، ص 73؛ AnnegretNippa, Peter Herbstreuth: Along the Gulf from Basra to Muscat, Photographs by Herman Burchardt, (London: Verlag Hans Schiler, 2006), P. 65.

17 - الليدي آن بلنت: قبائل بدو الفرات عام 1878، ترجمة أسعد

الفارس؛ نضال خضر معيوف (دمشق: دار الملاح للطباعة والنشر، 1991)، ص 344؛ Lady Anne Blunt: Bedouin Tribes of the Euphrates, (New York: Harpers & Brothers Publisher, 1879), P. 307.

18 - ديكسون: مرجع سابق، ص 340-343.

19 - ديكسون: مرجع سابق، ص 344، 345.

20 - ألويز موزيل: مرجع سابق، ص 103.

21 - أحمد عبد الرحيم نصر: مرجع سابق، ص 125.

22 - ديكسون: مرجع سابق، ص 345، 346.

23 - ليدي آن بلنت: رحلة إلى نجد مهد العشائر العربية، ترجمة أحمد إيبش، (دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 2005)، ص 331، 330.

24 - يوليوس أوتينج: رحلة داخل الجزيرة العربية، ترجمة سعيد بن فايز السعيد (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1999)، ص 29، 30.

25 - جيمس ريموند ولستيد: رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة سليم طه التكريتي، (بغداد: مطبعة ثويني، 1984)، ص 37.

26 - لويس. اثبيتيا دي مورس: البحث عن الحصان العربي، مأمورية إلى الشرق: تركيا.. سورية..العراق.. فلسطين، ترجمة عبد الله بن إبراهيم العمير، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1428)، ص 172.

بودلير العرب

أحمد فرحات*

«لئن كان الشعر القديم ديوان العرب، فشعر الياس أبي شبكة ديوان حياته الخاصة. إنه سلسلة اعترافات حميمة تناوبت فيها رعشات غبطة وغصّات وجع».

بهذين السطرين المكثفين للغاية، يختصر الباحث والناقد الأدبي د. جميل جبر تجربة الشاعر اللبناني الكبير الياس أبوشبكة.

فهذا الشاعر الذي ولد في نيويورك في العام 1903، في أثناء رحلة سياحية لوالديه إلى الولايات المتحدة، ومات في «المستشفى الفرنسي» في بيروت في العام 1947، لم تستطع فترة حياته القصيرة أن تحول دون إنتاجه شعراً غزيراً مؤثراً، وأدباً سياسياً إصلاحياً (حوالي 42 كتاباً موزعاً ما بين الشعر والمقالة النثرية والترجمة) يُعلي من شأن الطبقة العاملة في عصره، ويدعو، ليس إلى إنصافها بإعطائها حقوقها كاملة فقط، وإنما إلى مشاركتها «بإدارة السلطة مع الحكّام، على هذا النحو أو ذاك، حتى يسود العدل والاستقرار في الأوطان، ويفيض الخير على الجميع، حكّاماً ومحكومين».

والده يوسف أبوشبكة كان غنياً وصاحب مشاريع تجارية كبرى، ولهذا السبب قتله لصوص طمعاً بماله، وبما كان يحمله في الطريق من بور سعيد إلى الخرطوم في العام 1914، ولم يدر أحد باغتياله إلا بعد شهر من هذه العملية الآثمة، حين عرض أحد اللصوص القتلة ساعة جيب المغدور الذهبية، وكانت معلقة بسلسلة تحمل اسمه.

بعد موت والده، أصيب شاعرنا بمرارة اليتم والفقدان، لكنه كان مضطراً أن يواجه الحياة بصلابة وثقة عارمة بالذات، الأمر الذي قاده إلى أن يكون ولي أمر نفسه قبل الأوان، ما أوقعه في شبه انفصام. فمن جهة، تحوّل إلى شخص ناقم على القدر والحياة.. متمرداً، غضوباً، مفرط الحساسية ومتحدّياً بكبرياء لكل ما يزعجه؛ ومن جهة ثانية، استحال كائناً حالماً، مهوّماً ومستسلماً للحن الردى والأقدار، وكل ذلك على إيقاع الحب ومناشدة الحبيبة التي عليها إنفاذ الوصية:

اسمعيني لحن الردى اسمعيني
فحياتي على شفار الـــمنون
واذرفي دمعة عليّ فبـعد الـ
موت لا أستحق أن تبكـيني
يا سليمى وقد أثار نحـــولي
كامنات الردى على العشرين
ما تقولين عندما تنـــظرين
القوم جاءوا إليّ كي يحملوني
وأنا جـــثة بدون حـــراك
وخيال الحمام فوق جبيني
يا سليمى أنا أموت ضـــحوكاً
ليس هذا الوجود غير مجون
إن من عاش فيه عمراً قصيراً
كالذي عاش فيه بعض قـرون
يا سليمى وكم أنادي سليـمى
فاسمها بلسم لقلبي الحـزين
لك عندي وصية فاحفظـيها
هي بعد الممات أن تنسيني

قال فيه البعض من أصدقائه وعارفيه، وعلى رأسهم الأديب الكبير مارون عبود:»في خلقه إباء حتى العنجهية. يريك نفرات هي بنت عم الجنون. في أحشائه آلام متقدة، آلام من الحب، آلام من أعباء الحياة».

أما صديقه ميشال أبوشهلا فيقول: «لم يكن الياس من الذين ينظرون إلى الحياة على أنها نزاع بشر، ولا ازدحام أجسام، أو اصطدام مصالح؛ فالحياة في مفهومه حلم يعيش فيه. وكثيراً ما حاول، على غير جدوى، أن يجعل من حلمه واقعاً يهنأ به».

ويتميز أبوشبكة – كخلاصة لرأي أبي شهلا - بمتناقضات في خلقه وتفكيره، تزيده رفعة، كما تزيد عارفه تحسّساً بمدى صراحته، وصفاء روحه، فهو على حبّه النكتة وبراعة أسلوبه فيها، كان يأبى أن يضحّي بالحقيقة في معرض المزاح. وهو على وداعته وشموخه، كان يهتزّ عنيفاً لأقل شاردة يتوهّم فيها ما يمسّه.

أفاعي الفردوس

يكاد ديوان «أفاعي الفردوس» (1938) يلخّص التجربة الشعرية الكيانيّة للشاعر الياس أبي شبكة؛ ففيه نضج القصيدة الرومانسية وحساسيتها وحسيّتها، كما فيه خلاصة عطر تأثره بآيات من «سفر أيوب» و«سفر التكوين» و«نشيد الأناشيد». والديوان بمثابة كرسي اعتراف للشاعر، يتأرجح فيه بين حمّى التهاب الشهوة تجاه المرأة من جهة، والتطهّر الصوفي الروحي الذي انخطف إلى جذوته الكامنة فيه أصلاً، من جهة ثانية.

أكثر من باحث أو ناقد أدبي أقام علاقة متداخلة بين عالمي الشاعر أبي شبكة والشاعر الفرنسي الكبير شارل بودلير (1821 – 1867)، في الطليعة بينهم الباحث د. جميل جبر، الذي رأى أن هذه العلاقة حميمة، سواء في النظرة إلى الفن وإلى الحب أم في الطبع والمزاج، أم في تجارب الحياة وما تولّد من انفعال في حالات الألم والنشوة والخيبة والأمل والحلم والتمزّق. وفي ما كتبه أبو شبكة عن صاحب «أزهار الشر» إشارات بليغة إلى هذه العلاقة. يقول: «لُقّب بودلير بالملعون، لأنه عرف كيف يرسم مشاهد الترف الذهبية والشهوات اللذيذة، لأنه كان رسّام الملائكة ذات الأجنحة الشفافة، ورسّام الجيف، فقد كان يجمع في نفسه، وفي جسده المريض، ومخيلته النارية، جميع المتناقضات... كان ذا طبيعة شهوانية وصوفية معاً».

ويردف أبوشبكة قائلاً في بودلير: « نرى تفاوتاً بعيداً بين القصائد التي أوحتها جان ديفال، والتي أوحتها مدام ساباتييه، فالأولى تخصّ الشيطان وأباطيله وأفعاله، وهي تثير الشهوة وتسكر القلوب، والأخرى تخصّ الملائكة، فهي في صفّ الأطهار».

وحول هذا يتساءل الباحث جبر معلّقاً:»ألا يُخيّل أن صاحب «أفاعي الفردوس» وصف نفسه وشعره من خلال وصفه بودلير؟ ألم يكن هو الآخر شاعراً ملعوناً يعرف كيف يرسم الشهوات اللذيذة والملائكة ذات الأجنحة الشفّافة والجيف، ويجمع في نفسه وجسده ومخيّلته النارية جميع المتناقضات.. ألم يكن هو الآخر ذا طبيعة شهوانية وصوفية معاً؟ ألا نرى تفاوتاً بعيداً بين القصائد التي أوحتها وردة الأفعى وتخصّ الشيطان، على حد قوله، وتلك التي أوحتها غلواء وهادية وليلى؟ إذ الأولى تثير الشهوة وتخصّ الشيطان على حد قوله، والأخرى تخصّ الملائكة؟».

بودلير عرف الشهوة المستعرة مع جان ديفال، وعرف حبّاً كاد يكون عذرياً مع مدام ساباتيه، وهكذا أبوشبكة مع وردة، ثم مع غلواء وهادية وليلى.

من جانب آخر، وفي إطار التجاذب بين بودلير وأبي شبكة، وضع باحث لبناني آخر اسمه سمير اسطفان جدولاً إحصائياً بالمفردات التي اعتمدها كل من الشاعرين وأبرز نماذج شعرية تبين مدى التعاطف الحسّي بينهما:

جاء في الجدول الذي ارتكز فيه على ديوان «أزهار الشر» لبودلير ودواوين أبي شبكة: «القيثارة»، «غلواء»، «أفاعي الفردوس»، «إلى الأبد» و«نداء القلب»؛ وكانت النتيجة:

في «أزهار الشر» 20600 لفظة مليئة، تقابلها 27600 عند أبي شبكة. واختار 3240 لفظة من «أزهار الشر»، أي بنسبة 15,72 بالمئة؛ ومن أبي شبكة 4511 أي 16,24 بالمئة؛ تدلّ على معنى ونقيضه مثل: الحياة والموت، النور والظلام، الحب والبغض، الجحيم والنعيم، اللذة والعذاب...إلخ.

وقد خلص من هذه المقارنة الإحصائية إلى تقارب كبير جداً بين الشاعرين.

ومن الأمثلة المتشابهة في شعر كل منهما ذكر الباحث:

قول بودلير في الألم الخلاق: «إعلم أن الألم هو النبل الوحيد، وبوركت أبي لأنك أعطيت الألم كفّارة إلهية لأرجاسنا».

وقول أبي شبكة:

طهّرتك الآلام من كل رجس...
إجرح القلب واسق شعرك منه
إن الشقا سلّم إلى الســـــما...
فعدن ميراث لمـــــن تألما...

شاعر حسّي صادق، وكبير بصدقه الياس أبوشبكة. معه يبدو كل عادي، استثنائياً وإدهاشياً. ولا يتبدّد شيء من وضوح صوره ومقاصده، على الرغم من طول ألفتنا له وعيشنا لتفاصيله شاعراً وإنساناً.. ولا فرق في المحصلة بين حياة هذا الشاعر وقصيدته ■

إلياس أبو شبكة

***شاعر وباحث من لبنان**

بدأ حياته حارسًا لأبوظبي على ظهور الإبل

الشاعر صالح بن عزيز المنصوري:

حب زايد نقلني من الغزل إلى الوطن

حاوره – خالد العيسى وحسين بن سوده*

من العاصمة أبوظبي انطلقنا في تمام الساعة العاشرة صباحًا صوب واحة المنطقة الغربية غياثي (250كم من أبوظبي)،حيث يقطن «فارس الشعر» الشاعر الكبير صالح بن علي بن عزيز المنصوري الذي رحب بنا أكبر ترحيب، وأنزلنا في داره، دار الضيافة والكرم والبشاشة.

ومع «صب لقهوة» انهال شعرًا وكلامًا، وكان المستهل الوطن والبدايات العفوية الجميلة، قال: إن معرفتنا لتاريخنا يجعلنا نفخر بين الدول بما لدينا من موروث وأفكار وعادات تميزت بالسماحة والكرم، وأضاف: لقد توافد إلينا الكثير من الناس من كل القبائل ووجدوا كل الحفاوة والحب، بل عاشوا واستفادوا هنا رغم شظف العيش؛ فالكرم في هذه الأرض فطرة وأجدادنا كانوا أكرم من الرياح المرسلة في التعامل مع الآخرين، في كل البلدان يأتي الضيف ويقيم لأيام ويرحل، أما هنا فالضيف يأتي ويقيم ويصبح كأحد أفراد أسرتك، لذا فالخالق عز وجل أغدق علينا بكرمه وفضله نعمًا كثيرة، وهذا بفضل طِيب أهل هذه الدار وكرمهم، فهم عون وسند للمحتاج والجار والصديق والغريب، فالكرم من عصر الشيخ سعيد بن طحنون وعصر ذياب وعصر خليفة وعصر زايد بن خليفة وعصر حمدان وسلطان قبل شخبوط وقبل زايد طيب الله ثراهم، كان الكرم وكان الناس يتوافدون من كل حدب وصوب، يصبحون أخوة لنا «مرقدهم ومقيالهم وعيشتهم واحـده والخير واحـد والشر واحـد» فهنا يلتقي البحر بالبر بالصحراء فالخشب هنا واللؤلؤ أيضًا هنا والنخيل «والبوش» والأمن والأمان وكل الخير.

واستكمل ابن عزيز كلامه: أما الآن فنحن نعيش في أسعد الأوقات وفي هناء وراحة، عسى الله أن يديم هذا الخير على هذه الأرض وشعبها وحكامها.

وعن القصيد، قال الشاعر: لا أقول القصيد إلا في الشيء الصحيح الصائب، هكذا أنا، وهكذا تعودت. وأضاف: سواء كان في الغزل أو المدح أو في المواقف، فلا نبدع الشعر إلا والهدف قد تراءى لنا بوضوح ليصيب المرمى بعيدًا عن التزييف والمجاملات، وهكذا ينبغي أن يكون الشاعر؛ فالشاعر الحق هو من يثبت على الحق وينقل الحقائق بصدق دون تزييف وأن يمتدح المستحق لا أن يداهن بل عليه أن يقول الحق بثبات وصدق وحكمة.

وعـن عناصر تكوينه كشاعر قـال: لقد ساهمتْ في تشكيلي الظروف المحيطة والعادات والتقاليد، والحياة -على بساطتها

فيما مضى - كانت ثرية بالإبداع والتجارب، فأنا نشأت في «الظفرة» بين أهلي وناسي، وكنت منذ صغري أطرب للشعر والأدب والسير الشعبية.

بداية العمل في فرق «الهيانية»

واستطرد ابن عزيز في سرد ملامح البدايات، قال: بعد أن أصبحت يافعًا، أذكر فيما أذكر أنه قد زارنا الشيخ هزاع بن سلطان شقيق الشيخ زايد -رحمهما الله- وكان ذلك عام 1959م، وتم تسجيلنا في فرق الـ«هيانيه» نجول على ظهور الجمال كحرس لأبوظبي من ليوا إلى حدود السعودية إلى حدود عمان، وعملت حوالي 5 سنوات، وبعدها جاءت شركات التنقيب عن البترول فعملنا بها أيضًا، وبعدها حكم الراحل الكبير الشيخ زايد بن سلطان -طيب الله ثراه- فاستدعاني حينها وعملت في الحرس الخاص المرافق له لثماني سنوات «مقيالي مقياله وممساي ممساه» مرافقه في حله وترحاله، نهلت منه خلالها الحكم وتعلمت منه دروسًا كثيرة من العبر والمواقف المشرفة.

وبعد الثماني سنوات مرض والدي، فأخبرته، فقال لي: بالطبع والدك أبدى وابقى بمعيته. وبعد وفاة والدي، رحمه الله، رجعت إليه وأيضًا استأذنته وقلت له: أسرتي بحاجة ماسة لتواجدي معهم فأذن لي وقال: هكذا هم الرجال دائمًا في خدمة أهلهم وأقربائهم

ومتى ما احتجنا لك سواء في «المقناص» أو السفر سنرسل لك.

زايد زاد على الجميع

حكم زايد وساد الأمن والأمان وزاد الخير، وإن كان ممن قبله من الشيوخ الكرام إلا أن زايد زاد على الجميع، فلم يُذكر على مر التاريخ رجل بهذه المواصفات والشمائل والكرم والحب والطيبة والحكمة والسعي وراء الخير، نفع القريب والغريب. وأفعال زايد يصعب تجاوزها أو حتى تكرارها، لقد نفع زايد أهله وشعبه والعرب في كل قطر والمسلمين في كل مكان، يصعب أن يفعل أحد ما فعله زايد، فمن أراد الله به الخير وأعانه سينتهج خط زايد وسيتمم ما بناه ويحافظ عليه، وأبناؤه فيهم الخير والبركة وهم بالفعل يسيرون على نهجه ولله الحمد ويسابقون الزمن لسد الفراغ الذي تركه زايد إنه حمل ثقيل ومسؤولية كبرى خلفها رجل لا يتكرر في التاريخ.

فهذا الرجل لم يهدأ يومًا متنقلًا من منطقة إلى أخرى من دون توقف في سبيل عزة الوطن وسعادة المواطن ووحدة العرب.

حكم زايد - هذا الرجل المختلف في كل شيء ورحل والأرض راضية عنه والناس راضون عليه سائلين الله أن يكون في جنات ونعيم اللهم أمين.

لي ما يتجاوز الـ 50 قصيدة كتبتها بكل أحاسيسي في مواقف هذا الرجل، ومعروف عني أنني لا أجامل سواء في الحديث العابر أو القصيد، لقد شعرت وبعد 50 قصيدة أنني لم أعبر بمقدار 1 ٪ مما أكنه من حب وتقدير واحترام لهذا الرجل رحمه الله.

حب زايد نقلني من الغزل إلى الوطن

في الستينيات كنت شاعرًا غارقًا في الغزل، أكتبه وأتغنى به، ومع اقترابي من زايد لم يعد الغزل يُغريني البتة، بل كانت تشدني وتطربني مواقف زايد وأفعاله، وعزة الوطن ونهضته وشموخه. هذا الرجل أثر فينا كثيرًا وغيرّنا، ألم أقل لك أنه رجل لا يتكرر؟

كان يقطع بنا الصحراء في أوقات كثيرة مشيًا على رجليه! تخيل بين يوم وآخر كان يحب أن يتفقد المناطق النائية، وكان يجول بجانبها ماشيًا يقطع بنا ما يقارب العشرة كيلو مترات على رجليه، يمشي لأكثر من 4 ساعات يتوقف في الساعة دقيقة لـ «يتقهوى» ويكمل، إنه الرجل البدوي ابن الصحراء الأصيل الذي أعطى شعبه فبادله الحب بحب والعطاء بولاء، الكرم له حدود واللطف له حدود والمواقف لها حدود إلا مع زايد فلم يكن لكرمه حد ولا لطيبه ومواقفه آخر، فبأقصى، ما يستطيع يدفع ويقدم ويعطي، رحمه الله.

بداياتي الشعرية

وحول بداياته الشعرية قال ابن عزيز: كنت أرتاد مجالس الرجال من الشعراء وأهل المعاني حيث كان الشعر «قناد» المجالس ولذة الحديث، كان عمري حينها 14 سنة، كنت أجلس وأستمع للأحاديث والأخبار والقصائد المتنوعة التي تنشد، وكنت أسمع شهادة الرجال فيها فيقال إن فلان «صحيح شعره» وهو شاعر جزل، «تحكمه بيوته ويعطي البيوت حقها ويجيبها القوارع والمعاني على أصولها» وهناك من الشعراء من لديه «بيت صايب وبيت مخطي» مثل هذه الشهادات من رواد المجالس كانت تخيفني كثيرًا خصوصًا في بداياتي، لذلك كنت أستمع ولا أجرؤ على مجرد كتابة الشعر رغم حبي وولعي به، حفظت الكثير من الأبيات وتغنيت بهن على «ظهور المطايا».

وعندما بلغت التاسعة عشرة من عمري كتبت ولم أخبر أحدًا خوف النقد، كان للشعر هيبته وكان للشاعر وقاره، كنت أنقد نفسي بنفسي، وبعد فترة رافقت أحد الأصدقاء من الشعراء الكبار

الشاعر الحق هو من يثبت على الحق وينقل الحقائق بصدق من دون تزييف وأن يمتدح المستحق لا أن يداهن بل عليه أن يقول الحق بثبات وصدق وحكمة

رافقت الراحل الكبير الشيخ زايد بن سلطان – طيب الله ثراه– ثماني سنوات نهلت منه خلالها الحِكم وتعلمت دروسًا كثيرة من العبر والمواقف المشرفة

ابن حريف شاعر مقدام «ولو على قطع رقبته ما يواني عن كلمة الحق» ولو كان بعض قصيده «حساس» إلا أنه مرضيني لأنه على حق

في بداياتي كنت أستمع إلى الشعر ولا أجرؤ على كتابته رغم حبي وولعي به، حفظت الكثير من الأبيات وتغنيت بهن على «ظهور المطايا»

اطلعت على أغلب القصائد من عهد ابن ظاهر إلى يومنا، ولم أجد شاعرًا يضاهي بالكندي في وصفه وإبداعه ورقة احساسه وصدق مشاعره

عندما بلغت التاسعة عشرة كتبت الشعر ولم أخبر أحدًا خوف النقد، كان للشعر هيبته وكان للشاعر وقاره، وكنت أنقد نفسي بنفسي

وكنت أرتاح له وأحب شعره يقال له محمد، ويقال له أيضًا غصاب، نعم غصاب بن حاضر المنصوري، فقلت له يا محمد أريد أن أسمعك شيئًا من الأبيات وأنا «داخل في ذمتك» إن كانت أبياتي أبيات شاعر فقل لي توكل على الله واستمر في مسيرتك الشعرية «وإن كان عدي في المايا الفوقيه اللي بحرها حول يوزه» أي إن كنت ترى أنني لا أزال في بداياتي ومستواي عادي فقل لي جنب طريق الشعر وابتعد وابحث لك عن باب آخر، فقال لي تفضل وقد أسمعته كل ما كتبت وكتمته في صدري حوالي 12 قصيدة، وبعد أن انتهيت قال: بيض الله وجهك كتبت فأجدت، وأضاف: والله أني نشدت عشرين عامًا لم أكتب بهذا المستوى إلا بعد أن أكملت 40 عامًا فأختار جيده وأترك رديئه. فأثنى عليَّ وكانت أول قصيدة كتبتها هي الألفية:

الألف لف الحال كثر الهواجيس
حلمٍ لفاني والملا نايـــميني
والباء بلاني حب زين التواصيف
لي مدعٍ قلبي كذلك حزيني
والتاء تلايا الليـل جـــرّيتٍ ونّه
توقظ اللي بالكرى هاجعيني
والثاء ثلاث سنين مـا ريت خلّي
يا روح من رجواه ما تدْلهيني
والجيم ماجاني من الحي نابـــي
وهو سار في شفه يلو يرتجيني
والحاء حناني حَني باكورة العصا

عرْقٍ من الـ لرطْا دقيقٍ لـــديني
والخاء تخاوينا على واضح الـــنقا
والله خبر باللي م بينه وبيـــني
والدال يدوي القلب في كل ساعه
واختف قلبي عقب ما هو رزيني
والذال ياذّنيْ على الحـال مـــنّه
والشّي لي من فات ردَّه امحيني

إلى:

واليَاء في جيَّت وليفي مـــرادي
من فوق حيلٍ صايغات القريني
وعلى النبي المختار صلّوا رضايف
يا سامعين القول يا حـاضريني

أحمد بالكندي أكبر شعراء الغزل

يستعيد ابن عزيز ذكرياته مع أحد أهم الشعراء، وهو الشاعر الكبير أحمد بالكندي -رحمه الله-يقول: هو من أسرة شائعة الصيت من بيت علم وشعر وأدب، وقد جمعني به الشعر وقربتنا المراسلات الشعرية حيث كنت أعمل في إحدى الشركات، وقد تناقل بعض الأصدقاء قصائدي فشاعت وذاعت، وفي أحد الأيام تفاجأت بخلفان المزروعي -وهو صديق عزيز- حاملًا لي رسالة من الشاعر أحمد الكندي وكان هذا عام 1961 تقريبًا.

كان مضمون الرسالة تحية وسلام وتقدير من الشاعر الراحل أحمد بالكندي وبها قصيدة مشاكاة مكونة من 45 بيتًا يقول في مطلعها:

ليتك تجي يا نود من مطلع اسهيل
ماجا هبوبك من اقبال الجزيره
ملّلت قلبي فـــي مبيتي ولـمجيل
ما يوم تمضي ســاعةٍ له سريره
يا ضيق بالي يـــوم ياتيني اللّيل
ليلٍ يضوّي لي طواري كثـــيره

إلى:

يا بوعلي وقتي غدى بي مع الميل
يقفي يلى مسّيت باطراف خيره
دون الأحبّه تزري الكِنَّسْ الحـــيل
من دونهم يا كم عِفْيَنْ صـديره
من عندهم ما تتصّل لي مراسـيل
ولا وِجّهت اهل العلوم السفيره

قرأت القصيدة بإمعان ولامستْ وجداني فهي تحمل في طياتها الكثير من الأحاسيس الإنسانية والشكوى والتقدير أيضًا فكتبت من فوري الرد «لو دخت بالمدواخ»:

يا مرحبًا بالقاف يـا بادع القـــــيل
يا ربّ مكتوبك علومه ســريره
هيَّضتني بالقاف زيـــن التّفـــاصيل
ومشكور يا بادع بيوتٍ شطـيره
فكّيت ببيانٍ بصـــدري مـــــقافيل
واخترت في قافٍ ابيوته غزيره
تشكي لمن هو في قطر جاه تعطيل
واتقطعت الاخبار من كل ديره
لا بد عقب الميل تازم تعـــــاديل
وتروح شِطّات الزّمان العسيره
يا بوعلي ما فيك صبـــرٍ وتـــمهيل
ولا دونكم ذا ليوم حال وعذيره
في شف مطلوبك من الحق باعيـل
وحرام ما دونك نيّود ذخـــيره
يا بوعلي بوصيك واسمع تـــماثيل
وافهم كلام اللي عطاك البريره
لا تستمع في قول ناسٍ عـــواذيل
دون اللزيم اللي تساوي بصيره
يابوعلي حالي غدى فيه تـخليل
ويا خوفتي لنّ الليالي قـــصيره
ومن العنا دونك عظامي نواحيـل
فلاكنّ قلبي ما يخلّي فـــريره
لو دخت بالمدواخ كيلٍ على كيل
واشربت غليونٍ مذاقه مـــريره
والحقت رسلانٍ به البن والـــهيل
الجوف عيّا ما يهوِّن ســـــعيره

إلى أن أقول:

قلبي خذنَّه لابسات الخلاخيل
والقلب لقشر ما تسمّع شويره

واستمرت المراديد بيننا لمدة 4 سنوات تمخضت عن أكثر من 48 قصيدة، لكن للأسف الشديد لم يتبق لي منها إلا هذه اليتيمة التي ذكرتها لكم.

وبحزن قال ابن عزيز: إنني على استعداد أن أتنازل عن كل ما أملك لمن يأتي لي بهن، إني أعتبرهن أجمل ما كتبت وأرجو لمن يحتفظ بأي قصيدة سواء مكتوبة أو مسجلة أو يحفظها أن يبشرني بهن لأن لكل قصيدة من قصائدي مع الكندي رحمه الله مذاقاً خاصاً واحساساً مختلفاً فهى نوادر بين قصائدي.

وأضاف: دعني أسجّل كلمة حق في حق هذا الرجل، لقد اطلعت على أغلب القصائد القديمة والمعاصرة من عهد بن ظاهر إلى يومنا ولم أجد في قاموس الهوى شاعرًا يضاهي بالكندي في وصفه وإبداعه ورقة احساسه وصدق مشاعره «الله يحله ويبيحه» وما يميز الكندي إنه طيب المعشر ذو أخلاق دمثة وصفات نادرة كريمة سمحة ومنطق ذرب ورأي صائب.

بن حريف شاعر شجاع و«شرس»

واستكمالًا لذكرياته مع كبار الشعراء قال ابن عزيز: بيني وبين الشاعر خليفة بن حريف «رحمه الله» مساجلات شعرية قرابة الـ 4 قصائد، وللحق والتاريخ أقول إن بن حريف شاعر شهم وشجاع ومتمكن جدًا، مقدام «ولو على قطع رقبته ما يواني عن كلمة الحق» ولو كان بعض قصيده «حساس» إلا أنه مرضيني، لأنه على صدق وحق، وهو شاعر متفرد رغم شراسته في التعبير، «يزعل من يزعل» فابن حريف شاعر كبير ولم يقل إلا الحق، رحمه الله، الكثير من الشعراء يجبن وينافق أما بن حريف فخلاف هذا تمامًا، لكن هناك شعراء -وأنا منهم- إذا رأينا أن لا صالح ولا أمل في أمر ما وإن كان خطأ فإننا نتجاوزه ولا ننشغل به ونسد بابه لأن بعض الأمور تركها وتجاوزها أفضل من نقاشها واظهارها ومن لم تأمل من ورائه نتيجة تجنبه واتركه دون تردد، لذا فعلى الشاعر أن يقدم ما يفيد بعيدًا عن التنكيد والإحراج يقدم ما يفيده ويفيد وطنه وأهله وما

يرفع من عزة وكرامة الوطن والمواطن من دون تردد وتراجع.

ومن القصائد التي أسندها الشاعر بن حريف رحمه الله للشاعر صالح بن عزيز هذه الأبيات التي اختصرها لنا ابن عزيز خلال الحوار:

البو علي يا عوض بلِّغ سلامي
سلام مصفوطٍ بنـــصحٍ وتبرير
بلِّغ سلامي مع جزيل احترامي
وأزكى تحياتي ومن دون تسخير

إلى:

يا بو علي بنشدك واصغ الكـلامي
سؤال عندي وارتجي منْك تفسير
من شي من بين الحمى والمحامي
خالي اجيوبه منبع الـعزّ والخير
ماكن مرّتبه اطروق الـــوسامي
ولكن ربَّت به لجهال المصاغير؟!

وأضاف: كان ردي عليه في قصيدة معنونة بـ»يبغي يولف بين حاضر وماضي؟»

حي السلام الي لفى به غلامي
قرم اسنافي من خيار المناعير
وِصل السلام ومكتفيه النظامي
من شاعرٍ غاص البحور المغازير

إلى:

وصار الفخر للمـــلحقين الكـلامي
اهل المسبَّه ناقلين الـــــدهاوير
وصرم النخل قدام وَقت الصـــرامي
وقمنا نحصِّل من ورا الليف تقطير
ولا يجهل الموضوع كـون البـغامي
خالي حساسي الرَّاس ما فيه تفكير
وشفنا الخدم متويمره في العمامي
والذيب يخشى من الأُسود المجاوير
وان شفت شي فيه مالك مـــرامي
حاسِب خطاك ولا تدوس الـمخاطير
وفسّر مواضيع المعاني تـــــمامي
وصافح وخلْ الغـــابيات المخادير

إلى آخر القصيدة ■

*يُنشر هذا الحوار بالتنسيق مع مؤسسة هماليل للإعلام

الكويت

د. خالد عزب

سافرت مرات عدة إلى الكويت، نشأت بها طفلاً وكانت لي ذكريات لا تنسى في مدرسة الفارابي الابتدائية حيث درست مع زملاء من الكويت وفلسطين ولبنان وسورية لم نكن ندرك أننا غرباء عن هذا البلد، كانت الفارابي تنافس من حيث الإمكانيات أحدث وأعظم المدارس في العالم كان الإهتمام باللغة العربية كبيرًا وترك لدي أثرًا إلي اليوم، كنت أمرح في ملاعب المدرسة وفي صالة الموسيقى بها وفي مسرحها الكبير، وعندما أقارن بين أي مدرسة ومدرسة أخرى تستدعي ذاكرتي على الفور ذكريات الطفولة في مدرسة الفارابي، وحين زرتها شابًا وجدتها مختلفة، اختلافًا يجعلك تمعن النظر في هذا البلد الصغير، لقد كانت أماكن الترفيه والسياحة بها محدودة..

لكن يبقى للكويت إرث لا تنافسه فيها دول عربية كثيرة؛ هو الإرث الثقافي، كانت دعوة كريمة تلقيتها من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت لحضور فعاليات معرض الكويت الدولي للكتاب.

لم أكن أتوقع أن يكون بهذا المعرض أربعمائة ناشر، وآلاف الزوار، استوقفني فيه أن القوة الشرائية آتية من القراء وليس من المؤسسات والجامعات والمكتبات العامة، هذا يعني أن هناك وعيًا لدى المواطن الكويتي والمقيمين في الكويت بأهمية الثقافة والعلم، هذا ما تلحظه في تنوع إصدارات الكويت من عالم المعرفة إلى عالم الفكر إلى المسرح العالمي ومجلة فنون ودرة العرب الثقافية مجلة العربي التي مر علي صدورها ما يزيد علي الخمسين عامًا .

لكن أكثر ما يمكن للزائر أن يقوم به في الكويت سياحة التسوق سواء عبر سوق السالمية الذي سرعان ما ستكتشف به قاعة بوشهري للفنون التشكيلية. كانت مفاجأة مذهلة بالنسبة أن أعثر في بداية السوق على معرض فاتن للفنان الكويتي الشهير جعفر إصلاح، فالسوق تخترقه الثقافة بلوحات تمثل قضايا إنسانية كلوحة الألغام الملعونة التي تعود لسنة 1997، أما شعور إنسان متفاعل مع الطبيعة مثل لوحة غروب في راجستان التي تعود لسنة 2004، أو اضطراب مفهوم العائلة كلوحة الأسرة.

أما إذا كنت من عشاق الرياضيات البحرية فلا شك أن مارينا الكويت والأحمدي سيكونان وجهتك الأولى، مارينا الكويت التي أُنشئت حديثًا، ستتمتع فيها بخليج خاص يضم أصنافًا من اليخوت تجعلك تصنفها كالورود والزهور، كما ستنقلك مطاعمها بين حضارات شتى لكن تبقى أسماك الخليج هي الأكثر إقبالاً من قبل زوار الكويت.

> لكن إذا أردت أن ترى الكويت القديمة فما عليك الا زيارة أسواق الكويت القديمة التي يوجد بها روح الكويت فالتنوع في المحلات والبضائع وكذلك خدمات السوق الذي رمم بعناية تجعل منه روحًا للتاريخ الكويتي، خاصة أن العديد من طرقاته ومقاهيه ما زالت تحافظ علي نسيجها العمراني

ولكنني ولفضولي ذهبت إلى دار الآثار الإسلامية هذه الدار التي أنشأتها وترعاها الشيخة حصة الصباح، الدار مكتظ بقطع فنية إسلامية، بعضها من النوادر خاصة المجموعات المملوكية والعثمانية والمغولية والإيرانية. هذه القطع التي تجول بعضها في معارض في فرنسا وبريطانيا ومصر وغيرها من الدول، غير أن أكثر ما يستوقفك هو دكان المتحف الذي تجد فيه مطبوعات متنوعة اللغات وهدايا تذكارية تشدك شدًا لشرائها، غير أن الدار تتميز عن غيرها من المتاحف العربية بكونها ذات حركة دءوبة، فهناك معارض ذات موضوعات محددة تجذبك باستمرار، أو محاضرة لعالم في موضوع طريف تجعلك تجلس لساعتين مستمتعًا بعرضه لموضوعه، أو رحلات مدرسية ترى الأطفال فيها يتشربون جرعات من الحضارة والثقافة بصورة مركزة ومدروسة.

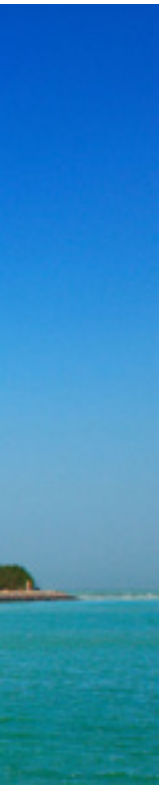

وتنظم دار الآثار الإسلامية رحلات إلى الأماكن الأثرية في الكويت.

لكن إذا أردت أن تري الكويت القديمة فما عليك الا زيارة أسواق الكويت القديمة التي يوجد بها روح الكويت فالتنوع في المحلات والبضائع وكذلك خدمات السوق الذي رمم بعناية تجعل منه روحًا للتاريخ الكويتي، خاصة أن العديد من طرقاته ومقاهيه ما زالت تحافظ علي نسيجها العمراني .

كانت زيارتي الأولى أيضًا لجزيرة فيلكا أشهر وأقدم موقع أثري في الكويت، وهي جزيرة مثلثة الشكل مساحتها أربعة وعشرين كيلومتراً ويرجع أقدم ما عثر فيها إلى العصر البرونزي، وعبر عبَّارة عن شاطئ مدينة الكويت تصل الجزيرة لتشاهد على ساحلها بقايا حضارة دلمون التي تعود إلى 3000 قبل الميلاد.

كانت فيلكا في هذا العصر تقوم بدور تجاري بين بلاد الرافدين والهند، اكتشفت موقع حضارة دلمون بالجزيرة مزارع كويتي منذ ما يزيد على الستين عامًا حين عثر على نقش صخري، وفي الجزيرة مواقع أثرية هليستنية ورومانية، وعثر فيها على صحن إسلامي يعود إلى 300 سنة وهو مربع الأضلاع ذو أبراج كبيرة في أركانه.

وعبر شوارع فيلكا القديمة تستعيد ذاكرة الكويت التاريخية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلادي، ذاكرة تنعشك بلافتات الترحيب من الفنادق بالجزيرة. وفي رحلة عودتي شاهدت أبراج الكويت الشهيرة التي فازت بجائزة آغاخان للعمارة وصارت معلمًا من معالم الخليج العربي... رحلة قصيرة لكن مليئة بالكثير، فالرحلة يستكشف فيها الإنسان طبائع البشر وكينونة المكان وروح التاريخ وتنوع وتفرد كل بلد عن غيره ■

* مدير إدارة الإعلام و المشروعات الخاصة بمكتبة الإسكندرية

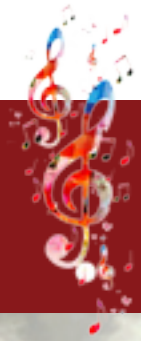

باستخدام الموال وفن الواو المصريين

حكاية العقيلي واليازية في سيرة غنائية

محمد شحاته العمدة

عندما قرأت حكاية «قصة العقيلي» الذي جمعه ودونه الباحث الدكتور راشد المزروعي، وتابعت الدراسات التي نشرت عنها بعد ذلك في مجلة تراث، تذكرت السيرة الهلالية بما تضمه من أحداث متنوعة، وتذكرت قصة عنترة بن شداد، ووجدت تقارباً كبيراً بينهما وبين حكاية العقيلي؛ فحبيبة العقيلي «اليازية» من قبيلة بني هلال ، والناقة الحمراء ورحلة البحث عن اليازية ، أمور تشبه رحلة عنترة لإحضار النوق الحمر مهر حبيبته عبلة.

تخيلت هذه الحكاية وهي تُغنى على الربابة المصرية، ويتغنى بها الشعبان الإماراتي والمصري، كما يتغنون بالسيرة الهلالية ويحفظونها، وعلى الفور تواصلت مع إدارة تحرير المجلة وعرضت عليهم الفكرة، وسعدت بترحيبهم بها. استعدت الحكاية وتعايشت مع أحداثها وأبطالها، وبدأت في كتابتها بمربعات فن الواو الشعبي المصرى، الذي تُغنىَ به السيرة الهلالية في مصر، ونوعت الأشكال بين مربعات الواو والموال الرُباعي والسُباعى، وأضفت إليها تفاصيل صغيرة وحوارًا تخيلته بين أبطالها ووضعت أسماء لبعض الأبطال ممن لم تحدد السيرة أسماء لهم.

سوف تُنشر السيرة الغنائية كاملة- في الكتاب التذكاري الذي يصدره مركز زايد للدراسات والبحوث بمناسبة ختام عام 2015 الذي خصصته تراث لتوثيق الحكاية الشعبية الإماراتية بالتطبيق على حكاية العقيلي واليازية. لتكون بين أيدي القراء الكرام، والمهتمين بالتراث الشفهي العربي، على أمل أن يتحقق الحلم بأن تصبح بعد أدائها غنائيًا

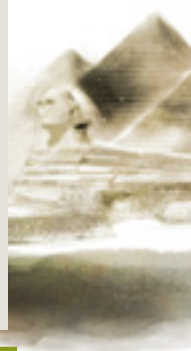

همزة وصل فنية يتجانس خلالها الصوت والآلات الشعبية المصرية بالحكاية والشخوص الإماراتية تكون جسرًا إضافيًا بين شعبين يربط بينهما الكثير ويجمعهما عشق هذا اللون من السير والحكايات الشعبية، التي تحمل بين طياتها البطولة والحكمة والقيم التي نسعى لتكريسها في عصرنا الحاضر، لنعيد تاريخ وتراث أجدادنا.

وقد اجتهدت في رسم شخصيات وأبطال السيرة، وهم كالتالي: عامر: والد العقيلى، المهيري: الابن الأكبر لعامر وشقيق العقيلى، المزيدى: الابن الأوسط لعامر وشقيق العقيلي، العقيلي: البطل الابن الأصغر لعامر. اليازية: البطلة وابنة المعني من قبيلة بني هلال.

وصيدح: ناقة العقيلي. والغبنة: شقيقة ابن الحرام وهي امرأة حكيمة وذكية. والعساس: أحد رجال قبيلة المعنى الذي أرسله ليعرف سبب نقص الحليب. المعنى: والد اليازية وشيخ قبيلة بني هلال. وابن الحرام: أحد رجال قبيلة المعنى الذي أرسله ليعرف السبب الحقيقي لنقص اللبن. والراعي: هو خادم المعنى وراعي إبله والذي ساعد العقيلي في الوصول لليازية.

وافتتحت السيرة بأغنية تبدأ بالسلام على الرسول الكريم، أعقبتها بعشرين مفصلًا يسلم واحدها الآخر وصولًا إلى النهاية، تضمنها موال حول لقاء الحبيبين، وانتهت بأغنية أخرى يقول مطلعها:

وحَكينا سيـــــرة كبيـرة
كان العقيـــلى بَـــطَلها
بنت «المَعَنَّى» الكبيرة
صَبَـــرَت ونالَت بَطَلَها

أما مفاصل الحكاية فجاءت كالتالي:

- قصة اليازية مع إخوة العقيلي.
- عامر مُهَدَد بضياع المَرعىَ.
- لقاء العقيلي باليازية.
- العقيلي أصيب بمرض عشقُه اليازية.
- عامر يجهز خطة للعقيلي للوصول لليازية.
- الناقة صيدح جاهزة لتنفيذ الخطة.
- العقيلي وصيدح ورحلة البحث عن اليازية.
- العقيلي يقابل راعي إبل المعني.
- العقيلي على جمل اليازية بين قرب اللبن.
- اليازية تلتقى بالعقيلى فى خيمتها.
- حديث العشق بين اليازية والعقيلي.
- المعني يشُك في الراعي بسبب نقص اللبن.
- ابن الحرام يكشف سر الراعي.
- «الغبنة» تترجم إشارات «ابن الحرام» للمعني.
- المعني يعتقل الناقة صيدح ويربطها في ديار بني هلال.
- اليازية تساعد العقيلي في فك أسر صيدح والهروب بها سوياً.
- العقيلي واليازية في ديار عامر.
- المعني في ديار العقيلي ومعه جنوده ليستعيد اليازية.
- عامر والعقيلي يتفاوضان مع المعني ليرضى بزواج اليازية من العقيلى.
- المعني يُعجَب بالعقيلي ويرضاه زوجاً لليازية ■

نص جمالي جامع للفنون

أدب الرحلة

في حكاية العقيلي واليازية

د. هند عبد الحليم محفوظ

أدب الرحلة هو نص مزيج من السيرة الذاتية، والحبكة القصصية، والنبذة التاريخية، والتقرير الصحافي، والوصف الجغرافي.

ويعرف كريم بجيت في كتابه «الرحلة بين النص والوثيقة» الرحلة: «قبل أن تكون سلسلة من المعلومات المنظمة أو جملة من الانطباعات الشخصية هي نص جمالي مستقل في تراكيبه اللغوية وفريد في بنائه السردي».

والسياق الذي تندرج رحلة العقيلي في إطاره هو المجتمع العربي قبل الإسلام، وقد استطاع الشعر الجاهلي تسجيل مفردات هذه الحياة بجدارة. وقد ورد عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: «إذا التبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر» فالشعر هو ديوان العرب.

ويتميز نص العقيلي بكونه أكثر توثيقاً وأكثر علمية مع ملامسة الجوانب الجغرافية للمجتمع البدوي من أجل استكشافه، واكتساب معرفة أكثر عمقاً لثقافته ومؤهلاته الطبيعية.

توثيق الحكاية الشفهية

يفتتح جامع الحكاية وموثقها الدكتور راشد المزروعي نصه السردي بملاحظة أولية حول أسرة العقيلي التي ترعى الإبل ذات السلالات الأصيلة من آبار المياه الارتوازية، ثم يصور كيف بدأ الضعف والهزال يتهافت على أبنائه (الأكبر والأوسـط) جراء سقاية الإبل. وكان هؤلاء الأبناء على قدر كبير من الوسامة والفتوة. فيضطر الأب إلى الدفع بالابن الأصغر «العقيلي» الذي يقع في هوى «اليازية» ويصارح الفتى الأب برغبته في السفر إليها فيعده الأب بمساعدته من أجل الوصول إلى هدفه. فأعد الوالد لابنه الناقة «صيدح» وجهز لابنه كل ما يحتاجه من عدة السفر مثل القهوة والتمر وغيره. وأوصاه بعدد من الوصايا: «أوصيك بالحذر في طريقك من الوشاة وأبناء الحرام، ولا تعط سرك لأحد، إلا إذا وجدت من تطمئن إليه، وتحس أنه سيساعدك في مهمتك».

ويتكشف فضاء الحكاية عبر مؤشرات تدير البنية السردية، وتخدم البنية الدلالية، إذ تنطلق الحكاية في طريق سفر ملائم لمجريات الحكاية التي جعلت من ركوب الناقة «صيدح» أداة اختبارية في القصة، في فضاء زمني قصير نسبياً، يتيح التعليق لاحقاً وإعـادة النظر في دلالات الأحداث. في هذا الفضاء الممتد الذي يحيل إلى ارتباط السفر بحضور سمات ملازمة مثل: «الرفقة، الصحبة، تحقيق الأنس»، «فقد استمر في مسيره يسأل هذا وذاك، ويسأل العابرين والرعاة لعله يجد عندهم ما يشفي غليله ويشفي لوعته عن ديار اليازية محبوبته الفاتنة».

يصف المزروعي الجوانب المختلفة لحياة قبيلة «اليازية» الذين يعيشون حياة رغدة فيقول على لسان الخادم الذي وعده بمساعدته على الوصول إلى محبوبته: «إن جميع هذه الإبل التي ترعى هي ملك لوالد اليازية، وهو شيخ القبيلة، وهذا الجمل الذي تراه هو جمل اليازية الخاص». كما أن غيرة القبيلة على نسائهم تؤثر في أسلوب هندسة بناء الخيمة التي توجد حولها حراسة مشددة من الخدم.

كما أشار المزروعي إلى ولع قبيلة اليازية

بشرب اللبن باعتباره الغذاء الرئيس لديهم وعندما نقص إنتاج اللبن لأن الناقة صيدح كانت تستهلك كمية كبيرة منه يومياً، أرسل شيخ القبيلة مخبراً سريا ليعرف حقيقة الأمر ونجح الخادم في قطع لسانه بالحيلة حتى يأمن العقاب من جانب شيخ القبيلة ويساعد العقيلي في مهمته. ويسود الاعتقاد بأن أفراد قبيلة اليازية يعيشون أسياداً على أرضهم.

كما يتعرض المزروعي لأسلوب العقاب المتبع في حق الغرباء وممتلكاتهم عندما قرر شيخ القبيلة تعذيب الناقة صيدح في ساحة خيامهم الكبيرة «بعد أن تم عقالها من يديها وأرجلها بأربعة عقالات حديدية، على أن يلعب شباب القبيلة عليها لعبة (الحلّة) الشعبية، وألا يقدم إليها طعام أو شراب حتى يعرفون صاحبها.

ثم يختتم المزروعي القصة بوصفه لرحلة الإياب وعودة العقيلي بصيده الثمين (اليازية) بعد نجاحه في تحرير الناقة «صيدح» بمساعدة اليازية، وركوب اليازية خلفه وفرارهم في اتجاه قبيلته وانضمام الخادم إليهم في طريق العودة.

ويبرز المزروعي صفة الوفاء عند الإبل؛ فعندما شم جمل اليازية رائحتها عزم على اقتفاء أثرها ولم يتوقف إلا عندما رمت على وجهه عباءتها، حتى توقف يشم العباءة، وتوقف عن السير وراءهم.

وتتسم كتابة الرحلة عند المزروعي بعدم الالتزام بالضرورة بالقيود المنهجية والقواعد العلمية للكتابة التاريخية، مما ساهم في اتساع فضاء النص، وتسجيل انطباعاته، ولو كانت شخصية وذاتية، وهي كتابة تتداخل فيها السيرة الذاتية مع الأشكال الأدبية الأخرى الشعرية والنثرية.

وكتاب الرحلة يبقى وثيقة مهمة بالنسبة للمؤرخ الذي يسعى – من خلال إعمال مناهجه الخاصة من البحث في درجات الاستحالة والإمكان والمقايسة والمقارنة مع الكتابات الأخرى، وكذلك لشيء من حدس المؤرخ – إلى أن يستخرج من هذا النص _ مهما كانت درجة صحته ومطابقته لواقع الأشياء – ما يلقي مزيداً من الضوء على حقبة معينة من تاريخ العرب القديم.كما يمكننا من خلال هذا النص أن نعرف كيف تبنى الثقافات بالتراكم وكيف تتغير هذه الصورة بمرور الزمن أو كيف تبقى ثابتة عبر الزمن ■

المثقف ومعضلة التطرف

د. تامر فايز *

يمكن فهم التطرف على أنه «حركة باطنية نفسية أو عقلية، أو هما معًا، بمعنى اقتناع النفس الإنسانية بعقيدة أو بفكر إلى مستوى الفيض، وهو في حد ذاته نوع من العجز عن رؤية الجوانب الأخرى من الفكرة الواحدة، بحيث يتراءى للمتطرف أن الزاوية التي يرى منها هي الزاوية الوحيدة للنظر، وأن كافة ما سواها باطل، وهذا هو عين القصور في المنهج العلمي. وطبيعي أن هذا التفسير للتطرف، إنما ينصرف إلى التطرف الأعمى الذي لا يستند إلى أسباب موضوعية أو منطقية سليمة تحدوها سلامة الهدف والغاية»(1).

وقد وُجِدَت العديد من الحلول التي اقتُرحت لحل معضلة التطرف بوجه عام عبر السياسيين ورجال الدين، لكن هل من حل لدى لفئة الأكبر والأعمق تأثيرًا في حياة المجتمع العربي ، وهي فئة المثقفين؟

يدرك من يبحث عن إجابة لهذا التساؤل أن ثمة مجموعة من المثقفين كانت قد سعت للبحث عن حل لوأد مشكلة التطرف من جذورها، معتبرين أن دورهم في اقتراح حلول لهذه الإشكالية لا يقل أهمية عن دور السياسيين ورجال الدين.

وقد كان على رأس أولئك المثقفين الذين سعوا لحل هذه المعضلة المثقف والناقد االكبير شكري عياد؛ حيث رأي أن الحوار مع المتطرفين هو السبيل الأمثل للقضاء على هذه الإشكالية؛ فعبر عن أنه من « واجب المثقفين وواجب أجهزة الثقافة والإعلام أن يدخلوا في حوار مع فكر الجماعات المتطرفة، ...، إنما الخطر أن يتحول إلى تدمير المصالح وقتل للأبريا» (2).

ولأن شكري عياد يعلم مدى الصعوبات التي قد تحيط بإجراء مثل هذه الحوارات مع أصحاب الفكر المتطرف، فقد قدم اقتراحه بالكيفية التي يمكن من خلالها تنسيق وتنظيم هذه المسألة؛ حيث رأى « أن يكون البرنامج العام للإذاعة هو المنظِّم لهذه المناظرات أو الندوات، وأن يعد لها إعدادًا جيدًا، وأن يمنحها وقتًا كافيًا، وأن تكون إذاعتها على الهواء مباشرة»(3).

أما المفكر عاصم الدسوقي، فقد رأى أن الابتعاد عن الفكر الوسطي والاتجاه ناحية التطرف إنما هي ظواهر تعود في الأساس إلى العديد من الأسباب الاجتماعية والاقتصادية، وهو ما أدى بدوره إلى هجرة كثير من الشباب إلى بلدان أخرى، أو الانطواء على الذات الذي يولد معه كثيرًا من المشكلات، وأن الحوار المعتدل هو أحد أهم السبل التي تعين على حل هذه المعضلة، وذلك عبر « قوافل التوعية الدينية التي تجوب الآفاق وتلتقي بتجمعات من الشباب»(4)، إلا أنه حذَّر من أن المعنيين قد لا يحضرون هذه اللقاءات الهامة مما يتسبب أيضًا في إحداث كثير من المشكلات(5).

هكذا يظهر أن فئة المثقفين لم يقتصر دورها على العمل في مجالات تخصصاتهم الدقيقة فحسب، إنما تخطى دورهم هذا الشأن لمحاولة إيجاد الحلول المناسبة لظاهرة التطرف على عموميتها؛ وذلك عبر الحوار الوسطي المعتدل والمنظم في الوقت نفسه، وهو ما يجب أن يستمر على الدوام؛ إذ يشكل المثقف الجزء الأهم والأكثر حساسية تجاه المعضلات التي تمر بها الحضارات والمجتمعات ■

* ناقد وأكاديمي

الهوامش:

- محمد كمال شبانة، التطرف الفكري في حياتنا « دوافعه وعلاجه»، مجلة المناهل، العدد 21، المغرب: يوليو 1981، ص 373.
- شكري محمد عياد، ادعو إلى حوار مع المتطرفين، مجلة الهلال، العدد 9، القاهرة: سبتمبر 1993، ص 194.
- المرجع السابق، ص 194.
- عاصم الدسوقي، الشباب من الاعتدال إلى التطرف... لماذا؟ ، مجلة الهلال، العدد 3، القاهرة: مارس 1998، ص 33.
- المرجع السابق، ص 33.

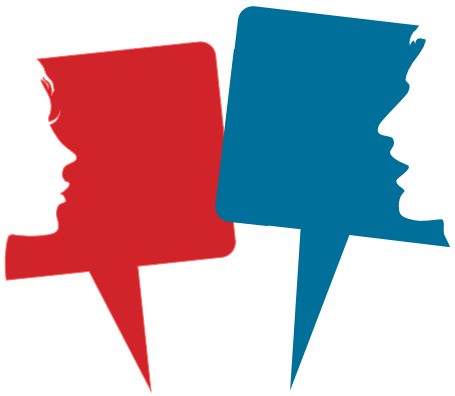

توثيق الحكاية الشفهية

التشويق والترقب

فنون الحكي في «العقيلي واليازية»

خالد بيومي

يعتبر الروائيون أن أفضل روائي هو ذاك الذي يجيد فن حكي «القصة»، وأن أي حكم قيمة على هذا الأثر الأدبي أو ذاك يتأسس بالضرورة على تقدير واستحسان هذه القصة في تلاحم أجزائها، وتتابع حلقاتها، وفي حالات الانتظار والمفاجآت التي تدبر للقارىء اللاهث خلف ما ستسفر عنه أحداث القصة في نهاية المطاف بكل ما يستتبع ذلك من شرط استحضار كل من البداية والعقدة والنهاية.

أما عندما نتأمل طبيعة روايات الحساسية الجديدة، فنجدها لا تعبأ بالقصة، بل أصبحت كتابة القصة بالنسبة لأصحابها أمراً غير ذي بال؛ لأنهم يعتبرون العالم لا هو ذي مغزى، ولا هو مناف للعقل، إنما هو كما وجد ببساطة، وهذه هي ميزته أولاً وقبل كل شيء. فالرواية الجديدة ترتكز عادة على لغز، وليس على القصة التي تعالج موضوعاً اجتماعياً أو نفسياً أو أخلاقياً. لذلك يجد القارىء نفسه أمام عالم غامض، لا يدرك بوضوح خطوطه العريضة، وأن العالم أمامه غدا كأحجية يصعب حل رموزها.

واستطاع المزروعي أن يلاحق الأحداث بحرارة، لكن بغير احتراق وبغير صراخ، وبغير ندب، وربما كانت قوة انبعاث الأشياء الماضية في ذاكرته تعطي تفسيراً لهذا التلقي الساخن للأحداث، فيشعر القارىء وكأنها وقعت منذ عهد قريب.

ورغم اتفاق أغلب النقاد على تحديد ملامح البناء الروائي الدائري في كون نهايته تتطابق مع بدايته، والعكس صحيح، لكن الأمر في حكاية العقيلي واليازية لا يتعلق بتكرار ساذج وبسيط، يتم بواسطته نقل النهاية بحذافيرها إلى البداية.

وقرر المزروعي أن يكون إجراء الانتقال من البداية إلى ما بعدها مرفقاً بقرينة تعبيرية، تتجلى في انتقال السارد من الشخصية غير المحددة إلى الشخصية المعينة بواسطة التعيين الاسمي (شخصية العقيلي). فلم يخبرنا السارد في البداية بالشخصية، ولا بمواصفاتها أو بماضيها، بل يجد القارىء نفسه أمام شخصيات إحدى القبائل التي تعيش على رعي الإبل. ويرسل الأب أولاده لسقي الإبل بالتناوب لكن الضعف والهزال يصيب جسد الابن الأكبر فيستبقيه الأب في المنزل لعلاجه، ويدفع بالابن الأوسط ليقوم بالسقي لكن المرض يصيبه هو الآخر. فيضطر الوالد إلى الاستعانة بالابن الأصغر(العقيلي) لأداء المهمة رغم علمه بأنه سيلحق بمصير شقيقيه.

نحن هنا إزاء إيقاع مشهدي سريع ومتلاحق، يلفت الأنظار إليه، ويأسر الأنفاس اللاهثة، وراء صخب هذا المشهد وحركيته... في هذا الفضاء القبلي، ومن خلال تلك اللحظات المتوترة من لحظات النص (بدايته)، يسود فزع شديد، ويسري هلع لم يشهد القبليون له مثيلاً من جراء الحالة المرضية الغامضة للأبناء الذين كانوا يتمتعون بالوسامة والقوة البدنية ولكن نظرة الحسد أصابتهم.

هذا المشهد التمهيدي يخلق لدى القارىء شعوراً خفياً بأن (العقيلي) مقبل على حدث ما سيقلب حياته رأساً على عقب، وربما يبتسم له الحظ، والسؤال الذي يتبادر إلى ذهن القارىء منذ قراءة بداية القصة هو: هل يا ترى تسير الأحداث في اتجاه تحول حال العقيلي من وضعية الشخصية البائسة المبتلاة إلى شخصية ابتسم لها الحظ في النهاية، وانفتحت لها أبواب النعمة على مصراعيها؟

هذا السؤال يتضمن تخميناً مبكراً لنهاية صيرورة حدثية انفتحت قبل بداية القصة، وسترهن القارىء بتوقعات قد تكون صائبة أو خاطئة. فالبداية هنا لا توهمنا إلا بلحظة النهاية، بعد أن يتبين للقاريء أن البطل في طريقه للظفر بما كان مستحيلاً (النجاة من لعنة المرض والزواج من اليازية)، وأن حياته بصدد تحول جذري من وضعية سلبية إلى وضعية إيجابية، من وضعية لا توازن إلى وضعية توازن.

من هنا نستشف أن رهان البداية والنهاية في هذه القصة كان هو إيهامنا بأن العقيلي مقبل على حياة بائسة، حبلى بالأحزان والابتلاءات والمشاق .غير أن ما حدث هو العكس، وبالتالي حالة تخييب لأفق انتظار القارىء الذي أوشك منذ البداية على الوقوع في هوة اليأس على مستقبل العقيلي بعد كل التلميحات والقرائن التي توحي بأن سبب ما سيحدث له في حياته من تحول عميق سيكون مصدره التاريخ المرضي في عائلته والفارق الطبقي الشاسع بين قبيلته وقبيلة محبوبته (اليازية)

ولابد أن نسجل في هذا الصدد أن السارد راهن على جعل القارىء مشدوداً إليه لمعرفة سبب ركض العقيلي وهو يتجه صوب قبيلة محبوبته، مغامراً بحياته، يمثل أجوبة فيها الكثير من التشويش، مستعصية على الإدراك في ظل مغامرة غير مأمونة العواقب.

ونصل إلى الموقف الختامي الملتبس، فبقدر ما كان العقيلي يبتعد

قرر المزروعي أن يكون إجراء الانتقال من البداية إلى ما بعدها مرفقاً بقرينة تعبيرية، تتجلى في انتقال السارد من الشخصية غير المحددة إلى الشخصية المعينة بواسطة التعيين الاسمي (شخصية العقيلي). فلم يخبرنا السارد في البداية بالشخصية، ولا بمواصفاتها أو بماضيها، بل يجد القارىء نفسه أمام شخصيات إحدى القبائل التي تعيش على رعي الإبل

عن أطراف قبيلة محبوبته، ويبدو أنه يقترب من هدفه، بقدر ما كانت سرعته وهروبه تزيد من حمية القوم في متابعته وملاحقته للانتقام منه.

نستنتج في الأخير أنه بقدر ما تغلق البداية أفق الأمل في الإفلات من لعنة المرض والحسد للأبناء الثلاثة وفشل العقيلي في تحقيق حلمه في الزواج من اليازية ذات الحسب والنسب بقدر ما تمثل النهاية انفراجة في الأزمة المرضية والعاطفية معاً فيقول السارد «ورجع العقيلي إلى والده وأهله، وتزوج من اليازية، وعاش حياة هانئة مستقرة، بينما جاءهم رجال قبيلة اليازية، وتصالحوا معهم، وباركوا زيجة اليازية من العقيلي وجاوروهم في السكن» ■

تربط الحاضر بالماضي عبر الرياضات التراثية

يعقوب السعدي:

قناة «ياس» تمثل هوية الإمارات وما تملكه من تراث إنساني عظيم

حاوره – **الفاضل أبوعاقلة**
تصوير – **طارق البوريني**

في فبراير الماضي أطلقت أبوظبي للإعلام قناة رياضية جديدة تهتم في المقام الأول بالرياضات العربية الأصيلة، مثل رياضات الهجن والخيل والفروسية، وسباقات القدرة، والسباقات البحرية، والصقارة وغيرها. حملت القناة اسم (ياس)، مستلهمةً المعاني النبيلة التي يعبر عنها الاسم الذي ينتمي إلى قبيلة بني ياس، أشهر وأكبر القبائل العربية على ساحل الخليج، بما تمثله من قيم تاريخية وتراثية أصيلة استلهم منها شعبُ الإمارات خصوصيتَه وتفرده.

يأتي طموح هذه القناة المعنية بالرياضات التراثية الأصيلة ضمن إطار رؤية دولة الإمارات العربية المتحدة لأهمية تعزيز أثر ودور التراث ودمجه في الحياة المعاصرة وتطويره بمعطيات الحضارة الجديدة ليكون شريكًا رئيسيًا في صنع المستقبل.

حول هذا الطموح التقت «تراث» الإعلامي يعقوب السعدي رئيس قنوات أبوظبي الرياضية، في حوار أكد خلاله أن دور قناة ياس لا يقتصر على تغطية ونقل المسابقات، بل تسعى لتكون جسر تواصل بين الماضي والحاضر، بين الأجيال الجديدة وماضيها الخالد، للتأكيد على أصالة هوية هذه الأرض وما تملكه من تراث إنساني عظيم تفخر به.

وقال: إن تحقيق هذه الرؤية يتطلب درجات عالية من المهنية والالتزام وتوظيف أحدث التقنيات وتطورات العلم في مجال الإعلام لخدمة العمل على صعيدي الشكل والموضوع.

وفيما يلي الحوار:

■ **انطلقت قناة ياس مواكبة لكأس صاحب السمو رئيس الدولة للقدرة بالوثبة، ما الرسالة التي أردتم إيصالها بهذا الاختيار؟**

انطلقت قناة ياس في 14 فبراير 2015، مع كأس سيدي صاحب السمو رئيس الدولة للقدرة بالوثبة، وكان اختيار هذا الموعد تحديدًا دقيقًا وموفقًا للغاية، اختاره رئيس مجلس إدارة أبوظبي للإعلام والعضو المنتدب محمد إبراهيم المحمود وهو صاحب فكرة إنشاء القناة.

كان الحدث مناسبة قدمنا فيها -لأول مرة- صورة جديدة كليًا لسباقات القدرة، لم تكن معروفة من قبل.

يسبق أهمية الحدث نفسه، أهمية الاسم الذي يحمله، وهو اسم صاحب السمو رئيس الدولة. ثم أهمية نوع السباق؛ فالقدرة رياضة ترفع الإمارات لواءها بكفاءة.

وفي رأيي، سوف يظل هذا التاريخ علامة في تاريخ قناة ياس، كما كان علامة على صعيد فنون النقل التليفزيوني لسباقات القدرة.

قناة رياضية بأهداف ثقافية

■ **قناة رياضية بأهداف ثقافية حضارية، كيف تديرون هذه المعادلة الصعبة؟**

الشمول في التغطية، والتنوع في العرض، والموضوعية في الطرح، ثلاثة مبادئ نرى أنها كفيلة بتحقيق نجاح قناة ياس التي وُلدت بفضل إيمان الجميع بها وبأهدافها العملاقة .

قناة ياس رياضية إماراتية عربية دولية، تبث من الإمارات، تحمل راية الإمارات تراثًا وحاضرًا، روحًا ومعنى، وتعنى برياضات السرعة والرياضات العربية الأصيلة التي لها علاقة بالحياة العربية، خصوصًا في دولة الإمارات العربية المتحدة، والمنطقة العربية، وهي الهجن والخيل والفروسية، والسباقات البحرية، والصقارة، وكلها رياضات لها علاقة بتاريخ الإمارات، وتراث شعبها على مرّ الزمان.

تعتمد القناة كما قلت لك، في طرحها على الشمولية في التغطية، والتنوع في العرض، والموضوعية في الطرح، مع توفير التغطية العالمية لكل الأحداث الرياضية المعنية بتغطيتها، سواء كانت

الشمول في التغطية، والتنوع في العرض، والموضوعية في الطرح، ثلاثة مبادئ نرى أنها كفيلة بتحقيق نجاح قناة ياس التي وُلدت بفضل إيمان الجميع بها وبأهدافها العملاقة

تستمد القناة اسمها وفكرها- من اسم قبيلة (بني ياس)، أشهر وأكبر القبائل العربية على ساحل الخليج، بكل ما تحمله من قيم تاريخية وتراثية، خصوصًا ما يتعلق بالرياضات الأصيلة

محلية أو عربية أو عالمية، ساعين من خلال ذلك لتوصيل فكر هذه الرياضات وممارسيها، وتأصيلها في روح أبناء الوطن.

■ **هناك ذكاء في اختيار اسم القناة الذي يحمل الكثير من الدلالات، حدثنا عن مرحلة التفكير في هذا الاسم؟**

تستمد القناة اسمها – وكذلك فكرها- من اسم قبيلة (بني ياس)، أشهر وأكبر القبائل العربية على ساحل الخليج، بكل ما تحمله من قيم تاريخية وتراثية، خصوصًا ما يتعلق بالرياضات الأصيلة التي تعنى بتغطيتها، وما يربطها بهوية هذا الشعب والمنطقة بكل ما لها من خصوصية وتميز وتفرد.

مهمة صعبة ودقيقة

■ **تحمل القناة على عاتقها مهمة نقل هذه الرياضات التراثية إلى الأجيال الشابة وتكريس انتمائهم ومتابعتهم لها، فكيف تنظر إلى هذه المهمة؟**

تغطية الرياضات عمل يتطلب تخصصًا وتركيزًا، بهدف تحقيق مزيد من التفاعل مع ما تتضمنه من أنشطة ومسابقات وبطولات، وزيادة قاعدة متابعيها ومشاهديها، خصوصا من الأجيال الجديدة، لربطهم بتراث صنعه أجدادهم وحافظ عليه آباؤهم، وعلينا الآن أن نحميه، ونواصل النجاح فيه.

ويرتكز سعينا في عدة نقاط، منها أن تكون القناة في متناول كل المشاهدين، خصوصا محبّي هذه الرياضات وعشاقها، وهم كثيرون، فيتّجهون إليها مباشرة، وتكون محطّ بحثهم وتوجّههم، وسنعمل على أن تتخطّى القناة المجتمع المحلي إلى العالم العربي، خصوصا أنها تحمل رسالة مهمة، بمفردات مجتمعنا ورياضاتنا، إضافة لاستهداف الوافدين الأجانب، عشاق رياضات الفروسية والبحر، وإدماجهم في هيكلية المجتمع، وأبناء القبائل، عشاق رياضات الهجن والصقارة، وتقديم أنشطتهم ونجومهم في قناة تنتمي إليهم، وينتمون إليها، وكذلك العمل كي تكون القناة شاملة جميع الفئات والأعمار، والمحطة المفضلة للجميع في هذا المضمار، أضف إلى هذا، العمل على توافر البرامج الممتعة المفيدة المناسبة للجميع، وتوفير جو من التسلية، وتنمية العقول بالأفكار النيرة والمفيدة في هذه الرياضات، وزيادة قاعدة المحبين لها، وتشجيع الشباب على ممارستها، وأخيرًا، نقل كل البطولات والأحداث العالمية، خصوصًا في سباقات الخيل.

■ **ولكن إصراركم على أنكم لستم مجرد قناة رياضية، إنما قناة تعزيز هوية، يجعل المهمة صعبة . . . أليس كذلك؟**

الرياضة لغة إنسانية، تتقابل خطوط كثيرة بينها، لتشكّل أحد ابتكارات الإنسان على ظهر الأرض. من هذا الفهم أو قل هذه الفلسفة، تنطلق قناة ياس من مركزها نحو آفاق خليجية وعربية وعالمية، برؤية واضحة ومحدّدة المعالم.

لذلك، فإن دورنا لا يقتصر على تغطية المسابقات ومتابعة المنافسات والفائزين، بل يمتد لتشكل القناة جسرًا من التواصل بين الماضي والحاضر، بين الأجيال الجديدة وماضيها الخالد وحاضرها الزاهر المتطوّر، مؤكّدين هوية هذه الأمة، وما تملكه من تراث إنساني عظيم، تفخر به.

تتحدث عن الصعوبة، ونتحدث عن الطموح، إن الوصول إلى هذه الرؤية يتطلب درجة عالية من المهنية والالتزام، مع توظيف آخر ما توصّلت إليه التقنية الحديثة في هذا المجال، ومواكبة آخر تطورات العالم في هذا المضمار، شكلًا وموضوعًا.

محتوى راقٍ وشكل عصري

■ **حدّثنا عن طَبيعة المحتوى الذي تركز القناة على تقديمه؟**

تقوم القناة على التعريف برياضاتنا الأصيلة، وتقديمها في صورة

عصرية، تليق بما وصلت إليه الإمارات من تقدّم وتطوّر، إنه تسويق سياحي محترف للإمارات، وفقًا لعلوم التسويق، لذا فإننا نركز على جماليات هذه السباقات، وتقديمها للعالم في إطار فني متميّز، ونعمل على استضافة العناصر المشرقة لتقديم هذه الرياضات بما يعكس مضمونها، وما تتمتع به، والربط بين السباقات العالمية والمحلية، خصوصًا في الفروسية.

لا ننسى أبدًا ونحن نصنع المحتوى أننا نساهم في إعداد جيل ناضج واعٍ بتراثه، وأن برامجنا لابد وأن تكون هادفة وتساهم في تعميق الهوية الوطنية وتنمّي العقول وتعلم مبادئ وقيم هذه الرياضات الأصيلة.

لذلك فإننا ونحن نصنع المحتوى نضع في اعتبارنا أن نحقق من خلال تغطية الرياضات -خصوصًا الرياضات التقليدية أو التراثية المتخصصة- مجموعة الأهداف الرئيسة التي نعمل من خلالها، وفي مقدمتها نشر وتعميق الوعي بتراث الإمارات الإنساني، ونقل صورة مجتمع الإمارات وما يتضمنه من تطور وتقدم خصوصا على صعيد المنشآت والمرافق الرياضية والسياحية، من دون الابتعاد عن أصول الشعب وتراثه، والسعي لجعل هذه الرياضات شعبية محبّبة للمشاهدين -خصوصا الأجيال الجديدة.

■ **بعد حوالي ثمانية أشهر، كيف تنظرون إلى ما تم إنجازه؟**

من خلال الرؤية الواضحة يمكنك التقييم والوقوف على نقاط القوة وتفادي نقاط الضعف، «ياس» قناة رياضية إماراتية عربية تقوم على رؤية واضحة وتوجّه محدد فيما يختص بالرياضات التي تغطّيها.

وسعينا هو تقلّد الريادة في هذا المجال لنصبح المصدر الرئيسي ومرجع كل المهتمين بهذه الرياضات على اختلاف فئاتهم وتباين اهتماماتهم العالمية والمهنية.

وهدفنا ترجمة هذه الرؤية لتحقيق مجموعة الأهداف التي تحدثنا

قناة ياس

بالتزامن مع انطلاق قناة ياس في فبراير الماضي واحتفاءً بالتراث، تم تسمية كافة أشواط اليوم الثاني في سباق الإبل التراثي، بمهرجان سلطان بن زايد التراثي 2015 بأشواط (ياس) لمشاركة القناة احتفالها بالانطلاقة نحو سماء الإعلام المتخصص والمعني بالرياضات التراثية.

عنها منذ قليل، ونضيف عليها الآن الإسهام في تطوير الأداء الإعلامي من حيث الأداء والمستوى الفكري.

كل خططنا تصب في هذه المساحة، ونعمل باستمرار على تعزيزها، ولا ننسى أن تاريخنا لم يتجاوز 196 يومًا، إلا أننا في هذه المدة قدّمنا 366 حدثًا وبطولة ومسابقة-غير البرامج واللقاءات والتقارير والأفلام- وهي حصيلة لا بأس بها خصوصًا عندما نقدمها بهذه الجودة والكفاءة والاحترافية، الحمدلله حققنا نجاحًا جيدًا، ولكن الطريق طويل.

■ ما نصيب سباقات الهجن في خطة برامجكم؟

سباقات الهجن بالنسبة لنا، الرياضة رقم واحد في الاهتمام، لذا فإننا ننقل كل السباقات والختاميات، تقديرًا لما تمثّله لنا في الإمارات من أهمية، متذكرين جهود المغفور له الشيخ زايد رحمه الله، وما قام به تجاه رياضة الهجن حتى تبعث من جديد وتصبح بهذه القوة والمكانة.

لدينا برنامج أسبوعي هو المركاض مع السهرات، واستوديوهات التحليل التي يديرها مجموعة من المحللين على أعلى مستوى. ورغم أن لدينا 4 رياضات أساسية في خريطتنا، فإن الإبل، من دون أي مجاملة، تظل رقم واحد في الاهتمام والأهمية.

الإعلام الإماراتي في الصدارة

■ كخبير، كيف ترى مشهد الإعلام الرياضي في الإمارات؟

أحيانًا، حين تكون داخل المشهد، أو جزءًا منه، يصعب عليك التقييم بحيادية، لكن ما أراه الآن أن الإعلام الإماراتي يتصدّر المشهد، وذلك بفضل الموضوعية والحيادية والمهنية التي يتبعها والخصوصية التي يحملها.

المشهد الإعلامي، وإن كان مرتبكا على الصعيد العالمي، يظلّ لدينا في الإمارات واضحًا جليًا متماسكًا متحدًا على رؤية واحدة، تقوم على المهنية والموضوعية والدقة والأمانة، وتقديم خدمة للمشاهد، تتكئ على التنوير والتثقيف.

بشكل عام، بات الإعلام الإماراتي مدرسة ثابتة قوية، تترسّخ كل يوم في عقول وأذهان وقلوب الناس، برؤية أوسع وبعدسة منفتحة.

نرى تساقط قنوات عديدة أو تراجعها، وذلك لأنها حملت في داخلها أجندات لمشاريع خارجية وربما داخلية، احتوت في داخلها أسباب فشلها.

اليوم، إذا نظرت للإعلام العربي بكل وسائله من صحف وإذاعات وقنوات تليفزيونية ووسائل تواصل اجتماعي، ستجد أننا الأفضل، فإعلامنا الإماراتي يكتسب احترام الجميع، بحجم الحرية التي يتمتع بها، والمسؤولية التي يحملها كل إعلامي تجاه قضايا الوطن.

هذا عن الإعلام بصورته العامة، أما عن الإعلام الرياضي، فإن الأمر يحمل اتساعًا أكبر، حيث يظل الإعلام الإماراتي رائدًا في مجال الرياضة على المستوى العربي، باتساع منظومته وتعددها وتنوعها. إعلامنا الرياضي في الإمارات هو الأفضل- بكل حيادية- على المستوى العربي، ولو أجرينا دراسة منهجية موضوعية، سنجده مصنّفا في القمة، على المستوى العالمي، بسبب ما يقدمه للقارئ أو المستمع أو المشاهد. وحتى تقنيًا، ستجده في القمة، بأخذه بكل وسائل العصر التكنولوجية في كل المجالات، وأفخر أنني أنتمي لهذا الإعلام، وأشارك في صنع صورته.

■ في النهاية حدثنا عن يعقوب السعدي، الإنسان والمذيع والخبير في مجال الإعلام، ما أحلامك وكيف تنظر لرحلتك الطويلة؟

لا أحبّ الحديث عن شخصي، أفضّل دوما أن يظل المتابع لي يراني مذيعًا ومقدمًا للبرامج، فعشقي وحبّي الأساسي للعمل التليفزيوني، في كل موقع عملت فيه، ولن أخفي أنني

> الإعلام الإماراتي مدرسة قوية تترسّخ كل يوم في عقول وقلوب الناس، بعدسة منفتحة ورؤية أوسع تقوم على المهنية والموضوعية والدقة والأمانة وتقديم خدمة للمشاهد أساسُها التنوير

مراسل «تراث» خلال إجراء الحوار

نعمل على أن تصل القناة إلى العالم العربي، لأنها تحمل رسالة مهمة بمفردات مجتمعنا ورياضاتنا، كما نهدف للتعريف برياضات أبناء القبائل، عشاق رياضات الهجن والصقارة بما يليق بهم

الإعلام الرياضي عمل يتطلب تخصصًا وتركيزًا، خاصة وأننا نستهدف الأجيال الجديدة، لربطهم بتراث صنعه أجدادهم وحافظ عليه آباؤهم وعلينا الآن أن نحميه ونواصل النجاح فيه

خضت كل مراحل العمل التليفزيوني، بدأت من أول السلم حتى وصلت إلى إحدى درجاته العليا، لكن يظل عشقي أن أبقى أمام الكاميرا، أتحدث للمشاهدين وأسعد، وأشعر أنهم يسمعونني.

لكن ما أحب أن أذكره هنا، أنني لم ولن أستنكف في يوم من الأيام خوض العمل في التليفزيون في كل موقع.

ما زلت حتى الآن أستمتع بالجلوس في غرفة المونتاج مع «المونتير» حتى الصباح، لأنجز فيلمًا أو تقريرًا. ما زلت أسعد حين أخرج في مباراة مراسلًا. البعض -الأجيال الجديدة- يرون هذا عملًا بسيطًا، لكنني أراه أهم من عمل المذيع.

كما أنني أؤمن بأن كل مضمون يخلق شكله، وما يقال هو الذى يجذب المشاهد، ليس الموقع، إنما ما يقال وما يقدّم، لذا أحرص دائمًا على أن أقول الجديد، وأن أقدّم الجديد، ويظل هاجسي المهني البحث عن الجديد وتقديمه.

ومحطّاتي طويلة بعمق التجربة، خضتها عبر كل مراحلها، وما زلت أقول إنني في البداية، وأشعر أن لديّ الكثير الذي أسعى لتقديمه، سواء في موقع الإدارة، أو في موقع التقديم والمذيع، الذي يظل عملي ومهنتي وحبّي، لكن إذا شئت بعض التحديد؛ فقد عملت معلقًا لكرة القدم، ومراسلًا، ومقدّمًا، ومذيعًا، ومدير برامج، ونائب مدير، ثم مديرًا، ثم رئيسًا لقنوات أبوظبي الرياضية- عملي الحالي- وما زال الطريق طويلًا، وما زلت أسجّل بصمتي في المهنة ■

صالح لبريني

التراث بين شعرية المهادنة وشعرية المروق

لا يمكن للمبدع الأصيل أن يبدع بعيدًا عن النهل من معين التراث، الذي يعتبر رافدًا مهمًا في إضفاء نوع من البهاء الدلالي،والعمق لبنية النص الشعري ،هذا الأخير لا يكتسب شروط الحياة إلا بالانفتاح على الموروث ،كمرجع أساس، في الذهاب بعيدا بالنص إلى ارتياد مضايق الإبداع ، ومغالق السؤال المفضي إلى البحث الأبدي عن مكامن الانتماء الهوياتي والوجودي، هذا الانتماء لا يتحقق إلا بالمعرفة الرصينة والعميقة بالتراث.

فالتراث يمثل الهوية الخاصة لأي مجتمع مهما تقدم أو تأخر، ويسهم في إبراز الخصوصيات التي تميزه عن غيره من الأمم ، ويشكل المرآة التي تعكس حضارة أمة ما بتجلياتها المختلفة والمتنوعة؛ على اعتبار أن وجود الكائن البشري مرتهن بمدى القدرة على فهم وهضم وامتصاص هذا التراث؛ بحسب الرؤى المتحكمة في التفاعل معه، وزوايا نظر تمتلك رؤية واضحة وجلية. وهو كذلك كل ما خلفه الأسلاف ،كموروث مادي ومعنوي، يشحن طاقات الأخلاف ويزيدهم حضورًا وتواجدًا بين المجتمعات الإنسانية، فبه تحقق الأمة كينونتها -دون السقوط في الاجترار- بل على العكس ينبغي أن يكون دافعًا ومحفزًا على المغامرة، ومنارة تضيء عتمات الواقع ، وتكشف عن الآتي بما يمثله من رغبة في الاستمرارية، إذا كان هذا حال الشعوب والأمم؛ فإن الشاعر ، كفرد داخل المجتمع ، له سلطة معنوية تكمن في كونه معبرًا بتجربته عن هموم وانشغالات ، أحلام وآمال هذا المجتمع ، من المفروض عليه أن يتعامل مع التراث معاملة استثنائية وعقلانية تسهم في إحياءه حياة جديدة تتسم بالحركية والتجدد الدائمين، عبر توظيفه التوظيف الأمثل حتى يصبح شحنة إضافية لكل ما يبدع وزادًا يتزود به . ونبراسًا يضيء الجوانب المظلمة فيه والعمل على تجاوزها ،لأن الإبداع الحي هو الذي يستطيع التكيف مع الطوارئ والاهتزازات المفاجئة التي ترج الحقائق والمسلمات ، وهذا من طبائع الكون المبني على التغير والتحول.

لقد شكل التراث ،عبر تاريخ الوجود الإنساني على هذه البسيطة، الأثر الذي يُقِرُّ بعبورهم؛ ويفصح عن مواقف المجتمعات وتصورهم للحياة ؛ ونظرتهم للكون، أي يجسد هذا العبور ماديا ومعنويا ،من خلال، المنتوج الفكري والثقافي وكذا العادات والتقاليد والأعراف التي تعطي صورة عن المجتمعات، إن نظرة متأنية للشعرية العربية، توضح أن الشعراء تعاملوا مع التراث من وجهات نظرمتعددةوتصورات مختلفة أغنه؛وأسهمت في بلورته تبلورا جديرا بديمومة لانهائية ،وذلك انطلاقا من الأطر المرجعية التي ينطلقون منها ،حيث نجد شعراء حاولوا إحياءه حسب ذائقة معرفية وثقافية وشعرية ذات مسحة نمطية،إذ اعتبروه مقدسا ؛ثابتا لا يقبل الحلحلة ،مما انعكس على شعريتهم التي ظلت مرتبطة بذائقة شعرية كلاسيكية اجترارية لإبداع ظل رهين نسقية جامدة ،مما أفضى إلى كتابة نصوص لاحياة فيها ،نصوص عبارة عن جثث محنطة لاروح فيها ولا طعم ، شعرية مقيمة في التقليد والمحاكاة حتى النخاع،ترسف في أغلال السير على هدي الأسلاف ،وكأن هؤلاء الأسلاف لم يبدعوا تجربتهم المعبرة عن العصر الذي عاشوا فيه ،وعايشوا تحولاته وإبدالاته، إن هذا المنطلق جعل شعريتهم فاقدة لهويتها الإبداعية، وخارج منطق اللحظة الحضارية والتاريخية التي هم فيها ،فأصبحوا عبيدا للثابت،وهذا ما يمكن وصفه بشعرية النمط ،وهي شعرية تعتمد على الواحدية الشكلية ،والواحدية الدلالية ؛أي أن النص الشعري نص تنعدم فيه التعددية التأويلية ،وتتحقق فيه انغلاقية المعاني ومحدوديتها ،إنها شعرية تفتقد لمائية إبداعية، بقدر ما هي ضاربة في المحل اللغوي والشكلي والدلالي،وبعبارة أخرى شعرية متحجرة، لا تقترب إلى المناطق المجهولة،وإنما ترتكن إلى ماهو قائم في الموروث بمختلف صوره، شعرية مهادنة ومشلولة لا تستطيع تحطيم المنجز

الثابت،ومن سماتها أنها ذات ملامح غريبة عن الشرط التاريخي والحضاري الذي تنتمي إليه،أي أنها خارج سياق الإبداع المتغير والمتحول.هذه الشعرية تعبر عن بنية تقليدية لا ترى في النص الشعري سوى انعكاس لصورة القدماء،هؤلاء أبدعوا نصهم وتركوه ليكون حافزا لسيرورة إنسانية ميزتها اللاثبات،وبالتالي يمكن نعتها بشعرية المهادنة ،أي شعرية تقيم في القوالب الجامدة؛وذات رؤية ضيقة للإبداع والعالم.إنها هي شعرية انفعالية تغلب الجانب النقلي على الجانب الإبداعي،ومن تم يمكن نعتها بشعرية استنساخية مشوهة لكونها لاتنتمي للحاضر ولا للمستقبل .

في المقابل ،ونظرا للانعطافات الاجتماعية والسياسية،برز شعراء آخرون هاجسهم الأساس الذهاب بالنص الشعري إلى مدى لامتناه،هو أفق الخلق والتجاوز،خلق قوالب فنية تستوعب تلك الإبدالات،وتكون قادرة على التعبير عن لحظتها ،مما جعلهم يختارون صف الخرق كمعيار لشعرية غايتها الإبحار في الذات ككينونة غامضة؛والكون كإشكال لوجود هذه الذات فيه،شعرية تختار السياحة في هذا الأفضية التي هي في أمس الحاجة إلى الكشف والاكتشاف،شعرية تخوض غمار سباحة محفوفة بمخاطر حالات المد والجزر التي يعرفها العالم والذات،مما يكون له الأثر عليها،ومن تم تكون رهينة هذه التقلبات .شعرية هاجسها الأول هو هدم النمطية السائدة وتشييد شعرية متجددة؛خارقة للمألوف والمعتاد،متجاوزة لما هو كائن في التجربة الشعرية التقليدية،غير مهادنة للثابت بقدر ما تنحو منحى المغامرة،تجعل الخرق مقياس إبداعيتها.

وقد استطاعت هذه الشعرية أن تؤثث المشهد الشعري العربي بتجارب كان لها الدور الفعال في فهم التراث وامتصاصه بطريقة متجددة،إذ فتحت حوارا معه يتسم بالجدل والجدال الفعال،والتعامل الإيجابي ،مما كان له انعكاس مثمر على النص الشعري الذي اغتنى بالقراءة المتجددة و المجددة لهذا التراث.

وما ينبغي الإشارة إليه أن شعراء شعرية المروق تمكنوا من فض علاقة المهادنة التي كانت قائمة في الشعرية النمطية أو المهادنة؛عبر سلك مسالك جديدة مملوءة بانعراجات وانعطافات في الشكل والدلالة،وكذلك على المستوى الرؤيوي للعملية الشعرية،فالرؤية للنص الشعري رؤية لا تيقى على حال واحدة ،بل وفق ما يقع من حلاحل سواء اجتماعيةوسياسية،أو معطيات حضارية ،فطبيعة الإبداع ،بصفة عامة،التحول وعدم الثبات،فهو ديناميكي متحرر من القيود ومتفتح على إبدالية كتابية تقول كينونتها الشعرية انطلاقا من الداخل؛على اعتبارأن «الإبداع طاقة كامنة في النص،تتجدد في كل مرحلة تاريخية،فنكشف ،من خلالها،عمَّا لم يكن قد اكتشفه غيرنا من قبل» فالنص الشعري ،في هذه الشعرية،ينتمي إلى زمن متحول وفق واقع جديد ديدنه عدم المكوث على إيقاع واحد؛ بل هو ذو إيقاع متبدل ومنسجم مع روح اللحظة الوجودية،لا يقتفي أثر الإقاعات السلفة،بقدر ما يبدع إيقاعه الخاص به،والمعبر عنه،والناطق بلسان حاله،»فالشعر تجربةقبل كل شيء ،وهو المعاناة التي تصهر الأشياء،والمغامرة الجريئة التي لا تتوقف عندحد» ومن تم جاء تعامله مع التراث الشعري القائم يتصف بعدم الارتكان إلى ماهو ثابت فيه،وإنما هاجسه الأول واللانهائي يتمثل في الثورة عليه،هذه الأخيرة لايقصد بها القطيعة ،وإنما التفاعل الإيجابي مع هذا التراث برؤية تجديدية تعي شرطها الحضاري،والتاريخي،ووجودها الإبداعي. ذلك أن النص الشعري لم يعد نصا يلوك النص السابق لَوْكاً مجانيا اجترارياً؛بل يخلق نصه من إِنِّيَتِهِ الذاتية،

هكذا تحول التراث مع شعرية المروق إلى طاقة متجددة ،وفاعلية إبداعية تثير دهشة جمالية لدى المتلقي ■

تواصيف

درب الخبّازات أعَوَيْ

الخبّازات: اللائي يبعن الخبز بعد تصنيعه في بيوتهن، ثم يحملنه على رؤوسهن ويطفن به على الأحياء السكنية لبيعه. **أعَوَيْ: أعوج، وليس مستقيماً.**

ومعناه أن الطريق الذي تسلكه بائعات الخبز ليس مستقيما، لوجود أكثر من بيت في طريقهن، فهذا يميناً وهذا شمالاً وهكذا.

يضرب هذا المثل الشعبي انتقاداً لمن يسلك الطرق الملتوية للوصول لغايته.

الطبيعي، الاجتماعي، الإنساني

د. سعيد يقطين*

يختلف تصنيف العلوم والمعارف والفنون باختلاف العصور والثقافات، كما أنه يتباين بحسب تطورها أو بروز علوم أو معارف جديدة، في هذه الثقافة أو تلك. وعملية التصنيف تكشف عن خصوصيات كل ثقافة، وعن الأدوار التي يمكن أن تضطلع بها بالمقارنة مع غيرها في حقبة من حقب التطور. ولذلك نجد العلماء والمختصين يولون عملية تصنيف الثقافات وترتيبها أهمية خاصة، بما لها من دور في إبراز المعارف الجديدة، وعلاقات بعضها ببعض، بهدف تعميق الصلات، وإيجاد الجسور الممكنة بينها، والكشف عن المميزات والمشاريع التي يحبل بها كل اختصاص أو ثقافة.

رغم كثرة الآراء والاختلافات بين المتخصصين حول الثقافات في علاقتها بالاختصاصات الأكاديمية والعلمية، يكاد يحصل الاتفاق على أن الثقافات ثلاث تتوزع على الاختصاصات التالية: الطبيعيات، والاجتماعيات والإنسانيات. ومن خلال هذا التمييز يمكن إجراء تقسيم ثان يتم بموجبه التفريق بين «ثقافة علمية» تبرز بالخصوص من خلال الطبيعيات والاجتماعيات، و«ثقافة أدبية» أو فنية تبرز على نحو خاص من خلال الإنسانيات. وواضح من خلال هذا التمييز الاحتكام إلى مدى حضور الهاجس العلمي في كل من الثقافتين بحسب طبيعة كل منهما.

إن العلوم الطبيعية تتعامل مع الظواهر الطبيعية أيا كان نوعها محاولة فهمها وتفسيرها، والتنبؤ بما يمكن أن تكون عليه في المستقبل. كما أن العلوم الاجتماعية تسعى إلى فهم الظواهر النفسية والاجتماعية وتفسيرها، مع محاولة التنبؤ بمستقبلها. بينما تعنى الإنسانيات بصفة عامة بردود أفعال الناس وخطاباتهم والعمل على تأويلها.

منذ استقلال العلوم، في القرن التاسع عشر عن الفلسفة التي ظلت تعتبر في العصور القديمة أم العلوم، وهي تسعى جاهدة لتطوير أدواتها وتصوراتها للمواد الطبيعية التي تشتغل بها. ولقد أدت النجاحات الهائلة التي بدأت تراكمها في التعرف على المادة، إلى إغراء الباحثين في المجتمع لاتخاذها أنموذجا يحتذى. ونجم عن ذلك بروز علم الاجتماع والنفس ومختلف العلوم الاجتماعية الأخرى التي تعنى بقطاعات اجتماعية معينة مثل الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا. ورغم محاولات الدراسة الأدبية السير على منوال العلوم الاجتماعية من خلال ما يعرف في تاريخ الأدب بـ«النقد العلمي» فإن النجاح لم يحالفها، وظلت تركز، رغم بعض الملامح العلمية التي استندت عليها، على ذوق الدارس وتأويله للنص الأدبي.

في بداية القرن العشرين، نجحت اللسانيات في أن تتأسس على قاعدة علمية من خلال أعمال فرديناند دو سوسير، وألهمت بذلك الشكلانيين الروس الذي نادوا بضرورة دراسة الأدب دراسة علمية على غرار اللسانيات. لكن مشروعهم أقبر في المهد، وسيطول انتظار تحقق حلمهم إلى حين ظهور البنيوية التي تأسس جزء أساسي منها على المستوى الأدبي على تراثهم، فكانت الدعوة إلى بروز اختصاصات علمية تدرس الأدب بطريقة مختلفة عما تكرس منذ القرن التاسع عشر. ومع ذلك فقد ظل التعامل مع الإنسانيات، وبالأخص الدراسة الأدبية، مبنيا على أن انشغالها بالإجراءات العلمية منعدم تماما، ولاسيما وأن الكثيرين من المشتغلين بالأدب ظلوا يرفضون أي توجه علمي في دراسة الأدب، معولين على الذوق والتأويل، مكتفين بترديد كون النص غير قابل لأن يعالج علميا.

لكن المرحلة الحالية، عرفت تغيرا شبه جذري، في البحث الأكاديمي الغربي، بسبب الانتهاء إلى مرحلة تجاوز الاختصاصات، والذهاب إلى القول بضرورة تعددها وتداخلها وإقامة الجسور بينها. ولما صار الخطاب الأدبي موضوع اهتمام مختصين من خارج الأدب، صارت المناداة بعلمية الدراسة الأدبية تطفو على السطح، وتجد من ينتصر لها عكس ما كان عليه الأمر إلى نهاية القرن العشرين.

إذا كان هذا هو واقع الثقافات الثلاث في الغرب والدول المتقدمة،

فإن الأمر عندنا، نحن العرب، مختلف تماما. فقد ظلت الطبيعيات في أغلب جامعاتنا، رغم التشجيع الذي تحظى به، لا تقدم لنا سوى مهنيين لا باحثين من مستوى عالمي. أما الاجتماعيات فهي أشبه بالمنعدمة، رغم تسمية العديد من الكليات باسم «العلوم الاجتماعية». ويمكن قول الشيء نفسه عن الفلسفة. بينما، وهذه هي المفارقة، نجد الإنسانيات، وبالأخص ما اتصل منها بالدراسة الأدبية والتاريخية على وجه الخصوص، هي التي يساهم باحثوها في تطوير واقعنا الثقافي وإغنائه رغم عدم العناية بها، أو تشجيعها.

يبدو أن البحث في الطبيعيات والاجتماعيات يستدعي، إلى جانب الدعم المادي، اعتماد العمل الجماعي المؤسس على تقاليد أكاديمية دقيقة، وهذا مفتقد في جامعاتنا حيث ما تزال الفردية في العمل هي المهيمنة. كما أن إعادة النظر في المواد والمقررات من منظور يراعي طبيعة الاختصاص هو المدخل الطبيعي لتجديد النظر في البحث الجامعي العربي. لقد انتهى زمان الانطلاق من مواد لا علاقة لها باختصاصات دقيقة، ولا تعالج بالتالي وفق مقتضيات البحث العلمي، سواء في الاجتماعيات أو الإنسانيات. ولذلك قلما نجد باحثين مختصين في مختلف ضروب الثقافة أو التراث العربيين. وكلما ظل البحث العربي مشروطا بما هو قائم الآن، تصعب مواكبة الأبحاث العالمية أو الارتقاء إلى مستواها. وما دامت هذه الاختصاصات غير واضحة المعالم، لا يمكننا أبدا الحديث عن تداخل الاختصاصات أو تعددها، ولا عن المساهمة في العصر المعرفي.

إن الحلم بارتقاء الجامعات العربية إلى مصاف الجامعات العالمية يراود المسؤولين والباحثين على السواء، لكن بدون تدقيق النظر في الثقافات الثلاث وإقامة الجسور بينها سيظل الحلم كابوسا يؤرق الثقافة العربية ■

*باحث أكاديمي من المغرب

الخطابة العربية

ملاحظات فنية

د.سعيد أصيل

كان الشعر موطن السبق وديوان العرب وأساس فخرهـم وقاعدة تفاخرهم وتفوقهم، وكان الشاعر لسان قبيلته، الذّابّ على شرفها ونسبها والناشر لمجدها وعلو مكانتها. ولم يكن الخطيب أقل مكانة منه، إلا أن الخطابة في العهد الجاهلي ارتبطت أساسًا، بأسياد القبيلـة وأمرائها وشيوخها، ولذلك كان لابد للخطيب أن يكون بارعًا فصيحًا يجتذب إليه الأسماع ويستميل الأذهان والألباب ويأسر القلوب، لا سيما وأننا في مجتمع أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، بل يعتمد أساسًا على حاسة السمع التي تلتقط وتمرر إلـى الذاكرة كي تستوعب وتحفظ

ونظرًا لسهولة حفظ الشعر وتمكنه احتفظ العرب بالكثير منه، بينما ضاع أغلب النثر ولم تحتفظ الذاكرة التراثية إلا بالقليل من الخطب التي قيلت قبل بداية التدوين ولذلك أكد النقاد أن «ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره»(1)، فضياع أكثر النثر نتيجة أسباب موضوعية، في مقابل استمرار الشعر والمحافظة عليه وانتقاله عبر الأجيال لسهولة حفظه «وشيوعه في حاضرهم وباديهم، وخاصهم وعامهم، بخلاف الخطابة، فإنه لم يتعاطاها منهم إلا القليل النادر من الفصحاء المصاقع، فلذلك عز حفظها، وقل عنهم نقلها، وقد كانت تقوم بها في الجاهلية سادات العرب ورؤساؤهم، ممن فاز بقدح الفصل وسبق إلى ذرى المجد، ويخصون ذلك بالمواقف الكرام والمشاهد العظام والمجالس الكريمة والمجـامع الحفيلـة.»(2)

بين الخطابة والشعر

ويذهب أدونيس، عاكسًا الآية، إلى أن الشعر أخذ عن الخطابة أساليبها الفنية؛ إذ كانت الخطابة «نموذج البلاغة الأرقى والأكثر فاعلية ولئن تلاشى أو تراجع بفعل الظروف، فقد بقي في الذاكرة، ومنها نشأت الضرورة لمحاكاة هذا المثال في فنون القول الأخرى وفي طليعتها الشعر، وفي هذا ما يفسر عمل البلاغيين العرب في قياس الشعر على الخطابة، كمثل قياس الأدب بعامة، على الدين.

والواقع أن هؤلاء البلاغيين حددوا، في كلامهم عن الشعر، بلاغة الخطابة، ولم يحددوا بلاغة الكتابة .

هكذا رسموا للشعر نمطًا وظيفيًا، يقوم على سمات موضوعية معينة، سواء في المديح أو الرثاء أو الهجاء أو غيرها. وقوام هذا النمط الوظيفي التأثير في السامع في مناخ من البديهة والارتجال والإيجاز، أي من الوضوح والدقة والمباشرة « (3).

وإن كنا نذهب إلى أن العكس هو الصحيح وأن الشعر هو الذي كان الخطيـب يتوسل تقنياتـه ويوظف تعابيـره لإحداث هذا التأثيـر. من هنا كان السجـع النموذج الذي أخذت عنه الخطابة، فإن الأحوال والنظرة الموضوعية تدعواننا إلى ذلك وتدحض ما يذهب إليه أدونيس .

إن الاهتمام بالأسلوب يشكل أهم شيء وأبرز مظهر في الخطابة، إضافة إلى الازدواج والتوازن، مما يعطي أفقًا إيقاعيًا مؤثرًا جاذبًا للأسماع، يمكن معه القول: إن «الخطابة العربية نشأت في محيط شعري، بل ربما جاز القول بأنها أحد الأفلاك المنفصلة عن الشعر، المشدودة إليه بجاذبية أسلوبية قوية «(4).

هذه الجاذبية الأسلوبية القوية تتجلى أكثر ما تتجلى في عنصر الإيقاع الذي يحدثه السجع والتوازنات واطراد كثير من التراكيب.

ولعل من أشهر نماذج الخطب الجاهلية خطبة قس بن ساعدة (5) التي رواها غير واحد، على رأسهم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي روى بعض أجزائها، وهي من أندر ما وصلنا من خطب

الجاهلية ،كما أنها مبنية على السجع والموازنات، فجاءت مقاطعها مسجوعة متوازنة، حافظ فيها صاحبها على أكبر قدر مستطاع من أساليب «الإقناع» الصوتي والدلالي، فتوسل بقيم صوتية موسيقية اعتمدت الموازنات الإيقاعية بين فواصل الكلام، ووظفت الجناس والترصيع والمقابلات، مما يثير السامع ويجذبه إلى الخطيب .

وكما وظفت تقنيات الشعر وظفت أيضا أبياتًا ومقاطع شعرية وسطها ؛ زينت بها تضاعيف الكلام «النثري»، بل إن الخطبة لتبدو أحيانًا أبياتًا أو مقاطع من الشعر؛ لاسيما أن بعضها جاء موزونًا . وكان الخطباء – كما تذكر كتب الأدب والنقد – يُجوِّدون الكلام ويحبِّرون خطبهم تحبيرًا يصل حد التكلف والتصنع أحيانًا، كما كانوا يستعيرون من الشعر أجمل ما فيه من الاستعارات والتشابـيه والصيغ الموسـيقية والإيقاعية، حتى يتمكن الخطيب أن يفعل في السامع/ المتلقي ما يفعله فيه الشعر وأكثر. يقول الجاحظ: « لم ترهـم مع ذلك يستعملون مثل تدبيرهم فـي طوال القصائد في صنعة طوال الخطب (...) وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرأي في معاظم التدبير ومهمات الأمور مَيَّثُوه (*)في صدورهم، وقيدوه على أنفسهم، فإذا قَوَّمه الثقاف وأدخل الكير وقام على الخلاص أبرزوه مُحَكَّكا منقحًا ومصفىً من الأدناس مهذبًا.»(6) ولا يتسع لنا المقام لإيراد نماذج لخطب كثيـرة مبثوثة في طيات المصادر العربيـة .» (7)

في خصائص الخطابة العربية الفنية

تميزت الخطابة العربية في الجاهلية عمومًا بقصر فقراتها وجملها؛ لما في ذلك من التـأثير السريع على المتلقين / الجماهير الذين يقفون أمام الخطيب وعليه العمل على استمالتهم بشـتى الوسائل الفنية – بما فيها الإيقاع – التي لا تتحقق، أحسن ما تتحقق، إلا في قصر الفقرات وسجعها وتوازنها . هذا الجانب الإيقاعي الموسيقي يستطيع بواسطته النفاذ إلى قلوبهم وتحريك مشاعرهم وإثارة انفعالاتهم وشعورهم ،كما أن طبيعة البيئة الجاهلية جعلت تلك الخطب نفسها قصيرة أيضًا، لأن طبيعة حياتهم « لم تكن تستدعي طول الخطب، فلكي تكون الخطب طويلة ينبغي أن توجد في بيئة ذات حياة فكرية نامية وحضارية معقدة ،و تفكير العربي في ذلك العصر كان بعيدا عن التعقيد والفلسفة، وكان العرب بطبيعتهم مفطورين على أداء فكرتهم بأوجز عبارة ،اعتمادا على ذكاء السامع. وما ظهرت الإطالة والإطناب في النثر العربي إلا حين خالط العرب الأعاجم .» (8)

أما في العهد الإسلامي فقد كان للقرآن أثره الكبير على فن الخطابة

من حيث المضمون والشكل، وشكلت خطب الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين أمثلة حية وعظيمة، لذلك ستكون نموذجا يحتذى من طرف الخطباء والبلغاء من بعدهـم.

وقد سار الخطباء فيما بعد على هذا النهج، وسلكوا مبدأ قصر الفقرات والجمل والإيجاز واعتمدوا جزالة اللفظ واختيار العبارات الفصيحة، والعناية بالسجع والموازنة بين الفقرات، دون تكلف أو تزويق للكلام، كما ظهرت المناظرات السياسية التي اعتمد أصحابها عدة خصائص فنية أهمها السجع ؛ إذ كان خطباء هذه المناظرات « يعدون من تمام الفصاحة عند تناظر البلغاء الإتيان بالسجع الذي يضفي على كلام المتناظرين رونقا وطلاوة، وينطق ببراعة المتكلم، وربما كان مرد هذا أيضا إلى صورة المفاخرات الجاهلية القديمة التي كان السجع ملتزما بها .» (9) وقد سار النساك والقصاصون والوعاظ وغيرهم على نفس النهج من خلال العناية بخطبهم ومواعظهم وأقاصيصهم... وكيفما كان الحال فإن أغلب الخطب في العصر الأموي، أساسًا، كان يعتني بها أصحابها ويدثرونها بالسجع والتـــوازن وحسن التقسيم بين فواصلها وفقراتها كما كانوا يستعينون بشتى أنواع الإقناع، وخاصة الإيقاعية والموسيقية، ويذيلون خطبهم بآيات من القرآن الكريم وأبيات حكمية من الشعر... غير أن التراث الخطابي لم يكن يصدر عفو الخاطر ودون تهيئ من أصحابه، بل إن الخطباء كانوا يعتنون به ويثقفونه ويحككونه ويعيدون فيه النظر بعد النظر –كما ذكرنا من قبل – وذلك ما يؤكده بعضهم، قال البعيث: «إني والله ما أرسل الكلام قضيبا خشيبا، وما أريد أن أخطب يوم الحفل إلا بالبائت المحكك « (10)، وقال عبد الله بن وهب الراسبي حين رشحه الخوارج ليكون رئيسا عليهم: «و ما أنا والرأي الفطير والكلام القضيب « (11)، ولعل ذلك يعود إلى حرص هؤلاء الخطباء على أن تظل خطبهم مذكورة ممدوحة تجوب الآفاق وتُحفظ ويتم ترديدها لتفعل أثرها وتجلب أنصارًا وتخوف أعداء وترفع مكانة صاحبها. كما يذكر إحسان النص سببا آخر يتجلى في «نمو الإحساس الأدبي والذوق الفني في هذه الجماهير.

وقد كانت الجماعات التي توجه إليها الخطب في عصر بني أمية على حظ وافر من هذين الأمرين، ومن هنا كان لها مشاركة قوية في توجيه الحياة الأدبية عامة في هذا العصر، إذ كانت تقبل على سماع الشعر الجيد والخطب الممتازة وكانت تصدر أحكامها النقدية على الشعراء والخطباء وتوازن بين الشعراء الممتازين.»(12)

وممن اشتهر بالسجع في الخطب، بشتى أ نواعها، يمكن الإشارة إلى الإمام علي كرم الله وجهه وبعض زعماء الخوارج كقطري بن الفجاءة والكميت، ومن العهد الأمـوي الحجاج بن يوسف الثقفي وزياد بن أبيه وغيرهـما ؛ ممن بثت خطبهم فـي كتب الأدب والأخبار والنقد، وقد أفرد الجاحظ أبوابا للعديـد من الخطب والخطباء ■

*** ناقد من المغرب**

تميزت الخطابة العربية في الجاهلية بقصر فقراتها وجملها؛ لما في ذلك من التأثير السريع على المتلقين الذين يقفون أمام الخطيب وعليه العمل على استمالتهم بشتى الوسائل الفنية

كان للقرآن أثره الكبير على فن الخطابة من حيث المضمون والشكل، وشكلت خطب الرسول والخلفاء الراشدين نموذجًا يحتذى من طرف الخطباء والبلغاء من بعدهم

هـوامش

*الصور من فعاليات سوق عكاظ بالمملكة العربية السعودية.

1 - القولة للرقاشي أوردهـا الجاحظ في «البيان والتبيين» - الجزء 1 - ص:175 والقلقشندي في «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» ـــ شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه : يوسف علي طويل - دار الفكر - بيروت – الطبعة الأولى: 1407هـ/1987م-الجزء 1 - ص:210 - وأوردها ابن رشيق القيرواني في: «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده» – تحقيق وتعليق : محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الرشاد الحديثة – الدار البيضاء – (ب.ت)

الجزء 1 - ص: 137 غيرهم ...

2 - القلقشندي : (م.س) – الجزء 1 – ص : 254

3 – أدونيس : « الثابت والمتحول: بحث في الإبداع والاتباع عند العرب « - الجزء الثالث: صدمة الحداثة- دار الفكر- بيروت- الطبعة الخامسة: 1406هـ1986-م - ص : 307

4 - محمد العمري: «في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لـدراسة « الخطابة العربية «- سلسـلة: الدراسات النقدية - دار الثقافة للنشر والتوزيع - الدار البيضاء -الطبعة1: 1406هـ/ 1996م- ص: 91

5 – الجاحظ : - الجاحظ : « البيان والتبيين « - تحقيق: د.درويش جويدي - المكتبة العصرية - صيدا/لبنان – الطبعة الأولى: 1429هـ / 1999م – الجزء 1 – ص: 186

(*)ميثوه : أي ذلّلوه وأعدوه.

6 – الجاحظ : (المرجع السابق) - الجزء 2 - ص : 243

7 - يمكن الرجوع في هذا الصدد إلى : أحمد زكي صفوت : «جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة»- بيروت- (بدون تاريخ) – الجزءان الأول والثاني.

8 – إحسان النص : «الخطابة العربية في عصرها الذهبي»- دار المعارف- القاهرة- الطبعة الأولى: 1963- ص : 14

9 - إحسان النص : (م.س) - ص: 195

10 - الجاحظ : (م.س) - الجزء 1 - ص : 128- 129

11 – الجاحظ : (م.س) - الجزء - ص : 129

12 – إحسان النص : (م.س) – ص : 240

أول كتاب موسوعي عن الدروع والأسلحة الإسلامية

فاطمة عطفة

كان للسيف أهمية كبيرة في التاريخ العربي، وقد تغنى به العديد من الشعراء بدءا من عنترة، كما اعتبره الشاعر أبوتمام أهم من الكتب. وصورة السيف تتردد مئات المرات في شعر المتنبي. وقد شغل السيف في تراث أمتنا، عبر تاريخها، أهمية بالغة في رياضة الفروسية ومواقع الفتوحات.

وخلال حقب التاريخ مرت صناعة السيوف بتطورات فنية متعددة، نظرا للأهمية البالغة التي كان ينفرد بها السيف العربي، قبل اختراع الأسلحة النارية.

صدر حديثا كتاب موسوعي مصور بعنوان: «الدروع والأسلحة الإسلامية» للباحث محمد خليل إبراهيم، يقع في حدود ألف صفحة ويحتوي على 650 صورة لقطعة سلاح مأخوذة من عدة حقب تاريخية لم تنشر من قبل، وهي من المقتنيات الخاصة لمؤلف الكتاب، كما يضم الكتاب مجموعة مهمة تتعلق بالأسلحة والدروع الإسلامية، وهي واحدة من أبرز وأشمل المجموعات التي تم تشكيلها في الآونة الأخيرة، وتضم نماذج من سلالات السيوف في العهود الأموية والعباسية والمصرية والشرق أوسطية تعود إلى عهود الأيوبيين والمماليك والعثمانيين، وهناك العديد من القطع من عهد المغول ومن الهند والملايو وأندونيسيا.

يتألف الكتاب من أربعة أجزاء، أولها بحث تمهيدي في الجانب العلمي، ثانيها الاعتماد على الكتب والمصادر التاريخية، ويشمل الثالث تجربة المؤلف الخاصة بالسيوف وبحثه في تاريخ الأسلحة الإسلامية وتطور هذا الفن عبر العصور المختلفة، كما يناقش الباحث في الجزء الأخير أهمية السيف وصناعته، موضحًا بالأمثلة المقتبسة من مختلف المتاحف والمطبوعات مزايا هذه الصناعة، مركزًا على وصف تصنيع السيف الدمشقي، ويبين أمثلة لمختلف الأنماط والأساليب، كما يستعرض النقوش والأنواع المختلفة من الخطوط العربية المكتوبة على السيوف والمعاني المناسبة بالتفصيل. ويعرض المؤلف العديد من الرسوم التوضيحية لأنواع المقابض المختلفة والدروع المتنوعة، كما أنه يتناول بالبحث موضوع الحرب بصفة عامة، إلى جانب صور آلات الحصار الحربية وتشكيلات المعركة وتقنياتها وتنظيم صفوف الجيش.

إضافة إلى ما سبق، يفرد الكتاب قسمًا لفنون الرماية بشكل كامل. ومن القطع النادرة التي يعرضها مجموعة خاصة تحتوي على سيوف السلاطين العثمانيين الأربعة وهم: محمد مراد الثالث، ونجم الدين أيوب، قايتباي، وسليمان القانوني، كما تضم مجموعة من السيوف التي تنتمي إلى عائلة تالبور الشهيرة، وهم حكام السند في القرن التاسع عشر.

ثلاثة مقدمات علمية

وجاء في مستهل الكتاب مدخل تمهيدي للمؤلف محمد خليل إبراهيم، كما كتب الباحث بشير محمد مدير مؤسسة الفنون في دبي مقدمة للكتاب، بين فيها أن المؤلف قدم دراسة تاريخية مهمة عن كافة الأسلحة الإسلامية الموجودة فعليًا، ولم يتطرق لذلك شخص آخر. وهناك مقدمة ثالثة للخبير البريطاني الأستاذ روبرت هليس خبير الأسلحة الإسلامية في لندن، وهو يعتبر أن الكتاب يحتوي على ثروة رائعة من المعرفة، وأن أهم ما يتسم به تفاصيل عن خمسة وتسعين حدادا، ولم يتم تسجيل أو معرفة الكثير منه من قبل، إضافة إلى الرسوم التوضيحية والصور الفنية لكافة النقوش الموجودة على كل قطعة.

وفي لقاء مع الباحث محمد خليل أشار إلى شغفه بجمع التحف القديمة والأهمية التي أولاها لجمع السيوف الإسلامية من جميع أقطار العالم سواء عن طريق الشراء من المزادات أو من المقتنين والتجار، وأضاف قائلا: «أكثر من 25 سنة أمضيتها بالبحث في تاريخ هذه الصناعة «السيوف» من العهود الأولى إلى العهود الإسلامية المتأخرة. وأضاف خليل موضحًا أنه تابع كتابة النظريات حول هذا الموضوع معتمدا على البراهين والمصادر العلمية التاريخية في أشكال تغير السيوف من المستقيمة إلى المنحنية، وتدرج الانحناء مع الزمن وأشكال قبضات السيوف، والعبارات الإسلامية التي كتبت عليها، إضافة إلى النقوش والزخارف وطرق فنون التطعيم والتنزيل والتكفيت. وتشمل دارسة البحث هذه أنواع المعادن التي صنعت منها السيوف، يقول: «هناك اختلاف بالمعادن بين «جوهر» معدن السيف السطحي في الشام أو بلاد فارس أو الهند، إضافة إلى إظهار بعض من صنعوا هذه القطع الذين كانوا مجهولين لا يعرف عنهم أحد. وأشار خليل إلى أن من بين السيوف التي تضمها مجموعة مقتنياته الخاصة سيف السلطان نجم الدين أيوب حفيد صلاح الدين، وسيف السلطان المملوكي قايتباي، وسيف سليمان القانوني، والسلطان العثماني محمد مراد، والسلطان العثماني عبد العزيز خان، إضافة إلى مجموعة سيوف أمراء وحكام المغول والهند، ومن ضمنهم عائلة تالبور من حكام السند. ونختتم مع الباحث خليل الذي أكد أن السيوف التي نشر صورها في الكتاب تعود له ملكيتها مع وجود شريك بنسب متفاوتة هو الأستاذ يحيى ضياء جعفر المدير العام لشركة أوروك للغاز في دبي، وهو أحد خبراء العالم في المسكوكات الإسلامية ولديه مقتنيات من أكبر مجاميع المسكوكات بصفة شخصية. وفي ختام اللقاء عبر محمد خليل إبراهيم قائلا: «كان لي شرف إهداء أول نسخة لهذا الكتاب قبل طباعته إلى صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، عند تشريفه بزيارة معرضنا «اتحاد جاليري»، وهذا دليل على مدى اهتمامه بالثقافة والفنون الإسلامية وسموه قدوة لنا في دعم المسيرة الثقافية ونمو الفكر والوعي التاريخي لدى شباب المستقبل ■

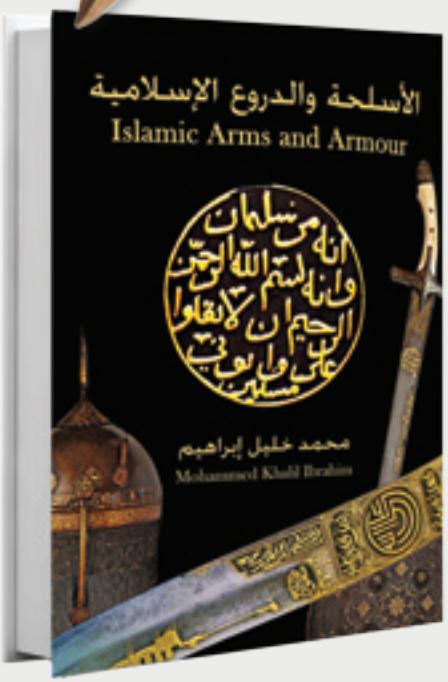

كان للسيف أهمية كبيرة في التاريخ العربي، وقد تغنى به العديد من الشعراء بدءاً من عنترة، كما اعتبره الشاعر أبوتمام أهم من الكتب، وصورة السيف تتردد مئات المرات في شعر المتنبي. وقد شغل السيف في تراث أمتنا، عبر تاريخها، أهمية بالغة في رياضة الفروسية ومواقع الفتوحات

أحد رواد تسجيلات الطرب الشعبي في الإمارات

«محمد فون»:

عَشِقت أشعار الجمري ودندنات بن روغه

حاوره: د. راشد أحمد المزروعي

من منا لا يعرف الفنان علي بن روغه، والفنان ميحد حمد، والفنان حارب حسن رحمه الله؟

من منا لا يعرف المرحوم جابر جاسم، والفنانين سعيد الشراري، وأحمد الحرفي، وحمدان الوطني، ومحفوظ سعيد، ومحمد سلطان المقيمي، ومحمد راشد الرفاعي، وموزة خميس، وغيرهم الكثير ممن صنعوا ذكرياتنا بفنهم الجميل ولمساتهم الخاصة في عالم الأغنية الشعبية البديع؟

اليوم، أتيحت لنا فرصة للتجول في هذا العالم والاستمتاع ببعض الذكريات عن أغاني وتسجيلات ذلك الزمان، بصحبة واحد ممن لعبوا دورًا كبيرًا في إنتاج تلك الأغاني المسجّلة على اسطوانات دوّارة لطالما استمعنا إليها بلهف وشوق وحرارة وطرب في بدايات الصبا، في نهاية الستينيات والسبعينيات الماضية، وهي العقود التي شهدت تلك الصناعة التي اختفت إلى الأبد لتحل محلها التسجيلات الجديدة بداية بالكاسيتات ثم التسجيلات الرقمية والسيديهات والكاتريجات والحاسبات الآلية وحتى وقتنا الحاضر الذي أصبح فيه الاستماع إلى أغنية لا يحتاج سوى لمسة زر واحدة في جهاز الكمبيوتر أو الهاتف الذكي، رحم الله ذلك الزمان وأهلَه.

تعالوا معي نلتقي مع الأخ «محمد فون» وهو الشريك في تسجيلات «زينيل فون» من دبي، التي تربّعت على عرش تسجيلات الأغنيات الشعبية في الإمارات وبعض دول الخليج القريبة، حتى وقتٍ قريبٍ.

نستعيد معه الذكريات ونستمتع بالأغنيات القديمة وأيامها التي لا تنسى، والتي ستظل معنا نحن وأجيالنا الحاضرة والقادمة بفضل آلات الحفظ والتوثيق الحديثة التي أنقذتها من الاندثار بقدرة الخالق سبحانه وتعالى.

في منزله في مدينة الشارقة وفي حيّ «القراين»، يقابلك الأستاذ محمد أحمد بن حسن، الذي اشتهر باسم «محمد فون» بابتسامته الطيبة ووجهه الذي ترى فيه ذكريات السنين الجميلة وكأنك تقابل علي بن روغه أو حارب حسن أو حمدان الوطني، والذي طالما جلس معهم في محله يسجّل لهم الأغاني أو استقبلهم في منزله.

مصحوبًا بترحيبه الذي يردّده طوال الطريق إلى قاعة التسجيل التي أنشأها في بيته وجعلها مجلسه المفضّل، يستقبل فيه زوّاره الباحثين عن الفن القديم، تتردد في المكان أغنية علي بن روغه الذي يعتبره مطرب الإمارات الأول، ويقول إنه "غطّى على مطربي الماضي والحاضر".

«من ضميري دار دولاب المثل شُفت ظبيٍ يا ملا ماله مثيل»، يقول مضيفي: «هذه الأغنية أشهر أغاني بن روغه على الإطلاق، وكنا نبيع منها يوميًا عشرات الاسطوانات لمدة شهور وسنوات».

يأخذنا الحديث عن الأغاني القديمة والمطربين القدامى الذين أسّسوا للأغنية الشعبية في الإمارات ممن لم يعاصرهم هو، أمثال يوسف حسين، وصالح سمكري، بينما تتردد في المكان نغمات الطرب لأغنيات علي بن روغه، وجابر جاسم وحارب حسن وحمدان الوطني وموزة خميس.

محاولًا التركيز على الحوار، طلبت منه أن يغلق (البشتخته) أو (الجرام) أو «الجرامافون» وهي التسمية الأجنبية الصحيحة له، فرفض بأدب جم، وقال: "لا أستطيع الجلوس في الاستديو من دون أن أسمع أغنية" ثم تقديرًا لطلبي يقوم بتخفيض الصوت ليظل محلقًا حولنا كخلفية صوتية لحديثنا.

■ **سألته: متى دخلت هذا السوق بل هذا الفن يا أخ محمد؟**

هذا الفن قديم جدا في الإمارات وقد وجد قبل أن نولد، والتسجيلات الفنية للأغاني الشعبية في الإمارات قديمة جدا ولا نستطيع أن نقول إنها بدأت في بدايات القرن العشرين الماضي وقد وصلتنا من اليمن والكويت والسعودية والبحرين وإيران.

أما عن تجربتي، فقد بدأنا محلنا في دبي عام 1968م وكان اسمه «زينل فون» ويملكه شخص يسمى "زينل رضا" من عائلة «الخاجة» المعروفة في الإمارات، وما زال حيًّا حفظه الله ويزورني وأزوره، يحضره لي ابنه هنا في الاستديو لأنه كبر في السن كثيرًا.

كنت شريكه في المحل ولم نفترق حتى بداية الثمانينيات عندما كسد سوق التسجيلات بعد صدور قانون الملكية الفكرية ودخول التكنولوجيا الحديثة. ونظرًا لطبيعة عملي وأصبح الناس يعرفونني باسم «محمد فون».

لم نكن تجارًا كنا فقراء

■ **هل بدأ دخولكم -أنت والسيد زينل رضا- المجال كهواية وحب للفن والغناء الشعبي أم تجارة فقط؟**

لم نكن تجّارًا، كنّا فقراء، لدرجة عدم امتلاك ما نعيش به يومنا، كان همّنا كسب الرزق بعمل تجاري، وكانت الأعمال التجارية في دبي والإمارات عامة في ذلك الزمان في بداياتها، كان الأخ زينل لديه بعض الخبرة في هذا المجال من خلال عمله في تسجيلات كانت موجودة من قبل في دبي، فدخل هذا المجال ودعاني لشراكته بحكم الصداقة، وفعلًا فتحنا المحل وجهزناه بأدوات بسيطة وأجهزة بدائية للتسجيل وتوزيع الأغاني الشعبية. وأخذنا نتطور شيئًا فشيئًا ونطوّر أجهزتنا حتى أصبحنا أهم محل تسجيل في دبي منذ عام 1971م. وسجّلنا عشرات الأغاني ووزّعناها في دبي والإمارات الشمالية وأبوظبي والعين.

حب الأغاني الشعبية جاء بعد ذلك، من خلال العمل، بدأت شخصيًا أتذوّق هذا الفن، وأحرص على اختيار الألحان المميّزة والفنانين المميزين، وكلما كانت الأغاني جميلة ومشهورة كلما زاد البيع وكسبنا أكثر.

■ **هل كانت هناك محلات للتسجيلات أو استوديوهات موجودة في دبي قبلكم؟**

التسجيلات في دبي ظهرت منذ بدايات القرن الماضي، البعض يقول إنه موجودة منذ عام 1940م، لصاحبها «زينل الحراري»، وقد بدأوا بمطربة أحضروها من البحرين -لا أذكر اسمها ولكن أمتلك اسطوانتها- ذهبوا بها عن طريق البحر إلى الهند وسجّلوا لها أغنية هناك، ثم أحضروا هذا التسجيل إلى دبي ووزّعوه على اسطوانات قديمة كانت تسمى «اسطوانات قار» وباعوا الكثير منها.

بعد «زينل الحراري» عرفت دبي كذلك تسجيلات «هدى فون» لصاحبها محمد علي حمود، وما زال أبناؤه في دبي حتى الآن.

وهي أشهر تسجيلات، سجّلت لأشهر المطربين الإماراتيين والخليجيين، وأشهر من سجّل عندهم حارب حسن وعلي بن روغه ويوسف حسين ومحفوظ سعيد وحمدان الوطني. وهدى فون هي أكثر محل تسجيلات استمر في العمل في دبي.

بعض الأغاني كانت تباع بسرعة خاصة أغاني ابن روغة وحارب حسن وحمدان الوطني فنستفيد كثيرًا ونرجّع للبنك أمواله ونطلب نسخًا جديدة

كان هناك أيضًا تسجيلات «صوت الخليج» وتسجيلات «دنيا الفن» وكان صاحب الأخيرة الفنان المحترم «محمد سهيل» وهو رجل معروف وشخصية محترمة وكان شاعرا وفنانا وكان قبل ذلك فتح محلاً في الدمام في الستينيات اسمه «سهيل فون»، وسجّل للفنان «طاهر الأحسائي» الذي اشتهر كثيرًا عن طريقه في ذلك الزمان، وقبلها كان «محمد سهيل» في البحرين التي كانت هي والدمام والكويت مرتعًا للأغاني والمطربين الشعبيين في الخليج ومعظم المطربين الخليجيين تعلموا هناك. وبعد ذلك رجع المرحوم محمد سهيل إلى دبي واشترى محل تسجيلات وفتح المحلات التي ذكرتها وهي «صوت الخليج» و«دنيا الفن» وكان يسجل أغانيه بنفسه ويسجّل للآخرين ويوزّع.

سعر الأسطوانة كان 10 روبيات، وكنا نوزع في أبوظبي والعين والشارقة ورأس الخيمة والإمارات الأخرى، وكذلك في عُمان وقطر والبحرين

■ **محلات بيع الأغاني الشعبية معروفة وكانت عبارة عن دكان عادي في السوق وعليه لوحة باسم التسجيلات، ولكن أين كانت تتم التسجيلات وأعني أين «الاستوديو» الذي كنتم تسجلون فيه أغاني المطربين؟**

ما كان عندنا «استوديو» بالمعنى الحالي، كنا نسجّل في غرفة صغيرة مغلقة ويمكن تكون بجانب المحل أو ممكن تكون في بيوتنا، وفقط تحتوي على جهاز التسجيل القديم وسماعة لي أنا أو زينل علشان نسمع صوت المطرب ونتحكم في الصوت.

ثلاثة أو أربعة أشخاص نكون موجودين في غرفة التسجيل أو الاستديو. أنا والمطرب على بن روغه مثلًا، وثلاثة أشخاص يدقّون على الآلات الموسيقية مثل الطبل والكمنجة وغيره وطبعا تكون الآلة الرئيسية هي «العود» بأوتاره الرنّانة وتكون بيد الفنّان وهو الذي يتحكم بها بلحنه. ويكون فقط تسجيل ولم يكن هناك فيديو للتصوير ولا كاميرات وأهم شيء عندنا وضوح صوت المطرب وأصوات العود والطبل والكمنجة والمرواس وغيرها.

■ **هل كانت عندكم فرقة موسيقية لهذه الآلات؟**

لا، الموسيقيون اللي يدّقون موجودون في السوق، ممكن نطلب أي واحد يعرف يدق طبل سواء كان مواطنا أو عمانيا أو بحرينيا أو إيرانيا وندفع له مثلًا روبية واحدة أو روبية ونص ويدقّ على الآلة حتى ننتهي من التسجيل، ولا يزيد العدد عن أربعة.

■ **هل لديك ذكريات عن هذه التسجيلات وكيف كانت تتم ومتى؟**

كانت هذه التسجيلات ممتعة جدًا لنا. كان المطرب يوصل لنا في المحل ويقول أنا عندي أغنية وأريد تسجيلها. وأسأله عن الأغنية ولحنها واسم الشاعر، وكان أكثر واحد نسجّل أغانيه بن روغه ونفضّل أشعار الجمري وبن سوقات وبن مترف وكميدش والكاس وغيرهم من الشعراء المشهورين. وبعدين نتّفق معه، إذا كان هو يريد توزيع الأغنية يدفع مثلًا لنا عن التسجيل 400 روبية وإذا كنّا نحن بنْسجّل وبنوزّع الأغنية ندفع له فقط 1000 روبية أو 800 حسب الاتفاق.

ويوم التسجيل كل مطرب يحاول يدعو معاه كل أصدقائه من المطربين ويكونون جالسين قرب التسجيل ويسمعونه ويشجعونه ويصفقون. وهذا كان فيه نوع من المؤازرة وكان كل مطرب يدعو الآخرين يوم عنده تسجيل.

■ **ألم تكن تواجهكم مشاكل فنية في مثل هذه النوعية من التسجيلات؟**

كانت تواجهنا مشاكل بالطبع، وخاصة في ضبط الأصوات لأن أي حركة تؤثر على التسجيل ولازم نعيد من جديد. فمثلًا في الصيف ما نسجّل في النهار وفقط يتم التسجيل في الليل، والسبب في ذلك يعود إلى الحر أولًا ثم أصوات الطيور والغربان التي تحوم في السماء، وكذلك أصوات الحمير التي تنقل المياه بين البيوت والحارات وكذلك أصوات الناس وضجيجهم في السوق أو الحارة. كل هذا يؤثر على التسجيل ولذلك نسجّل في الليل يوم تنام الناس وما شي طيور في الجو وسكون، ومع ذلك إذا غلّط المطرب في كلمات الأغنية نعيد التسجيل كذلك، وإذا سعل أحد الحضور أو دخل واحد وسلّم أو أي صوت حدث لازم نعيد التسجيل من جديد لذلك كنا نتعب كثيرًا في التسجيل.

أما في الشتاء نسجّل في أي وقت بسبب قلة الحركة والبرد مع الأخذ في الاعتبار الحذر في كل الأوقات عن أي صوت يؤثر على التسجيل.

■ **ما أشهر الأجهزة التي كنتم تسجلون عليها الأغاني؟**

كان عندنا أجهزة تسجيل توصلنا من اليابان وأوروبا، وأشهر جهاز تسجيل كان عندنا يسمى «تاسكم» وهو أحسن جهاز في الوضوح بالنسبة للصوت. وكذلك جهاز «تياك» وهذه الأجهزة موجودة عندي إلى الآن وقيمتها الآن آلاف الدراهم وهي غالية عندي، ولن أبيعها مهما دفع لي.

■ **بعد ما تسجّلون للمطرب كيف تعملون عشان توزعون الأغنية التي سجّلتوها؟**

بعد التسجيل نصفّي الأغنية اللي سجلّناها بمصفيّ الصوت وكان موجودًا لدينا جهاز اشتريناه في وقتها وهو صناعة اليابان وهو أيضًا موجود عندي حاليًا، ثم ننقل التسجيل على «قالب» أي على «بكرة» وهو نوع من أشرطة التسجيل القديمة وطبعا يبقى «الماستر» الأصلي عندنا نحفظه، وللعلم كل

ظهرت التسجيلات في دبي عام 1940 م، حين أحضر زينل الحراري مطربة من البحرين وذهب بها عن طريق البحر إلى الهند لتسجيل أسطوانة لها

لم يكن لدينا «استوديو»، كنا نسجّل في غرفة صغيرة مغلقة تحتوي على جهاز التسجيل القديم وسماعة لسماع المطرب والتحكم في الصوت

الأغاني اللّي سجّلناها في «زينيل فون» موجود الأصل «الماستر» عندي إلى الآن وأحتفظ فيه، ويمكن أن يكون في «الماستر» أغنية أو أغنيتان.

■ وبعد ذلك؟

بعد ذلك نحوّل هذا القالب إلى اسطوانة بلاستيك التي تعمل على آلة الموسيقى التي تسمى «الجرام» أو الجرام فون» ومحليًا يسمّونها «البشتخته» وهنا تواجهنا مشكلة لنبدأ مرحلة العمل الصعب والفعلي لنشر الأغنية، فكيف نحصل على هذه الأسطوانة؟ كنا معدمين ولم تكن عندنا المادة الكافية لتحويل هذه الأغاني المسجّلة إلى اسطوانات بلاستيكية وكان لزاما علينا أن نرسل هذه الأشرطة أو القالب إلى «اليونان» حيث يوجد هناك مصنع لهذه الأسطوانات البلاستيكية وهذا المصنع معروف وتتعامل معه معظم دول الشرق الأوسط العربية وهو ما زال موجودًا إلى الآن وقد زرته في الثمانينيات وما زالت علاقتي بأبناء صاحب المصنع حتى الآن. وطبعًا ما عندنا مال لإرسال هذه التسجيلات والصرف عليها، ولذلك كنّا مثل غيرنا من التسجلات نذهب إلى البنك البريطاني للشرق الأوسط في دبي وهو البنك الوحيد الذي كان موجودا في وقتها في الإمارات ودبي، ونطلب منه تمويلنا، وهو طبعًا يتعامل في مثل هذه المعاملات ولديه خبرة وعلى تواصل مع المصنع لأنه يوجد دخل للبنك من هذه المعاملات التجارية في ذلك الوقت. فهو يشوف القالب وكم أغنية فيه، ومن ضمن شروطه أنه يجب أن تكون الطلبية لا تقل عن 250 اسطوانة بلاستيكية وأقل من ذلك فلا، وتكلفنا الأسطوانة الواحدة (4) أربع روبيات بما فيها عمولة البنك «روبية» واحدة عن كل اسطوانة مهما يكون العدد وطبعًا الأعداد التي نطلبها أكيد تكون من ألف أسطوانة فما فوق حسب أهمية الأغنية. وأذكر يوصل للبنك مندوب المصنع من اليونان يأتي من البحرين ثم من البحرين عن طريق البحر إلى دبي، ونستقبله نحن ومندوب البنك في الميناء، ونأخذه للبنك وطبعًا نكون نحن موقعين الاتفاقية مع البنك، ويأخذ القوالب ويرجع باليوم الثاني إلى البحرين ثم بلاده اليونان. وبعد شهر يرجع مرة ثانية بالأسطوانات جاهزة ويستلمها البنك ونحن في الميناء ويسلموننا

إياها ونبدأ بالتوزيع وبيعها بسعر 10 روبيات للأسطوانة ونرجّع المبلغ للبنك في مدة لا تتجاوز 3 شهور. والحمد لله بعض الأغاني تباع بسرعة خاصة أغاني بن روغه وحارب حسن وحمدان الوطني فنستفيد كثيرًا ونرجّع للبنك أمواله، وإذا بغينا نطلب نسخا جديدة للأغاني المطلوبة فقط نطلب بالتلكس من البنك ويرسلونها بنفس الطريقة وبنفس بنود الاتفاقية مع البنك وتوزيعنا يكون في أبوظبي والعين والشارقة ورأس الخيمة والإمارات الأخرى حتى عمان وقطر والبحرين.

■ **ما شاء الله يا أخ محمد الاستوديو مليء بالأجهزة والمسجّلات والراديوهات والأشرطة من كل الأنواع والاسطوانات المختلفة هل بالإمكان أن تعطينا فكرة عن موجوداتك في هذا الاستديو أو المتحف الفني الذي يجب أن تطلق عليه؟**

- مثل ما تشوف الراديوهات من جميع الأنواع وأنواع أصلية لأن هناك أنواع مقلدة تأتينا من إيران والهند، والناس يشترونها يظنون أنها أصلية وهي ليست كذلك، وهذا جزء من الراديوهات لأن هناك عددًا أكبر عندي في مكان آخر بالمخزن. وتشوف أيضًا مسجلات من جميع الأنواع، مسجّل بو بكرة قديم أكثر من واحد وهذا نسجّل عليه القالب بعد تسجيل الأغنية من المطرب. وهو نفس المسجّل اللّي نأخذه إذا كان عندنا تسجيل حفلات لمطربين في أعراس أو حفلات خاصة أو حفل شيوخ أو غيره.

وعندي أنواع من «الجرامات» اللي يسمونها «البشتخته» أو «الجرامافون» وهو آلة تشغيل الاسطوانات وكانت منتشرة بشكل واسع منها الصغير ومنها الكبير، ومنها القديم جدًا تم استخدامه خلال الأربعينيات والخمسينيات والستينيات الماضية وله إبرة ويد وله مثل البوق. ولدي المسجّلات الحديثة (الكاسيت) بجميع أنواعها صغير وكبير ومشترك راديو

ومسجل وجرام أو راديو ومسجّل أو راديو ومسجّل بو شريطين للتسجيل من الراديو أو من كاسيت آخر وأنواع وألوان منها، وعندي الفيديوهات التي وصلت فيما بعد بجميع أنواعها وفيديوهاتها. أما الاسطوانات فعندي الاسطوانات القديمة الثقيلة وهي وزنها أثقل من الاسطوانة البلاستيكية وتسمى اسطوانة (قار) وكانت تستخدم في الأربعينيات والخمسينيات وبداية الستينيات وعندي فيها أغنية موزة خميس على اسطوانة «قار» وهي التي سجّلتها لها تسجيلات «زينل الحراري» من دبي وفي الهند في الأربعينيات.

وعندي معظم أغاني بن روغه وجابر جاسم وحمدان الوطني ومحفوظ سعيد وحارب حسن وغيرهم من المطربين والحين نبيع كل اسطوانة (250) درهم لمن يرغب فيها وهي اسطوانات أصلية وجديدة وبقرطاسها وعندي كل الأغاني الماستر أي النسخ الأصلية لجميع المطربين الذين سجّلنا لهم في محلنا وحتى توقفنا عن العمل في عام 1982م.

وعندي كاترج عادي وجهازات كاترج مال بيوت. وعندي مشغل اسطوانات مال سيارات ومشغل كاترج مال سيارات لأن السيارات أيضًا بدأوا يزوّدونها بهذه الاجهزة في السبعينيات ونهاية الستينيات وما زالت عندي إلى الآن.

■ **ممكن تحدثنا يا أخ محمد عن دورة تطوّر هذه الاسطوانات وتوزيعها؟**

- أول ما نزلت اسطوانات قار ومشغل اسطوانات (البشتخته) ثم بعد ذلك اسطوانات البلاستيك ثم بعد ذلك الكاترج، بعد ذلك الكاسيت والمسجلات الحديثة، ثم بعد ذلك الفيديو صوت وصورة وأشرطتها المختلفة، ثم بعد ذلك العصر الحديث الديسك والسي دي والديفي دي ثم الفلاشات والديجيتال والتكنولوجيا شغّالة والله أعلم شو يكون في المستقبل.

■ **شو تفضّل يا أخ محمد من هذه الأجهزة التي ذكرتها أقصد التسجيلات؟**

- أفضل وأوضح شيء هو «الكاترج» وأعتبره منافس قوي للسي دي والديجيتال لكنه غير مستخدم وأنا أفضل الاستماع منه إلى الأغاني القديمة.

- أخ محمد ممكن تقول لي أهم المطربين الذي كنتم تسجّلون لهم في زينل فون.

أكثر واحد سجّلنا أغانيه بن روغه، وكان يغني أشعار الجمري وبن سوقات وبن مترف وكميدش والكاس وغيرهم من الشعراء المشهورين

- أهم واحد كان علي بن روغه وهو أشهر مطرب شعبي في الإمـارات والخليج ثم حارب حسن وأعتبره أستاذ، ومن ثم حمدان الوطني وهو مطرب ورجل معروف وشاعر وهو من سلطنة عمان لكنه عاش معانا هنا في الإمارات لسنوات طويلة وكان يعمل في شرطة دبي عند باب «قلعة نايف» وهذا الفنان له 800 أغنية وسجّلنا الجزء الأكبر منها، وقد ترك دبي في السبعينيات وذهب إلى البحرين ثم عاد إلى عمان، وظلت علاقته معي مستمرة وزارني في هذا البيت وجلس في هذا الاستديو وصوّرت معاه صور كثيرة وتوفي قبل سنتين رحمه الله. كذلك سجلنا لميحد حمد في بداياته الفنية. وسجلنا لسالم سيف وسعيد سالم وسعيد الشراي ومحفوظ سعيد وموزة خميس وفتى شمل وفتى الذيد وأحمد الحرفي وغيرهم كثيرين.

■ **وأين جابر جاسم ومحمد سهيل؟**

- جابر جاسم فنان كبير ولكنه فتح محلاً واستديو بنفسه في أبوظبي وكان يسجل فيه وفي لبنان، أما محمد سهيل فكما أخبرتك عنده محلات تسجيلات وسجّل لنفسه.

■ **هل تذكر أول مطرب إماراتي سجّل أغاني شعبية؟**

- نعم يقولون هو الفنان يوسف حسين وهو من دبي، وهو صاحب الأغنية المعروفة «يا محمّلين العنب فوق العنب تفاح» وكذلك مطرب آخر اسمه صالح سمكري.

■ **هل تذكر أول أغنية لعلي بن روغه؟**

نعم أغنية «خلنا نسير يالمحبوب».

■ **هل تذكر أهم الشعراء الذين كنت تتعاون معهم وتعرفهم؟**

نعم كان صديقي الشاعر سالم الجمري وكذلك الشاعر محمد بن سوقات والشاعر غاصب المزروعي وغيرهم كثيرين ما أذكر أسمائهم.

■ هل من ذكريات تذكرها لنا مع الفنانين أو المطربين الذين كنت تتعاون معهم؟

أذكرهم جميعًا وهم أخوان وأحباب منهم من توفي ومنهم الباقي الله يطول في أعمارهم لقد كانت علاقاتي قوية بهم، وأذكر عندما استلم السلطان قابوس بن سعيد الحكم في سلطنة عمان بعد والـده في عام 1970م ذهبت أنا والشاعر سالم الجمري والفنان علي بن روغه إلى هناك وكانوا مدعويين لإحياء حفلة هناك وتلك الرحلة ما أنساها مع أشهر شاعر وأشهر مطرب في الإمارات، وكنا على طول الطريق نستمع إلى أشعار الجمري ودندنات بن روغه.

■ هل تذكر يا أخ محمد أشهر أغنية سجّلتموها لعلي بن روغه؟

نعم أشهر أغنية كانت «من ضميري دار دولاب المثل» هذه الأغنية بعنا منها آلاف الاسطوانات وما زالت مشهورة إلى الآن، وعندي ماستر أصل الأغنية وهي من كلمات الشاعر سالم الجمري رحمه الله، وكذلك أغنية «يا علي اعزف بصوت وغن لي».

■ قلت لي إنكم كنتم تسجلون حفلات المطربين هل تذكر حفلة من هذه الحفلات؟

نعم أشهر حفلة وما زالت موجودة وتسمع إلى الآن وأنا سجّلتها وكانت في رأس الخيمة عام 1973 وقد نسيت مناسبتها وهي معروفة ومشهورة إلى الآن بعنوان «الفرحة طابت يا هوى والسعد غنّا».

■ هل تذكر أغاني مميّزة شعبية أو غير شعبية اشتهرت في ذلك الزمان في السبعينيات والستينيات تنافس أغانينا الشعبية؟

نعم اشتهرت عندنا في عـام 71،70،69 أغنية لفنان هندي يسمى «شامي كابور» والاغنية عنوانها «آيا آيا سوكو سوكو» وكان هذا المطرب أشهر مطرب هندي وكان الكل يسمعها وحتى طلاب المدارس أذكر أنهم كانوا يتغنّون بها. والناس يوم تروح المطاعم الهندية المنتشرة عندنا بكثرة في ذلك الزمان كانوا يأكلون كيما وبراتا ومسكه وكرك ويستمعون «آيا آيا سوكو سوكو» وهذه الأغنية إذا سمعوها الشّواب الحين عيونهم تدمع يوم تذكرونها ويذكرون الماضي وهذاك الوقت الذي أسميته العصر الذهبي للفن الشعبي.

في نهاية هذا اللقاء الشيّق والمليء بالذكريات الجميلة أشكر الأخ محمد فون على هذه الذكريات الحلوة وعلى كرم الضيافة والاستقبال الحار واللطيف في منزله العامر وفي مجلسه أو متحفه الفني أو الاستديو القديم الذي تفوح منه رائحة الماضي العريق. وشكرًا لك يا بو صقر ■

كان البنك البريطاني للشرق الأوسط في دبي يمول لنا تسجيل الأسطوانات البلاستيكية في مصنع باليونان، بشرط أن لا تقل الطلبية عن 250 اسطوانة

في الصيف لم نكن نسجّل في النهار بسبب الحر، وضجيج الناس في الحارة وأصوات الطيور والغربان في السماء والحمير التي تنقل المياه بين البيوت

الجازية الحاضرة رغم الغياب !

مريم النقبي
شاعرة وباحثة من الإمارات

سيظل حرف الجازية عصّيا على أي غياب، فهذه الشاعرة مدهشة جداً لما تمتلكه من موهبة أدبية فذة، ومهارة شعرية عالية جداً، وحضور نخبوي فخم على صعيد الصياغة والتعبير.

والقارئ لقصيدتها يشعر أنه أمام شاعرة من طراز فريد يجعله يتوق لقراءة المزيد من إبداعها.

برز اسم الجازية كشاعرة إماراتية في المنتديات والمواقع الأدبية، التي تركت فيها بصمة مضيئة تشّرف الشعر النسائي في الإمارات، ولازالت نصوصها حاضرة رغم غيابها وانقطاعها عن النشر والساحة منذ سنوات.

ولا تتوفر لنا معلومات كافية عن الشاعرة الجازية ، المقلّة أساساً في الحضور الشعري والإعلامي وكان لها حضور جميل في مواقع الشعر والادب على الشبكة العنكبوتية من أهمها موقع شظايا أدبية ومنتديات سوالف ليل و مجلة أنهار الادبية وغيرها.

تظل الجازية حاضرة رغم الغياب؛ فقصائدها حاضرة وبصمتها خالدة في المشهد الشعري النسائي في الإمارات، وهي نموذج رائع للشاعرة الإماراتية المبدعة.

على قارعة الشغف!

البارحـه والقلـــوب ضْعـــاف
وشْعوري المنـــكسر مِضْـــفي
تعوشـــبت فـــيني الأطـــراف
وامـتـدت يْديـــني لضعـــــفي!
طبطبتنـي .. ويش بي مـــاخاف ..؟
شِاللّي مـأمنّـــي لْحـــــتفي ..؟
لو قلتني صـدْق ، مـــــابهْ خْلاف
مير البلا أكـــذب وأنـــــفي !!
في هالمســـــا الحالم الشـفّاف
غطّى على ضيقـــتي : لُطـــــفي
لونفترض هالصـــور : أطيـــاف
كم صـورةٍ تزهر بكـــــفيّ .....؟!
آنا انفلت بـــينهن وانـــــداف
ذكرى ، وينثال بـــي حـــــرفي
مْهاجره .. والقـــــلوب ضـْفاف
مرافـيءٍ نُوْرَسَت عطـــــــفي
أضعاف هاك الدورب أضـــعاف
اللـي توّديـــني لخلـفي.....!
عجـــزت ألاقيك يا : الإنـــصاف
وانا عـــلى قارعـــــة شَغْـــفي
واخيبـــتي والليـــال عْجـــاف
كَمْ تحتصدني حِلِم منـفي! .....
شاب -وتهاويت - مما شـــــاف
هذا الذي يحـــــمله كتـــفي

الكحل والمنديل والأشعار

وأودعتك نثار الكحل .. والمنديل .. والأشـــعار
تفلّ حْجاج .. وتْروّق مزاج ... وتبري الضـــيقه
عساهن لا لفن..يلفن بنور وينـــكفن نـــوّار
ولا تبقى بقايا .. للبلايا ... فـــي معـــاليقه
ترجّل عن عيوني طيف..واقتاد الحـــنين وجـار
وانا ادري ما ذبحني منْه .. إلا كثر تشـــويقه
وسليّت الصبر سيفٍ رهيف..وفيصلٍ بـــتّار
وأبلجت الأمل صبحٍ ..على الرحمن توفيـــقه
وكم حلمٍ «ضوى» في خافقي لامن ضوى بانوار
بتكذيبه .. تأرجح كل ابو فـكري..وتصـــديقه
أماني تشتعل من نور..لالا تشـتعل مـــن نار
ألا يا سمّ حالي .. كان صعب الحـــلم تحقيقه
عذابات المسافه أو مسافات العذاب كْـــثار
حكايا صامته..او صمت يحكي ..وش طواريـقه ؟
سنادي.. ما لفاك العلم؟ ماساقوا لك الأخـبار ؟
ترى شملٍ تلملم صعب هذا اليوم تفريـــقه
طلبتك.. لا يغادرك القصيد وخاطرك مـــنهار
أبيك تْشوف وشلون الشعر بشّت مواريـــقه
وأبسأل.. وش يضيرك ؟ لو يسمّونك غريب الدار
مدامك في خفوق الجـلنّار .. أقرب مخاليـــقه

عبيدات الرمى

يؤدون وظيفة فنية وسوسيوثقافية

عبدالله المتقي – المغرب

يعتبر التراث الشعبي بكل أشكاله مكونًا من مكونات ذاكرة الشعوب ورافدًا من روافد إغنائها، لما يحتويه من قيم متنوعة من شأنها تطوير المجالات الثقافية والاقتصادية، إذا ما تم استثمارها وفق مخططات واستراتيجيات وبرامج تنموية.

والمغرب -كباقي دول المعمورة- يختزن تاريخه ذاكرة خصبة وغنية بظواهر شعبية، تتعدد أشكالها وألوانها وألسنتها «عربية وأمازيغية وحسانية»، ومن نماذج هذه الظواهر، العيطة، أحيدوس، كناوة، وعبيدات الرمى، هذا الفن التراثي ذو الخصوصية المغربية الذي استطاع أن يصمد في وجه أغاني الشباب والألـوان الموسيقية العصرية، والأكثر منه، أن هذا اللون الغنائي الغنائي أصبح يحظى بإقبال متزايد بالمغرب خصوصًا في المهرجانات والمناسبات والأعـراس، بل وتجاوز الحدود المغربية للمشاركة في إحياء بعض السهرات خارج الوطن.

مصطلح عبيدات الرما

جاء في لسان العرب رمى رميًا ورماية، الشيء، ألقاه، ونقول في اللغة: رمى السهم عن القوس أو على القوس، ورمى: قذف.

فالرماية إذاً، هي تعلم فن الرمي بالقوس أو بالبندقية التي حلّت محله، ومن هنا تأتي كلمة «الرماة» لتدل على الفرق المنظمة تنظيمًا عسكريًا أو شبه عسكري.

وجاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي: العبد: المملوك، والعبابيد: الفرق من الناس والخيل الذاهبون في كل وجه.

أما اصطلاحًا، فـ«عبيدات الرمى» أو عبيد الرماة، اسم يطلق

المغرب –كباقي دول المعمورة– يختزن تاريخه ذاكرة خصبة وغنية بظواهر شعبية، تتعدد أشكالها وألوانها وألسنتها «عربية وأمازيغية وحسانية»، ومن نماذج هذه الظواهر، العيطة، أحيدوس، كناوة، وعبيدات الرمى، هذا الفن التراثي ذو الخصوصية المغربية الذي استطاع أن يصمد في وجه أغاني الشباب والألوان الموسيقية العصرية

في الثقافة والتراث الشعبي المغربي على جماعة تقوم بوظيفة فنية وسوسيو ثقافية، بالوقوف عند أعمال الرماة من خلال نصوص شعرية شفوية، هي بمثابة مرايا ثقافة المجتمع، كما تنشد الإشادة بالرماة، عبر فرجات في قالب مسرحي وبهلواني وموسيقي في آن واحد، بحيث يعتمد أعضاء الفرقة في أداء أغانيهم، التي غالبًا ما تؤدى بالدارجة المغربية، على أدوات موسيقية بسيطة (البندير، التعريجة والمقص) تساهم في ضبط الايقاعات الموسيقية وصنع فرجة للجمهور.

شيء من التاريخ

يرجع بعض المؤرخين، ومنهم عبدالرحمن بن زيدان، ظهور عبيدات الرمى إلى القرن السادس عشر الميلادي، ومنهم من يرجعه إلى القرن الحادي عشر الميلادي، خلال رحلات القنص التي ينظمها السلاطين وخاصة المولى الرشيد والمولى إسماعيل الذي أسس كتيبة من صغار أبناء عبيد البخاري تعنى بهذه الخدمة المملوكية كما سائر الحرف بالقصور السلطانية كالفرايكية والزرزاية والعوامة وأصحاب تطييب الماء.

والأكثر منه أن بعض الحفريات في تاريخ المغرب الحديث، تشير إلى مساهمة عبيدات الرمى في تأطير أفراد القبيلة وبعث القوة في الهمم والسواعد لمواجهة المستعمر الفرنسي، ولا غرابة أن نجد أن أغلبية مقدمي الرمى من أعضاء الحركة الوطنية في مجموعة من القبائل المغربية كالشاوية، ومزاب وأولاد احريز وغيرها من القبائل.

لتنتشر هذا الظاهرة الشعبية بعد ذلك في المناطق ذات المجال الغابوي، حيث وفرة الصيد والخصوبة الطبيعية، وأيضًا تراتبية المجتمع المغربي، فالعبيد يقدمون السخرة والخدمات أثناء مصاحبتهم في خرجات الصيد والقنص، لذلك لا عجب أن نجد أشعار عبيدات الرمى تتغنى بمدح السادة والأعيان، والسخرية من البخلاء مع ذم الأعداء، كما تستحضر بعض العادات الاجتماعية والظواهر الطبيعية.

يذكر أن مدينة خريبكة المغربية تحتضن سنويًا مهرجانًا وطنيًا لفن عبيدات الرمى بشراكة مع وزارة الثقافة، ويهدف إلى إحياء هذا الفن والحفاظ عليه، وكذا العناية والاهتمام بالشيوخ والجمعيات والفرق المهووسة بهذا اللون من الفن الشعبي، في هذا المجال، وتحفيزها ماديًا ومعنويًا من أجل الإنتاج والعطاء.

كما ينشد هذا المهرجان أرشفة وتوثيق ذاكرة هذه الظاهرة الشعبية، وتسجيل أصواتها، والتعريف به جهويًا ووطنيًا وكونيًا ■

ش. س.

محمد عيد إبراهيم*

أن يتوقّف المبدع، لأسباب شتّى، عن أن يواصل إبداعه مسألة غريبة، قد لا يقتنع فلا تزال لديه طاقة ويتنفّس، قد يظلّ يكتب وكأنه يستنسخ نفسه، قد يُعرب عن أسفه من عدم توافق الجمهور معه، أياً كانت مستويات ذلك الجمهور، عريضاً في حالة الفنون الجماهيرية أو الأدائية، ونحيلاً في حالة الفنون الكتابية، لكنه لا يصدّق نفسه (غالباً) أن يكفّ، ولو فترة، ليستعيد حتى شحن طاقته، في محاولة ما لكيلا ينفر منه الناس، حتى لا يفقد بعضاً أو كثيراً مما اكتسبه على مدار سنين إبداعه المتوهّجة.

أم كلثوم، مثلاً، ردّت بعنف مرة، حين سألها صحفي في سنينها الأخيرة، عما إن كانت تنوي (الاعتزال). محمد الماغوط، مع بالغ تأثير دواوينه الثلاث الأولى، كفّ فترة وعمل على مسرحيات شفاهية (لم يسجّلها كأعمال درامية كتابية) وأفلام ومسلسلات، لكنه عاد بعد عشرين ونيف إلى كتابة الشعر (سيّاف الزهور)، مع أنه فقد فيه ما كان يدهش. بلند الحيدريّ، أيضاً، بعد ثمانية دواوين بديعة مختلفة بروح متقشّفة كصوفيّي الفلاة، كفّ عن كتابة الشعر فترة، لكنه كملاكم قديم، لم يرض بالاعتزال وعاد، كالماغوط، بعد عشرين ونيف إلى كتابة الشعر (إلى بيروت مع تحياتي)، وفقد، مثله، ما كان يدهش. أدونيس، بعد (مفرد بصيغة الجمع) أو حتى (الكتاب)، صار يكرّر أدونيس نفسه، بكلّ منجزه الكبير. عبد المعطي حجازيّ، بعد (كائنات مملكة الليل)، كتب أقلّ بكثير من منجزه السابق. قد يظلّ نجيب محفوظ استثناءً نادراً، حيث كفّ حين لم يعد يملك شيئاً، لكنه، بإيعازٍ من شيوع قصيدة النثر، كتبَ، أو أملَى (أحلام فترة النقاهة) و(أصداء السيرة الذاتية)، بروح شابة، مع أنه كان يعاقر التسعين، عليه رحمات المنّان.

هاهنا، اليوم، حالة غريبة في الشعر العربيّ، الشاعر التونسيّ يوسف خديم الله، وبعد ديوان واحد وحيد (هواء سيء السمعة، 70 ص)، يعرّف نفسه «ش. س.» (شاعر سابق)، حتى قصائده يؤرّخها بأيام من القرن (19)، في سخرية فاقعة مما يُكتَب، ومما كتبَ هو نفسه، فكأنه مثيل (الحُطيئة)، يهجو نفسه إن لم يجد مَن يهجوه، يقول (السابق): (لا يجب أن يُفهَم أنني من عبيد الورق، فأنا حيوان آدميّ، لا أهرول في سباق أو عناق، في شِقاق أو نفاق، يغلُب عليّ الكسل حتى في قطف اللذة، أصل إلى درجة الحزن الحميريّ، لا عن تعفّف، بل لأني أصل متأخّراً وبطيئاً إلى أيّ شيء أحبّ).

في (هواء سيء السمعة) ثمة تقنيات بسيطة، مع أنها حداثية، نرصد منها: السخرية والمفارقة (خُطّ الخرائط بروثكَ/ يجبنُ البحر إن هاجمه العشّاق)، الجناس الناقص (السلوى والبلوى/ اللغة واللغو/ الآجُرّ والأَجْر/ أيها الآخرون، تأخّروا/ متى أراك؟ حين... ما»ء»)، الحرية في استعمال علامات الترقيم وأحياناً الأسهم، ونادراً ما يستعمل التشبيه بل يُغرم بالاستعارة، مكنية أو تمثيلية، وهي أعلى شعرياً في طرائق المجاز، على نقيض ما يُكتَب من قصيدة النثر اليوم، فمعظمه يألف كاف التشبيه (سأرحّب بامرأة قبيحة، قابلة للزراعة)، لا يهتمّ بالشحن العاطفيّ للكلمة، بل يجرّدها (عمداً) مما تحمله (بعيداً عن التوظيف الإيديولوجيّ للكلب، قرّرتُ ألاّ أكون وفياً)، الانتهاك (الخيانة، لا تُلغي المرأة/ القتل فنّ)، الشبقية وإن كانت أنانية (أسند ظهري، خارج سلع الجنة/ سأبقى عاطلاً، بين قوسين)، وكثير كثير مما يؤدّيه، حتى عناوينه غرائبية (فاكهة من الورق المقوّى/ ضوء أسود/ امرأة ونصف).

ولا يزال (السابق)، يرتكب (خطيئة) الشعر، أحياناً، لكنه، بتعريفه لنفسه، يكتب (لم) 15 مرة، و(لا) 5 مرات، متهكّماً من كلّ شهرة (لا شيء لديه في انتظار الطبع، هو فقط، شاعر سابق/ أقول للشعر: عزائي)! ■

*شاعر ومترجم من مصر

من الاضطهاد إلى التصالح

العمارة المسيحية المبكرة

شاهد على تحولات العصر

قوس نصر الامبراطور تيتوس بروما تخليدا لذكرى انتصاره على ثورة اليهود وتدميره أورشليم سنة 70م

حسام عبد القادر

شهد بناء الكنائس في القرنين الرابع والخامس الميلاديين انتشارًا وازدهارًا ملحوظًا، خاصة بعد التصالح مع الدولة الرومانية. والغالبية العظمى من هذه الكنائس تمت تحت اشراف وتمويل من الكنيسة ككيان يدير شؤون المجتمع المسيحي.

وكان لهذا الازدهار تأثيرًا كبيرًا على التراث المسيحي وصدى أكبر على العمارة والبازيليكا في الحقبة المسيحية المبكرة، ولا توجد دراسات كافية حول العمارة في تلك الفترة الهامة من التاريخ، إلا أن الدكتور أحمد أمين الأستاذ بكلية الآثار بجامعة الفيوم في مصر قدم دراسة شيقة وهامة عن «العمارة المسيحية المبكرة» ضمن سلسلة «كراسات قبطية» التي تصدر عن مكتبة الإسكندرية.

تفصيل لمشهد سبي محتويات المعبد اليهودي من قوس نصر تيتوس

و»البازيليكا» كلمة لاتينية تعني الرواق الملكي أو القاعة الملكية، وبازيليكا في العمارة اليونانية تشير إلى التبعية للملك أكثر من الشكل أو الوظيفة وقد أخذها الرومان عن اليونانيين، وقد ارتبط شكل البازيليكا المعماري بالعمارة المدنية الرومانية بصفة عامة مثل دار القضاء بالساحة الرومانية والسوق وقاعة الاستقبال الرئيسية بالقصور الرومانية وغيرها.

وتناولت الدراسة الحقبة المسيحية المبكرة والمفهوم التاريخي للمسيحية المبكرة والمراحل الخمس الهامة التي مرت بها وهي: العصر الرسولي وهو يمثل الفترة التي عاش فيها حواريو السيد المسيح، وعصر الانتشار والذي يمثل الفترة التي انتشرت فيها المسيحية وازداد أتباعها، وفترات الاضطهاد التي عانى فيها المسيحيون من موجات اضطهاد من الأباطرة الرومان، والتصالح مع الدولة الرومانية بعد تولي الإمبراطور قسطنطين وصدور مرسوم ميلان وصولًا إلى الفترة الهامة والأخيرة وهي اعتبار المسيحية الدين الرسمي للدولة.

وتوضح الدراسة أن العمارة المسيحية المبكرة تأثرت واعتبرت استمرارا للعمارة الرومانية ولكن بروح وهوية مسيحية جديدة، وتأثرت باليهودية باعتبارها جزءا من العقيدة المسيحية حيث إن المسيحية قد ولدت في ظل التصورات التعبدية والروحانية للديانة اليهودية، كما تأثرت العمارة المبكرة بالمجمع اليهودي وهو المركز المحلي لحياة اليهود الدينية والاجتماعية، ووصفه البنائي حيث إنه يشبه إلى حد ما خيمة الاجتماع والهيكل. أما التنظيم الداخلي فكان لكل مجمع رئيس وعدد من الشيوخ وقارئ ومترجم. أما فيما يتعلق بالعبادة فتميزت بثلاثة عناصر: عنصر تعبدي وعنصر تعليمي وعنصر طقسي.

وقد بينت الدراسة أيضا تعريف المجمع والكنيسة من حيث المعنى والشكل المعماري، فأماكن التجمع لم تكن تحوي قدسية ما فمعناها اللغوي هو فقط التجمع أو الحشد بغض النظر عن مكان العبادة ولذلك لم يتبلور

دورا أوروبوس - مشهد داخلي - سورية

مكان العبادة في شكل معماري خاصة في القرن الأول الميلادي. حتى بدأ يظهر أولا ما يعرف اصطلاحا بالكنائس المنزلية وهي المنازل التي كان المسيحيون الأوائل يجتمعون فيها للتعبد وتعلم أمور الدين في القرن الأول الميلادي في غرفة أو قاعة من غرف المنزل الذي كان يتم فيه بعض التعديلات ليصبح أكثر ملاءمة لاحتياجات المجتمع المسيحي. وهذه المنازل لم تكن تختلف عن التكوين أو الخصائص المعمارية أو حتى الأثاث عن غيرها ولكن نجدها تختلف عن الكنائس المنزلية الموجودة في المدن الكبرى وذلك لكثرة عدد المسيحيين في العواصم والتأثر بالسياق الحضاري والمعماري المحيط.

وتذكر الكتابات التاريخية وجود كنائس عامة قبل عصر الإمبراطور قسطنطين فضلا عن الكنائس المنزلية، كما ذكر مؤرخ الكنيسة «يوسابيوس» أنه في الجزء الأخير من القرن الثالث قام المسيحيون غير الراضين عن مبانيهم القديمة ببناء كنائس واسعة في كل المدن، ولكن من الصعب القول إن هناك كنائس عامة ما زالت باقية بأكملها وذلك بسبب الاضطهادات التي تعرض لها المسيحيون وكذلك عوامل البناء والتجديد.

ولم تتأثر عمارة الكنائس بعمارة أماكن العبادة الوثنية لسببين؛ أولهما نفسي يتعلق بعدم رغبة المسيحيين في إحياء الشكل المعماري المرتبط بالوثنية، والثاني أن عدم ملاءمة الشكل المعماري لهذه الكنائس بمتطلبات العبادة المسيحية مع التأكيد على خصوصية العمارة القبطية حيث إن المتخصصين يؤكدون أن التصميم البازيليكي مأخوذ من قاعة الأعمدة الضخمة في المعابد المصرية.

كما أثر إقرار ثيودوسيوس الأول (379-395م) المسيحية باعتبارها الديانة الرسمية للامبراطورية الرومانية على العمارة المسيحية، فقام المسيحيون بعد ذلك التاريخ بتحويل المعابد والمباني الوثنية القديمة إلى كنائس، فطمسوا من كل ما يتصل بالعبادة الوثنية، أو حجبوها بتغطيتها بطبقة من الملاط أو الجص، واستبدلوا بالرسوم والرموز الوثنية الشارات والرموز المسيحية، فتحول الطابع العام لبلاد الامبراطورية الرومانية مع نهاية القرن الرابع الميلادي للصبغة المسيحية، وبصفة خاصة الجزء الشرقي منها.

فنجد في مصر مع تحويل المعابد المصرية القديمة والبطلمية إلى كنائس، أنهم بادروا بنقش الصلبان على الأعمدة والأعتاب، وتغطية الرسوم ذات الدلالة الوثنية بطبقة من الملاط، ورسموا مكانها صور الرسل والقديسين والشهداء، وكتبوا أحيانا بعض النصوص الدينية، وآثار هذا التحول نستطيع أن نراها في معابد منطقة الصعيد والنوبة، مثل معابد أسوان بفيلة وكوم إمبو، ومعابد الأقصر في الكرنك، ومعبد مدينة هابو ودندرة وغيره.

ضريح القديسة كوستانزا

استمر الصراع في الفترة من القرن الرابع وحتى القرن السابع، متمثلا في جدل عقدي مسيحي- مسيحي لم يهدأ إلا بصعود الدولة الإسلامية وسيطرتها على الولايات الشرقية للإمبراطورية الرومانية (البيزنطية) في الشام ومصر. وجعل هذا كثيرا من المؤرخين يذهبون إلى القول بأن الفترة المبكرة في تاريخ المسيحية تمتد حتى القرن السابع الميلادي، حين استقرت أمور العالم المسيحي لفترة تصل لنحو تسعة قرون تالية، وحتى فتح القسطنطينية على يد القائد العثماني محمد الثاني (فترة حكمه 1451-1481م) والذي لقب بالفاتح سنة 1453م.

مفهوم العمارة المسيحية

ورغم التأثر الأكيد للفنون والعمارة بالنظام السياسي

بازيليكا القصر الروماني أنشأها الامبراطور قسطنطين بمدينة Trier بألمانيا من الخارج

دورا أوروبوس، رسم جداري موضوعه الراعي الصالح

البازيليكا من الداخل

والنظام الديني، فإنهما لا يسيران في خطين متوازيين، فالفصل الحاد بين المراحل الفنية لا يماثل نظيره في الحقب التاريخية استنادا على تغير نظم الحكم أو هويتها الدينية أو المذهبية أو السياسية، فتاريخ الفنون سلسلة من الحلقات لا يمكن فصلها عن بعضها، وتقوم كل حلقة منها على أكتاف الحلقة السابقة لها، كما تمثل أساسا للحلقة اللاحقة عليها، وهذا المبدأ يتضح في العقائد السماوية، وتاريخ الحضارات وهو أوضح ما يكون في الفنون والعمارة والآثار.

ويمثل الفن المسيحي المبكر فرعا من الفن الروماني، فقد استمر الفن الروماني عبر الفن المسيحي المبكر لكن بشكل مختلف، فقد اكتسب مضمونا جديدا، وأيديولوجية مختلفة مصدرها الديانة المسيحية الجديدة، والتي شكلت محددا جديدا يمثل الفارق بين الإنتاج الفني المسيحي المبكر والفن الروماني.

والنظريات التاريخية للحد الزمنى لنهاية الفترة المسيحية المبكرة عديدة، فيذهب الكثير من مؤرخي الفنون إلى أن الفترة المسيحية المبكرة تمتد حتى القرن السابع الميلادي، معظم الآثار المعمارية حقيقة تعود للفترة من القرن الرابع وحتى القرن السابع الميلادي، واستخدام مصطلح «مسيحي مبكر» أو «روماني متأخر» للإشارة إلى العمارة قبل القرن السابع الميلادي.

وهذا التقسيم رغم قبوله نظريا، فإنه يحوي إشكالية كبرى تتمثل في تجريده للعمارة البيزنطية من عصرها الذهبي فترة حكم الإمبراطور جستنيان، واعتباره كنيسة القديسة صوفيا دُرة العمارة البيزنطية الفريدة، ضمن العمارة المسيحية المبكرة.

وإذا ما اتفقنا أن العمارة المسيحية المبكرة استمرار للعمارة الرومانية (وتقنيات بنائها وعناصرها المعمارية) بروح وهوية جديدتين تعكس الاستخدام المسيحي، ويمكننا إدراج عمائر عصر قسطنطين وما بعده حتى بداية عصر الإمبراطور جستنيان (527-565م) ضمن هذا التوصيف، فإن من الصعب تعريف عمارة كنيسة آيا صوفيا ضمن هذا الإطار.

وهكذا يمكن اعتماد بداية حكم الإمبراطور جستنيان كنقطة تحول في العمارة المسيحية المبكرة إلى العمارة البيزنطية المبكرة.

ويرجع البعض عدم وجود عمارة مسيحية حتى القرن الثاني إلى تأثير التوجه العام الذي كان سائدا متمثلا في مثالية العبادة، وما يتبعها كذلك على مكان تجمع المؤمنين، فكان التصور اليهودي لفكرة المعبد يمثل نقطة انطلاق، حيث تغير تصور اليهود وقت المسيح لمعبد أورشليم، معتقدين آنذاك في جو عام يسوده الإيمان الشديد بالبعث والحساب، أن في نهاية العالم سيُدمر المعبد القديم «هيكل سليمان» وسيقوم في مكانه معبد «هكيل» جديد أنشأه الله سلفا في السماء مع الجنة، وسيهبط إلى الأرض في اليوم الآخر. وولدت المسيحية في ظل هذه التصورات التعبدية الروحانية للديانة اليهودية، وقد أقر المسيح عليه السلام نفسه هذا التصور وهذا المعتقد بالنسبة لمعبد أورشليم.

وقد استخدمت التجمعات المسيحية في روما طراز الشقق أو الوحدات السكنية للكنائس المنزلية «Domus Ecclesiae» وعرفت هذه الكنائس المنزلية في روما باسم تيتلوس «Titulus» وتجمع «Tituli» وتيتلوس كلمة يونانية بمعنى لقب أو عنوان ومصطلح «Titulus» وُجد مكتوبا يسبق اسم المالك على لوحة صغيرة من الرخام كانت مثبتة أعلى مدخل أحد هذه المساكن، في إشارة إلى مسمى الملكية، ومن ثم فهو مصطلح رسمي «وثائقي».

ومن نماذج الكنائس قبل عصر قسطنطين كنيسة «Etchmiazin» في أرمينيا، والتي تعد أقدم كنيسة دولة (301-303م) جددت سنة 480م، وأعيد بناؤها سنة 618م ، وتمثل مركز الكنيسة الرسولية الأرمينية، حيث اعترف قائد ارمينيا بالمسيحية كدين رسمي في بداية القرن الرابع وقبل مرسم ميلانو، وأنشأ هذه الكنيسة،وهناك أيضا كنيسة «S.Crisogono» في روما.

وجدير بالذكر في هذا الصدد التأكيد على خصوصية العمارة المسيحية في مصر «العمارة القبطية» فيرى بعض المتخصصين في العمارة القبطية أن أصل التخطيط البازيليكي هو قاعة الأعمدة الضخمة «Hypostyle» في المعابد المصرية القديمة، ويرجع البعض أن البازيليكا الرومانية ذاتها كان مصدرها العمارة المصرية القديمة ■

دورا أوروبوس، المعمودية من الداخل ويظهر بها حوض المعمودية

تابوت من الرخام السماقي الخاص ضريح هيلينا والمحفوظ حاليا بمتحف الفاتيكان

دورا أوروبوس أقدم كنيسة منزلية بالصالحية -سورية

فيصل رشدي *

فرناندو سيلفان شاعر المنفى

إلى أبعد نقطة في العالم، و بالضبط جنوب شرق آسيا، توجد دولة صغيرة اسمها تيمور الشرقية timor leste) اتخذت من اللغة البرتغالية لغة رسمية، ومن لغتها الأم لهجتها المحلية، وصلت حكايتها إلى العالمية تلك هي تيمور الشرقية.

أنتجت تيمور الشرقية شعراء كبار و من أبرزهم، الشاعر الكبير أبيلو لوبولدو فيريرا، نعرفه باختصار باسم فرناندو سيلفان. شاعر عرف تراث بلده للأجانب ، و قدم شرحا مفصلا لأهم أساطيرها، وعرف رموز نضال التي دافعت عن الاستقلال. فكانت الضريبة التي أداها بلده أنه احتل لمرتين، وذاق أهله صنوف العذاب، لكن إرادتهم كانت قوية هزمت كل شيء فنالت الحرية والاستقرار.

في العام 1917 بمدينة ديلي سيرى النور الشاعر فرناندو سيلفان، لأسرة فقيرة جدا فقد حرم سيلفان من أبسط حقوق العيش المحترم، فقد كان اللعب مع أصدقائه في سن الطفولة هو المخرج الوحيد لكي ينسى أزمة الفقر، الطفولة البريئة التي كانت ترى السعادة هي الأمل والمستقبل المشرق. لازم البؤس والشقاء فرناندو حتى غادر تيمور الشرقية متجها الى البرتغال. هناك سيجد الدراسة هي ملاذه الوحيد فدرس وناضل، لكن قلبه وعقله يوجدان في تيمور بلده الذي أبعد عنه لأسباب شخصية مرتبطة بالطموح في إكمال الدراسة. فهو لم ينس ولن ينسى أن البرتغال هي البلد المستعمر لبلده، وبذلك حاول أن يصمد وأن يظهر وجهه للبرتغاليين بأن البلد الذي استعمروه(تيمور الشرقية) فيه رجال عظماء، فكان التفوق هو ما يبحث عنه، استطاع بذلك أن يصل اليه عن طريق التحدي والصمود فترأس الجمعية العالمية للغة البرتغالية.

فأهدى أروع قصائده لوطنه الأم تيمور الشرقية، وهو ما لفت انتباه البرتغاليين إليه، فاهتموا بقصائده، لروعتها وجمالها، وعذوبة ألفاظها. فأصبح بذلك محط أنظارهم. وحصل على أفضل شاعر في قائمة الشعراء الناطقين باللغة البرتغالية. الكل يجمع في تيمور الشرقية سواء تعلق الأمر بطفل أو طفلة، رجل أم إمراة أو شيخ أم عجوز أنه موهوب، وبأنه الأفضل على الاطلاق، ذلك بأنه شاعر تيمور الشرقية الأول والأخير. إنه فعلا كذلك لقد عبر عن أحزانهم أفراحهم .

« يقول فرناندو سيلفان:infancia كتب سيلفان قصائد عديدة ، ولعل أبرزها قصيدة «الطفولة

يلعب الأطفال في الشاطئ بوعي
يسبحون في البحر كأحلامهم الممتدة
الشاطئ والبحر للأطفال الذين ليس لديهم حدود
ولهذا كل الشواطئ مضاءة
وكل البحار فيها بقع خضراء.

تلك هي القصيدة ارتبطت بالطفولة و الاحلام، ببلد نفي عنه أحد أبنائه الأبرار ممن كان

و مازال يحلم بالعودة اليه. إن قصيدة الطفولة خير معبر عن فرناندو و عن منفاه الذي ألهمه الرجوع الى الوطن.

ترك العديد من المؤلفات الشعرية من بينها : ديوان «meninas e meninos» عام 1979، وكذلك ديوان آخر بعنوان « tempo teimoso» عام 1978 .

« Culpados, peça em 2 acots. أما في ما يخص المسرح فقد كتب مسرحية عام1957.

في عام 1993 خطف الموت الشاعر التيموري الشرقي فرناندو سيلفان، كان موتا مفاجئا لم يكن في الحسبان، فقد كانت أمنيته قبل أن يموت أن يعيش في بلده تيمور الشرقية، لكن القدر حال دون ذلك ■

* **باحث من المغرب**

كرّم اسم عالم الآثار السوري خالد الأسعد

ختام أعمال مؤتمر الاتحاد العام للآثاريين العرب

القاهرة – محمدعويس

كرم المؤتمر الثامن عشر للاتحاد العام للآثاريين العرب -في دورته التي انعقدت في القاهرة مؤخرًا- اسم عالم الآثار السوري الراحل الدكتور خالد الأسعد، الذي لقي مصرعه على يد تنظيم «داعش» الإرهابي بمدينة تدمر السورية، لرفضه التعاون مع عناصره.

وأشاد المؤتمر بجهود الراحل، وقال: إنه مثل قيمة كبرى وذاكرة واعية للكثير من المعلومات عن التراث السوري القديم، وقد عمل الأسعد مديرًا لآثار ومتاحف تدمر، وانشغل طوال ما يزيد على نصف قرن بالحفاظ على الآثار وترميمها، واجتهد لتطوير المؤسسة الأثرية، وكان معروفًا بنشاطه لسنوات مع بعثات آثار أمريكية وفرنسية وألمانية، عاونته في عمليات حفر وبحوث بأطلال وآثار عمرها 2000 عام في تدمر المدرجة ضمن قائمة «اليونسكو» للتراث العالمي.

وقام المؤتمر بمنح اسم العالم الراحل جائزة الدكتور محمد صالح شعيب لخدمة التراث الحضارى، إضافة إلى إقامة معرض فني ضم 13 لوحة لعدد كبير من المخطوطات التي قام الأسعد برسمها، أبرزها خريطة لفترة ميلاد المسيح عليه السلام، وانتشار الآراميين، ومخطوطة لنقش معركة آفس المعروفة بـ» زكور» التي دارت في جنوب مدينة حلب.

عالم الآثار السورى الراحل الدكتور خالد الأسعد

من الأبحاث التي نوقشت بالمؤتمر: (المثلثات الجدرانية– تراث أثري معماري مشترك بين الجزيرة العربية والصحراء الكبرى بإفريقيا) تتبع فيه الدكتور أحمد بن مولود من موريتانيا مسار انتشار هذا الشكل الزخرفي البسيط الذي يُعد من أبرز جوانب التراث المعماري الآصيل

توصيات المؤتمر

وقد ندد المؤتمر بما تتعرض له المعالم والمواقع الأثرية في أنحاء مختلفة من الوطن العربي من تعديات، خاصة المسجد الأقصى وسوريا والعراق وليبيا واليمن، ودعا إلى تشكيل لجنة مختصة من المؤرخين والآثاريين والمعماريين لإنجاز بحث توثق فيه المعارف التاريخية والأثرية والمعمارية والفنية الخاصة بالمسجد الأقصى ورصد التعديات التي يتعرض لها والمخاطر التي تحدق باستمراره، كذلك تشكيل لجنة متخصصة تضم فريقاً ممثلاً لكل الدول العربية تحمل على عاتقها تقديم اقتراحات تسجيل وصيانة وترميم المعالم والمواقع الأثرية في الوطن العربي تكون تحت تصرف الاتحاد وجامعة الدول العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

طالب المؤتمر كذلك بتشكيل لجنة متخصصة لمراجعة قانون حماية الآثار وتقديمه كمشروع موحد لدراسته في الجامعة العربية قصد تعميمه على مختلف البلدان العربية.

وأوصى المؤتمر ببذل مزيد من الجهد لتوحيد رؤى الباحثين العرب المنهجية والمعرفية في خدمة التراث العربي، وطالب بزيادة الانفتاح على مختلف المؤسسات العاملة في ميدان التراث الثري بالوطن العربي وربط علاقات التواصل بينها وبين الاتحاد.

تكريم الآثاريين

وقام اتحاد الأثريين العرب بتكريم عدد من الأثريين، وقد نال جائزة الاتحاد العام للآثاريين العرب في مجال التفوق العلمي لشباب الآثاريين كل من الدكتور أحمد حسين عبد الرحمن من السودان، والدكتور عبد القادر دحدوح من الجزائر، والدكتور وليد علي محمد من مصر.

بينما نال الدكتور حسن محمد نور من مصر جائزة الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري التي تُمنح لأفضل عمل علمي يتناول علاقة الوطن العربي بشبه الجزيرة العربية في مجال الآثار والحضارة.

كما كرم الاتحاد كلًّا من الدكتورة فايزة هيكل، بإهدائها درع الاتحاد، والدكتورة ميرفت سيف الدين- من جامعة الإسكندرية بمنحها جائزة الاتحاد التقديرية، والدكتورة سهير زكي حواس بمنحها جائزة الاتحاد للجدارة العلمية.

تكريم الدكتورة سهير حواس

المثلثات الجدرانية

من الأبحاث التي نوقشت بالمؤتمر: (المثلثات الجدرانية- تراث أثري معماري مشترك بين الجزيرة العربية والصحراء الكبرى بإفريقيا) تتبع فيه الدكتور أحمد بن مولود من موريتانيا مسار انتشار هذا الشكل الزخرفي البسيط الذي يُعد من أبرز جوانب التراث المعماري الأصيل توظيفًا بمدن شنقيط، ودان، ولاته، وتيشيت بموريتانيا. ولفت بن مولود إلى أن انتقاله من الجزيرة العربية تم على أيدي تجار المشرق. وقد كشف عالم الآثار الفرنسي ريمون موني1950 عن أقدم نماذج لتوظيف هذه المثلثات بموقع كومبي صالح عاصمة الشطر الإسلامي لامبراطورية غانه في الحقبة الوسيطة.

ومن الجزائر تتبع الدكتور محمد عبد المؤمن (محطات قوافل البخور بشبه الجزيرة العربية قبل الإسلام) لمعرفة مسارها والتطرق للمخلفات الأثرية التي بينت مرورها في هذه المناطق، ودور هذه التجارة في توطيد العلاقات مع مختلف شعوب الحضارات القديمة نظرًا لأهمية هذه المادة (البخور) في مجالات الطب والطقوس الدينية القديمة.

ومن الأبحاث التي ناقشها المؤتمر كذلك (البيت العربي في جدة وحلب والجزائر-دراسة مقارنة) للدكتورة لطيفة بو رابة من الجزائر، و(مكة أقدم مدينة في التاريخ) للدكتور محمد بهجت قبيسي من سوريا، و(موانىء البحر الأحمر السودانية المبكرة وعلاقتها بالجزيرة العربية) للدكتور أحمد حسين عبد الرحمن من السودان، و(الطوطمية بين السحر والدين في عصور ما قبل التاريخ بأفريقيا) للدكتورة زينب عبد التواب من مصر، و(شبه الجزيرة العربية في النصوص الإغريقية واللاتينية: جغرافية سطربوان، والتاريخ الطبيعي لبلينوس الأكبر نموذجًا) للدكتور مصطفى غطيس من المغرب، و(تصوير ذوي الاحتياجات الخاصة على الرسومات والمنحوتات في فترتي الامبراطورية اليونانية والرومانية) للدكتورة سائدة عفانة من الأردن ■

في المقاهي والميادين والمدارس

مهرجان طنطا الدولي للشعر

يستعيد تراث التواصل الحي للإبداع

طنطا – مروى البمبي

تحت شعار: احتفاءً بالشعر، احتفاءً بالحياة، اختتم مؤخرًا «مهرجان طنطا الدولي للشعر» التي احتضنتها مدينة طنطا، عاصمة محافظة الغربية، بقلب دلتا النيل بمصر.
نجح المهرجان في دورتها الأولى التي استمرت لأربعة أيام في استعادة تراث الشعر من حيث طبيعة التواصل المباشر بين الشعراء والجمهور، حيث قرأ ستة وعشرون شاعرًا من إحدى عشرة دولة من قارات العالم المختلفة، وعبر خمس لغات قصائدهم في أماكن لم يعتدها الشعر من قبل؛ في المقاهي العامة، في المدارس، في الجامعة، وفي ساحات وميادين عامة مفتوحة، كساحة مسجد السيد البدوي، وحديقة نادي طنطا الرياضي.

وقد أصدر المهرجان أنطولوجيا دورته الأولى، وضمت إحدى وثلاثين قصيدة باللغات: العربية، والإنجليزية، والإسبانية، والإيطالية، والدنماركية.

حول هذه الفكرة يقول الشاعر محمود شرف مدير المهرجان: لسنوات طويلة عانى الشعر ابتعاد الجمهور، صارت الفجوة متسعة بين المتلقي والشاعر لأسباب متنوعة، ومعقدة. العزلة –من جانب الشعر- أضحت أيضًا اختيارية؛ بانتقاء أماكن مغلقة لإقامة أمسياته بها، يمكن القول عنها كذلك إنها أماكن «طبقية»! بينها وبين المتلقي العادي جفوة، وفجوة. وهذا ما دفع المهرجان للذهاب إلى المتلقي حيث يوجد، لا أن يتم استدعاؤه إلى حيث يكون. على المقاهي التي استضافت أمسيات شعرية شارك فيها كل الشعراء المشاركين، التقوا هناك بالشباب الذي يبحث عن متنفس بعيدًا عن قيود الحياة، فوجدوا أنفسهم يستمعون إلى قصائد شعرية، لا يفهمون طبيعة، ولا طريقة كتابتها، لكنهم أحسوا بنبضها، بحرارة المشاعر الإنسانية التي أنتجتها كفن راق، يتجاوز حدود اللغة، ويذهب مباشرة إلى عمق الروح. في المدارس صباحًا أيضًا، كان هناك وقت كاف لإقامة حوار ثري بين طلبة في المرحلة الثانوية والإعدادية وبين شعراء أجانب، وعرب، ومصريين، كانت الدهشة بالغة؛ إذ يستمعون إلى شكل شعري مغاير تمامًا لما يدرسونه في الكتب، تلك التي توقف صانعوها عند حقب زمنية بعيدة، ونفوا كل ما تلاها من تغيرات في شكل وجوهر القصيدة.

«يُحسب للمهرجان إطلاقه الشعر في الهواء الطلق، في الأندية والساحات والحدائق والمدارس والجامعة، ليلتحم الشعر بالمتلقي مباشرة، خارج القاعات الضيقة، وهذه سمة أغلبية مهرجانات الشعر العالمية التي تعقد في أوروبا مثلا والولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية.»

هكذا علّق الشاعر المصري «شريف الشافعي» على اختيار الأماكن التي أقيمت بها فعاليات المهرجان، منوهًا بأهمية كسر الحوجز بين الشعر وجمهوره؛ أن نفكر قليلا خارج الأطر التقليدية.

الإيطالي «كلاوديو بوتساني» رأى أن الجمهور: «رائع، متنوع، ودافئ».

السعودي أحمد الملا استوقفته التجربة من زاوية أخرى، حيث يؤكد على احتياج الجمهور العربي إلى مثل هذه الصدمات، لاستعادة الوعي الشعري، وتحريك المياه الراكدة في حقل الذائقة الجمالية لديه: « يمكن تسمية التجربة بالقراءات المرغمة... حيث أن الجمهور مفاجأ بما يحدث، إلا أنه سيؤسس لتقبل واعتياد مستقبلا».

بينما طالب الشاعر العراقي صلاح فائق أن تتوسع إدارة المهرجان في اختيار أماكن، وجمهور مختلفين أيضا في الدورات القادمة: « أتمنى ترتيب بعض القراءات في معامل أو مزارع , إن أمكن , لمشاركة فئات أخرى في هذا النشاط الثقافي».

فعاليات مختلفة

اتسمت الدورة الأولى لمهرجان طنطا الدولي للشعر، بإيلاء

الاهتمام الأكبر للقراءات الشعرية، ولكنه لم يغفل القضايا المتعلقة بالشعر، حيث خصص جلستين شارك بهما ثمانية شعراء من خارج مصر، لتقديم شهاداتهم من واقع تجاربهم مع موضوعي: الشعر والترجمة، و تجربة الشاعر مع الغربة.

شارك في الجلسة الأولى حول الشعر والترجمة، الشاعر العراقي صلاح فائق، والشاعرة والمغربية علية الإدريسي، والشاعرة الأمريكية هيذر توماس، والشاعر الإيطالي كلاوديو بوتساني، بينما شارك الشاعر العراقي محسن الرملي والشاعرة التونسية لمياء المقدم، والشاعرة والمكسيكية بيلار رودريجيس أراندا، والشاعر الدنماركي نيلس هاو في الجلسة الثانية حول موضوع تجربة الشاعر مع الغربة.

القراءات الشعرية الصباحية، وكذلك الأمسيات، أقيمت في ثلاثة أماكن في توقيت واحد، بالتوازي بينها، وهو ما أسهم في تعدد المشاركات لكل شاعر من الشعراء المشاركين، الذين توزعت جنسياتهم بين: إسبانيا، إيطاليا، الدنمارك، المكسيك، أمريكا، ومن العالم العربي: السعودية، المغرب، العراق، سلطنة عمان، تونس، بالإضافة إلى عدد من الشعراء المصريين.

حظي المهرجان الذي أشرفت على تنظيمه جمعية «شعر للأدباء والفنانين بالغربية»، بدعم ورعاية خمس جهات رسمية هي الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، مكتبة الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جامعة طنطا، ومحافظة الغربية. إلى جوار جهات خاصة ■

الوطن.. من الآباء حتى الأبناء

فاطمة المزروعي*

هذا الفرح الذي عم وانتشر، والذي تجده ماثلا في أبهى طلة على محي كل مواطنة ومواطن إماراتي، وعلى أوجه الأطفال وهم يتسابقون في غمرة اللعب، وفي تلك الرقصات التي تنم عن الولاء والحب، بل حتى في تلك الضحكات والابتسامات التي رسمت على أوجه إخوتنا العرب وكل مقيم على أرض بلادنا، لها معنى عظيم ، لها رسالة كبيرة جدا، بحجم هذا الحب، بحجم هذا الوطن، الأيام الماضية، كانت الفرحة عفوية، وكانت البهجة دون تكلف أو محاولة للتصنع، كانت الدعوات للمولى عز وجل، تنساب على الألسنة بالمزيد من المجد والتقدم للإمارات حكومة وشعبا، لقد شاهدت وقرأت على مواقع التواصل الاجتماعي، على مختلف أنواعها، حب عظيم لبلادي، الرسائل كانت تتوالى التي تحمل التهاني والتبريكات والدعوات لشعب الإمارات وقادته، كلا يقول أنه سعيد لسعادتنا، وبحق فإن الرسائل التي وصلتني وهي تحمل كلمات دافئة صادقة تهنئ وتبارك لنا بمناسبة العيد الرابع والأربعين، كأنها تحملنا مسؤولية كبيرة تجاه هذه المنجزات والمحافظة عليها بل والعمل على تنميتها وتطويرها.

شيء مذهل ويبعث على الفخر والاعتزاز، أن يكتب أحدهم لك وهو يقبع في أمريكا أو أوروبا، رسالة يمتدح فيها بلادك، ويشيد فيها بالعدالة والنظام والتطور العمراني والاقتصادي، ثم يختم رسالته بالتهاني بمناسبة اليوم الوطني. شيء مذهل ويدعوا للفخر عندما تصلك رسالة، يقول فيها أحدهم بأنه كان مصاب بالإحباط واليأس بسبب الواقع الذي تعيشه البعض من الدول العربية، حتى سنحت له الفرصة لزيارة الإمارات قبل نحو العام، فأدرك أن الأمل موجود، وان الإمارات تقود النهضة الحديثة للأمة العربية، تقود التطور والرقي، لأنها ستؤثر ايجابيا على محيطها أولا ثم على العالم العربي والمنطقة.

بمثل هذا الوهج والفرحة التي رسمت في قلوبنا، والتي شاهدنها ماثلة في العيون وخرجت من القلوب لأنها لامست قلوبنا، أقول بمثل هذا الواقع الجميل والمستقبل الأجمل، نعود بالذاكرة نحو الإرث، نحو الماضي، نحو الآباء والأجداد، الأساس الذي قام عليه هذا الاتحاد العظيم والأرضية التي انطلقت منه نهضت بلادنا وتطورها، في أتون هذا التراث، وفي عمقه يكمن سبب وجوهر كل هذا الفرح، وكل هذا التميز، فالآباء غرسوا في أبنائهم وأحفادهم جوهر التسامح، وقيمة الصدق والكرم والإيثار، ربوا في أبنائهم وأحفادهم معاني العدالة والسمو ومحبة الناس والعمل لهم ومن اجلهم.

أستلهم في هذه المناسبة العزيزة علينا، كلمات للوالد الراحل صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، مؤسس إتحاد إماراتنا، حيث قال رحمة الله: « إذا كـان الله عز وجل قد منّ علينا بالثروة فإن أول ما نلتزم به أن نوّجه هذه الثروة لإصلاح البلاد، ولسوق الخير إلى شعبها». وفي واقع هذا اليوم، هو ما حدث ويحدث دوما، والأمثلة عديدة وعلى أرض الواقع. وتوجد كلمة أخرى أيضا للوالد الشيخ زايد بن سلطان، رحمة الله، قال فيها: « إن الجيل الجديد يجب أن يعرف كم قاسى الجيل الذي سبقه، لأن ذلك يزيده صلابة وصبرا وجهاداً لمواصلة المسيرة التي بدأها الآباء والأجداد، وهي المسيرة التي جسدت في النهاية الأماني القومية بعد فترة طويلة من المعاناة ضد التجزئة والتخلف والحرمان». ولا غرابة فإن هذه الرؤية الثاقبة هي التي تم تنفيذها وبلورتها على أرض الواقع لنعيش اليوم كل هذا الازدهار ونحصد كل هذه الثمار الوفيرة.

في مثل هذه المناسبة الوطنية العزيزة، فعلا يجب أن نستذكر الثمن الذي دفعه وقدمه الآباء، يجب أن نعمل على تجسير وردم الهوة التي قد تحدث بين جيل وآخر، بين جيل الآباء وجيل الأبناء، وذلك بالتعريف بالتضحيات التي قدمت لبناء وتأسيس هذا الوطن. في مثل هذه المناسبة الغالية نستشعر الإنجازات، وأيضا نعلي ونعظم قيمة الوطن وواجبنا نحوه، ونستذكر الآباء الذين قدموا وطن من العزة والتسامح والسعادة والخير ■

*كاتبة من الإمارات

سباق الإبل التراثي

رياضة عربية أصيلة، تعد أحد أهم السباقات التي ينظمها مهرجان سلطان بن زايد التراثي، وهو عُرس تراثي ثقافي سنوي تحتضنه منطقة سويحان في إمارة أبوظبي بهدف إحياء رياضات الآباء والأجداد وتعزيز حبها والإقبال عليها في نفوس الأجيال الجديدة.

الحدث معنا كما يجب أن يكون

الشريك الإستراتيجي

إحدى قنوات

NILESAT | 7° W | 12467 H | 27500 | 2 / 3 | DVB-S2, 8PSK | MENA
BADR | 26° E | 11804 H | 27500 | 3 - 4 | DVB-S, QPSK | MENA
HOTBIRD | 13° W | 11747 H | 27500 | 3 - 4 | DVB-S, 8PSK | EURO

YassportsTV
yastv.ae